AL YAMAMAH مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

اليمامة

العدد - 2865 - السنة الخامسة والسبعون- الخميس 8 محرم 1447هـ
الموافق 03 يولية 2025 م

د. عبدالرحمن العاصم:
هيئة المكتبات رؤية ثقافية للمستقبل.

محمد الدميني :
رحلة على طريق الحرير القديم.

9771319029600

بين العرب والصينيين..
أدب الشاي.

كود خصم

من دوت على المتاجر الكبرى

RIYADH DOT دوت

DOT.SA.COM

مؤسسة اليمامة الصحفية
Al Yamamah Press Est

الآن بالأسواق

السعر ١٠ ﷼

دور الإعلام في تشكيل وعي المرأة في دول الخليج العربية

دراسة نظرية - تقويمية

د.زكريا بن يحيى لال

إضافة جديدة وإصدارات متنوعة

كنوز اليمامة

سلسلة تصدر من
مؤسسة اليمامة الصحفية

اطلبه الآن أونلاين عبر

Bks4.com

واتساب: +966 50 2121 023
إيميل: contact@bks4.com
تويتر: @KnoozAlyamamah
انستغرام: @KnoozAlyamamah

الفهرس

حين يصبح فنجان الشاي مرآةً للشعر، فإننا نكتشف في بخاره المتصاعد حكايات تتجاوز المذاق إلى المعنى. فريق التحرير فتح ملفًا خاصًا عن الشاي في الشعرين الصيني والعربي، واختاره موضوعا لغلاف العدد، ونستعرض فيه كيف انعكست تقاليد إعداد الشاي وطقوس شربه في نصوص الشعراء من ضفتي العالم. بين شاعر صيني يتأمل لحظة التمازج بين الماء والأوراق، وشاعر عربي يرى في فنجان الشاي صفاءً للنفس وتعبيرًا عن الألفة، تتجلى الروح الثقافية في أبسط الطقوس وأكثرها شاعرية.

وفي مقالات العدد، يكتب محمد القشعمي عن كتابين لاثنين من شباب الأحساء يمثلان نموذجًا حيًا للشاب السعودي العاشق للأدب، فيما يقدّم الدكتور صالح الشحري قراءة في كتب سعودية ملهمة عن أصحاب الهمم وأبطال تحدوا الإعاقة وشرعوا برواية قصصهم الملهمة. أما عبدالله الوابلي فيدعو إلى وسطية تنبع من موقف أخلاقي أصيل، ويتوقف محمد العلي أمام نداء فاجع شهير للدكتور غازي القصيبي تحت عنوان مثير: فياغرا.. ويكتب عبداللطيف آل الشيخ عن قوة تأثير الثقافة السعودية بجذورها الضاربة وصداها العالمي المتجدد.

وفي صفحة ذاكرة حية نستعيد سيرة المهندس أحمد سوسة الذي رأس البعثة الزراعية العراقية في الخرج عام ١٩٣٩ م، صفحةٌ توثق محطات رجل عايش توجيهات الملك المؤسس بتأسيس مشروع الخرج الزراعي والذي كان نواة للنهضة الزراعية التي تشهدها المملكة حاليا.

وفي الملحق الثقافي "شرفات"، حوار خاص مع الرئيس التنفيذي لهيئة المكتبات الدكتور عبدالرحمن العاصم حول بيوت الثقافة ومشاريع الهيئة المقبلة، إضافة إلى ترجمة جديدة للدكتور سعد البازعي لقصة مثيرة للجدل للكاتب التشيكي كافكا الذي يعد واحدا من اهم الكتاب العالميين، ويذهب بنا الشاعر محمد الدميني في رحلة على طريق الحرير القديم.

بالإضافة إلى نصوص أدبية وقراءات نقدية في الشعر والقصة والرواية، تتوزع بين إبداعات شابة وتجارب راسخة، ونقاشات تتناول أبرز القضايا والسياقات الثقافية الراهنة، في مشهد يعكس تنوّع الكتابة واتساع دوائرها.

AL YAMAMAH
اليمامة

المحررون

مؤسسة اليمامة الصحفية
AL YAMAMAH PRESS EST

مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

أسسها: حمد الجاسر عام 1372 هـ

رئيس مجلس الإدارة: منصور بن محمد بن صالح بن سلطان

المدير العام : خالد الفهد العريفي ت : 2996110

2865

CONTENTS
في هذا العدد

الوطن

06 | رؤية 2030 تدفع البطالة إلى أدنى مستوياتها

الحدث

32 | الرئيس التنفيذي لهيئة المكتبات : بيوت الثقافة ستصبح لاعباً رئيسياً في الحركة الثقافية.

ذاكرة حية

26 | اول رئيس للبعثة الزراعية العراقية في الخرج.

الملف

36 | معجب الزهراني: الرؤية وضعت الثقافة على خارطة التحول.

حديث الكتب

20 | أبطال حالات الاعاقة يروون قصصهم الملهمة.

الكلام الأخير

66 | طريق الشّعر!
يكتبه :
أ.د. سعود الصاعدي.

شرفات
29

العدد - الثامن عشر
يوليه 2025 م
محـرم 1447هـ

ملحق شهري يصدر عن مجلة «اليمامة» يعنى بالشؤون الثقافية والأدبية

د.سعد البازعي:
نص مترجم لـ « كافكا».

د. معجب الزهراني:
ملف خاص .

محمد الدميني:
رحلة على طريق الحرير القديم .

بيوت الثقافة تنسج ملامح المستقبل.

المشرف على التحرير
عبدالله حمد الصيخان
alsaykhan@yamamahmag.com

هاتف : 2996200
فاكس: 4871082

مدير التحرير
عبدالعزيز حمود الخزام
aalkhuzam@yamamahmag.com

عنوان التحرير:
المملكة العربية السعودية الرياض - طريق القصيم حي الصحافة
ص.ب: 6737 الرمز البريدي 11452
هاتف السنترال 2996000 الفاكس 4870888
بريد التحرير:
info@yamamahmag.com
موقعنا:
www.alyamamahonline.com
تويتـــر:
@yamamahMAG

MAIN OFFICE:
AL-SAHAFA QURT.T - TEL: 2996000 (23 LINES) -
TELEX: 201664 JAREDA S.J. P.O. BOX 6737
RIYADH 11452 (ISSN -1319 - 0296)

سعر المجلة : 5 ﷼
الاشتراك السنوي:
المرحلة الأولى : مدينة الرياض
300 ﷼ للأفراد شاملاً الضريبة.
500 ﷼ للقطاعات الحكومية وتضاف الضريبة.
تودع في حساب البنك العربي رقم (آيبان دولي):
sa 4530400108005547390011
ويرسل الإيصال وعنوان المشترك على بريد المجلة-
info@yamamahmag.com
للاشتراك اتصل على الرقم المجاني: 8004320000

إدارة الإعلانات:
هاتف 2996400 -2996418
فاكس: 4871082
البريد الإلكتروني:
adv@yamamahmag.com

موجودات صندوق الاستثمارات العامة ترتفع (18%)..

رؤية 2030 تدفع البطالة بين السعوديين إلى أدنى مستوياتها

اليمامة - واس

أصدرت الهيئة العامة للإحصاء نشرة إحصاءات سوق العمل للربع الأول من عام 2025م، ووفقًا لنتائجها فقد بلغ معدل البطالة الإجمالي (للسعوديين وغير السعوديين) ٪2.8، وبلغ معدل المشاركة في القوى العاملة الإجمالي (للسعوديين وغير السعوديين) ٪68.2، وسجل معدل مشاركة السعوديين في القوى العاملة ارتفاعًا بلغ ٪51.3 مقارنة بالربع الرابع من عام 2024م.

وأظهرت نتائج النشرة ارتفاع معدل مشاركة الذكور السعوديين في القوى العاملة ليبلغ ٪66.4، وانخفاض معدل البطالة للسعوديين الذكور ليصل إلى ٪4، كما أوضحت نجاح مبادرات تمكين المرأة، التي أسهمت في زيادة مشاركتها الاقتصادية وتعزيز دورها في دفع عجلة النمو والتنمية المستدامة، حيث أشارت النتائج إلى ارتفاعٍ في معدل مشاركة السعوديات في القوى العاملة ليبلغ ٪36.3، وانخفاضٍ في معدل البطالة للسعوديات ليصل إلى ٪10.5، وذلك مقارنة بالربع السابق.

وبينت النتائج المتعلقة بالسعوديات في سن الشباب (15-24 سنة) ارتفاع معدل المشتغلات إلى السكان حيث بلغ ٪14.6، كما ارتفع معدل مشاركتهن في القوى العاملة حيث بلغ ٪18.4، وانخفض معدل المشتغلين إلى السكان الشباب السعوديين الذكور ليصل إلى ٪29.2، كما انخفض معدل مشاركتهم في القوى العاملة ليصل إلى ٪33.0، مع انخفاض في معدل البطالة للسعوديين الذكور ليصل إلى ٪11.6 مقارنة بالربع السابق من عام 2024م، حيث تعزى تلك النتائج إلى تحسن سياسات سوق العمل السعودي، مدفوعة بأدائه القوي والمتطور وازدياد جاذبيته.

وبينت النتائج المتعلقة بمؤشرات سوق العمل للربع الأول من عام 2025م للسكان السعوديين (الذكور والإناث) في سن العمل الأساسي (من 25إلى 54 عامًا) ارتفاع معدل المشتغلين إلى السكان، حيث بلغ ٪65.9، وارتفاع معدل المشاركة في القوى العاملة، حيث بلغ ٪69.6، كما انخفض معدل البطالة ليصل إلى ٪5.4، وفيما يخص السعوديين الذين تبلغ أعمارهم 55 عامًا فأكثر فقد أظهرت النتائج انخفاضًا في معدل البطالة ومعدل المشاركة في القوى العاملة بالمقارنة مع الربع السابق من عام 2024م. وبحسب النتائج التي أظهرتها النشرة، فقد سجَّل معدل البطالة بين السعوديين أدنى مستوى تاريخي له، حيث انخفض إلى ٪6.3 في الربع الأول من عام 2025، والأمر نفسه بالنسبة لبطالة النساء السعوديات حيث تراجعت بأكثر من 11 نقطة مئوية منذ عام 2021، مسجلة ٪10.5 ، مما يعكس قدرة سوق العمل السعودي على توفير فرص اقتصادية متنامية للمواطنين. في ظل السياسات الداعمة لتنميته وتعزيز التوظيف.

ويعود هذا الإنجاز إلى حزمة من الإصلاحات والسياسات الطموحة التي أرستها رؤية السعودية 2030، والتي استهدفت تنويع الاقتصاد، وتحفيز سوق العمل، وتمكين الكوادر الوطنية من المشاركة الفاعلة في التنمية.

ومن جهة اخرى كشف صندوق الاستثمارات العامة عن ارتفاع إجمالي موجوداته بنسبة (٪18) لتصل إلى (4,321) مليار ريال بنهاية 2024، مقارنة بـ (3,664) مليار ريال للعام السابق، وارتفاع إجمالي إيرادات الصندوق بنسبة (٪25) لتصل (413) مليار ريال، مقارنة بـ (331) مليار ريال للعام السابق، مؤكدًا مواصلته في تعزيز مركزه المالي، بما يتماشى مع أهدافه الإستراتيجية.

وأوضح الصندوق أن هذه الارتفاعات تحققت نتيجة ارتفاع إيرادات مجموعة من شركاته، ومنها شركة سافي للألعاب الإلكترونية، وشركة التعدين العربية السعودية "معادن"، وشركة الاتصالات السعودية "إس تي سي"، والبنك الأهلي

السعودي، وشركة تأجير الطائرات "أفيليس"، وبنك الخليج الدولي، إلى جانب توزيعات أرباح شركة أرامكو، بالإضافة إلى مساهمة بعض المشاريع الكبرى، حيث بدأت بتحقيق إيرادات متزايدة مقارنة بالعام السابق.

وبيّن صندوق الاستثمارات العامة أن صافي أرباحه بلغ (26) مليار ريال، مفيدًا أن صافي الربح تأثّر بعدد من الظروف مثل التحديات الاقتصادية العالمية، كارتفاع أسعار الفائدة والتضخم، وخسائر الهبوط المرتبطة ببعض المشاريع، وذلك باعتبار التغيرات في الخطط التشغيلية وازدياد التكاليف التقديرية، وتشكل أقل من (2٪) من إجمالي الموجودات.

وأفاد الصندوق بأنه استطاع المحافظة على استقرار مستويات النقد، عند (316) مليار ريال، مفيدًا أن قيمة القروض والتسهيلات للمجموعة ارتفعت بشكل طفيف لتصل إلى (570) مليار ريال، مؤكدًا في ذات الصدد مواصلته والشركات التابعة له على تنويع مصادر التمويل من خلال صفقات ناجحة في أسواق المال العالمية.

ومن أبرز المؤشرات التي حققها الصندوق في عام 2024م، إصدار صكوك مقوّمة بالدولار الأمريكي بقيمة ملياري دولار أمريكي، وإطلاق أول إصدار له من السندات المقومة بالجنيه الإسترليني بقيمة (650) مليون جنيه إسترليني، وإعادة تمويل تسهيلات ائتمانية متجددة بقيمة (15) مليار دولار أمريكي، مما يعكس الثقة القوية في سجلاته الائتمانية وإستراتيجيته طويلة الأجل، كما تظل نسبة المديونية للصندوق (إجمالي القروض والتسهيلات مقابل إجمالي الموجودات) ثابتة عند (13٪).

وحقق صندوق الاستثمارات العامة تقدمًا ملموسًا في جهود التوسّع ضمن قطاع الترفيه والسياحة، وتعزيز القدرات الصناعية للمملكة لعام 2024م، حيث عززت شركة البحر الأحمر الدولية محفظتها من خلال افتتاح المزيد من الفنادق الجديدة، بما في ذلك منتجعات سانت ريجيس البحر الأحمر، ومنتجع نجوما، وريتز - ارلتون ريزيرف، وإطلاق شركة إدارة الفنادق "أديرا" لإدارة وتشغيل جيل جديد من العلامات الفندقية السعودية، وإطلاق العديد من المشاريع الجديدة في الدرعية، بما في ذلك مناطق ثقافية وتراثية جديدة، كما شهد قطاع الإسكان نموًا ملحوظًا مع إطلاق عدة مشاريع سكنية من علامات تجارية معروفة.

وتواصل منظومة صندوق الاستثمارات العامة، وشركات محفظته النمو والتوسع؛ بهدف تعزيز نمو الأرباح المبقاة مع إمكانات إطلاق استثمارات جديدة.

صندوق النقد الدولي إشادة بالإجراءات السعودية.

رأي اليمامة

صدر تقرير صندوق النقد الدولي عن المملكة لعام 2025 في نهاية يونيو الماضي مشيداً بما تم إنجازه على نطاق واسع، فمن حيث احتواء التضخم فقد أثنى تقرير الصندوق على السياسة المالية السعودية في احتواء التضخم من خلال الحلول التي وضعتها الحكومة عقب التعافي الاقتصادي الذي أعقب جائحة كورونا خلال عامي 2020 و2021. كما أشاد الصندوق في ذات السياق بالسياسة الاقتصادية التي حاصرت البطالة إلى درجة انخفاضها لمستوى تاريخي غير مسبوق، حيث بلغت خلال الربع الأول من عام 2025 إلى مستوى 6.3٪ متجاوزة إحصاءات عام 2024 التي بلغت فيها نسبة البطالة 7 ٪ وهو الرقم الذي تم تحديده كمستهدف في عام 2030، إلا أنه وبعد الإنجازات الناجحة في ملف البطالة تم رفع المستهدف عند نسبة 5٪ في عام 2030. ولم يكتف التقرير بذلك بل أشار إيجابياً إلى زيادة مستوى هامش الأمان المالي في الاقتصاد السعودي، مما سيساهم في رفع أسهمه في تصنيف الائتمان المالي عالمياً.

جاء تقرير صندوق النقد الدولي في وقت بالغ الحساسية من ناحية المخاطر الراهنة التي تمر بها المنطقة، إلا أن كل هذا يعكس عمق الحكمة التي تجري بها الأمور في دوائر صنع القرارات المهمة في الدولة، والقرارات المالية التي قد لا يعرف بها أحد، ولكنها تظهر كأثر ملموس في حياة الناس، من خلال أهم أعصاب الحياة المعاصرة وهو الاقتصاد، وهذه المرة بشهادة صندوق النقد الدولي كجهة دولية ليست محايدة فقط، بل رقابية أيضاً، وهي إشادة تضاف إلى إشادة العام الماضي حين أشاد التقرير السنوي آنذاك بأغلب هذه الملفات (احتواء التضخم، السياسة المالية، مستوى البطالة، نمو الناتج المحلي غير النفطي، النمو العام...). مما يعني، بالنظر إلى كامل السياق، تطور الاقتصاد السعودي، وتحسنه المستمر، وسداد السياسة المالية السعودية في أدائها الذي وصفه التقرير في العام الماضي 2024 بـ"لمذهل"، وهذا ما جعل صندوق النقد لهذا العام يتنبأ بتراجع العجز المالي تدريجياً ليصل عند مستوى 3٪ بحلول عام 2030.

بدورها رحبت وزارة المالية السعودية، في بيان لها على موقعها الالكتروني نهاية الأسبوع الماضي، بتقرير صندوق النقد الدولي عن الاقتصاد السعودي للعام 2025، مؤكدةً على استمرار الجهود التي تبذلها الحكومة لتعزيز المنظومة المالية، والمضي قدماً في الإصلاح والتطوير.

اليمامة

أدب الشاي ..

فنجان ساخن يجمع العرب بالصين.

من غابات الخيزران في الصين إلى مجالس السمر العربية، ظل الشاي أكثر من مجرد مشروب. في الصين، وهي أول دولة تكتشف أشجاره، ارتبط الشاي بالحكمة والتأمل والشعر، حتى صار هدية تليق بمرض الشاعر، أو كنزاً يُخبأ بين الكتب. أما في البلدان العربية، فقد صنعوا من "الشاهي" ثقافتهم الخاصة، وجعلوه قرين الشعر وباعث السرور، بل زعم شاعر نجفي أن أبا نواس نفسه كان سيهجر الخمر لو أنه أدرك زمن الشاي!

هنا ملف عن «الشاي في الشعرين الصيني والعربي»، أعده لـ « اليمامة « الباحث الصيني « وو يو « وهو يهدف إلى عرض جوانب من ثقافة الشاي في الصين والعالم العربي، ومناقشة أوجه الشبه والاختلاف بينهما، من خلال مرآة الشعر، الذي عكس طريقة إعداد الشاي، وبيئة شربه، ووظيفته الاجتماعية والجمالية. نطالع في هذه الصفحات قصائد وتجارب تكشف كيف تشرّب الشاي لغة الشعر، بين شاعر صيني يحتفي بتمازج الماء والأوراق، وشاعر عربي يرى أن الأنس والشعر أيضا لا يكتمل إلا بفنجان يصفو بلونه، وتصفو معه النفس والمشاعر.

الشاي في الشعرين الصيني والعربي.

* وو يو (You Wu)

ارتبط الشاي بحياة الناس الاجتماعية ارتباطا وثيقا، وتشكلت ثقافته مع مرور الزمن، لدى كل من الصينيين والعرب، الذين شغفوا بشرب الشاي كغيرهما من الأمم والشعوب، وانعكس ذلك في أدبهم وأشعارهم التي نظمها شعراؤهم فكان الأدب حاملاً "لثقافة الشاي"، التي تضمنت الظواهرَ الاجتماعية والشعبية المتعلقة بالشاي، وبمضمون هذه الثقافة الروحي الفريد ودلالاتها الثقافية العميقة في الثقافة الصينية والعربية. لذلك اعتبر الباحث أشعار الشاي الصينية والعربية نقطة الانطلاق، واستخدم المنهج الوصفي والتحليلي في عرض ثقافة الشاي المتضمنة فيها، رغبة منه في المساهمة في تعزيز التبادل الثقافي بين الثقافتين الصينية والعربية. والصين هي أول دولة في العالم تكتشف أشجار الشاي وتستفيد منها، ولها تاريخ مع الشاي يزيد عن 4500 عام، لذلك تتمتع بسمعة "مسقط رأس الشاي". نشأت ثقافة الشاي الصينية في عهد أسرة جين (265- 420 م)، وازدهرت في عهد أسرة سونغ (960-1279 م)، وهي جزء مهم من الثقافة الصينية. وانتشرت عادة شرب الشاي في البلاد العربية منذ القرن التاسع عشر تقريباً، وعلى الرغم أن تاريخ العرب في تناول الشاي ليس طويلاً، ولكنهم شكلوا ثقافة الشاي الخاصة بهم. وتندمج ثقافة الشاي الصينية والعربية مع الخلفية الثقافية والعادات لكلا الأمتين، وأيضًا تعكس ثقافة الشاي عادات الحياة وتذوق الجمال لدى هاتين الأمتين بدرجات متفاوتة. اختار الكاتب جوانب لإلقاء الضوء عليها ومناقشة أوجه التشابه والاختلاف بين ثقافة الشاي الصينية والعربية من خلال ما عكسه الشعر الصيني والعربي، وهي: إعداد الشاي، وبيئة شرب الشاي، ووظيفة الشاي.

أولا: إعداد الشاي في الشعر الصيني والعربي

إعداد الشاي في الشعر الصيني

أوراق الشاي من القطف والغسيل إلى التبخير وغيرها من الإجراءات عملية صارمة للغاية. يصف الشاعر لسو شي المشهد الحقيقي لقطف الشاي وتصنيعه في قصيدة (إرسال شاي الربيع إلى تشو آن):

"سمعت أن أفضل وقت لقطف الشاي، هو قبل شروق الشمس في أوائل الربيع.

في موسم الرعد لم تتفتح أزهار الشاي بعد، استمر القطف لوقت طويل، لم يصل إلى حفنة كاملة.

غسل أوراق الشاي وطهيها على البخار بأسرع وقت، لا يمكن ترك الأوراق العطرة طوال الليل.

بعد دقيقة ارتفع الدخان الأبيض من كل الأنحاء، الحريق مسيطر في حجمها المتوسط".

لدى الصينيين ثلاث طرائق لإعداد الشاي، هي سلق الشاي وصبّ الماء المغلي على الشاي ونقع الشاي في الماء المغلي. كانت الطريقة الأولى شائعة قبل عهد أسرة تانغ الوسطى (766-835م)، والتي كانت وضع مسحوق الشاي في الماء المغلي، ثم استخدام الملعقة لتقديم حسائه في الوعاء للشرب. كانت الطريقة الثانية سائدة في أسرتي سونغ ويوان (960-1279م، 1271-1368م)، وهي تقليب الشاي في قليل من الماء، ثم صبّ الماء المغلي عليها مصحوبًا بالتقليب المستمر. الطريقة الثالثة شائعة في أسرتي مينغ وتشينغ(1368-1644م، 1636-1912م)، هي وضع مسحوق الشاي في الإبريق، ونقع الشاي في الماء المغلي، ثم توزيعه في الأكواب للشرب.

لا يعتمد طعم الشاي على أوراق الشاي بذاتها فحسب، بل يعتمد على جودة الماء أيضًا، لذلك يعلق الناس أهمية كبيرة على جودة الماء. الشاعر (سو شي) يحب ماء الينبوع الجبلي لطهي الشاي، حتى قال: "الشاي الجيد بالماء الجيد، من فضلك أعطني إبريقًا من الماء". هنا يتوسل الشاعر إلى صديقه (جياو تشيان زي) أن يرسل له إبريقًا من ماء الينبوع في جبل "هوي". إضافة إلى البحث عن ماء الينبوع، استخدم (سو شي) أيضًا ماء النهر لغلي الشاي، فقال: "الغلي بالماء الحي ونار الفحم الغزيرة، أذهب بنفسي إلى حجر الصيد للحصول على

مجالس الأنس عند الشعراء العرب لا تكتمل الا بالشاي

الأدباء العرب مؤمنون بأثر الشاي في تصفية الخاطر وطرد الهموم

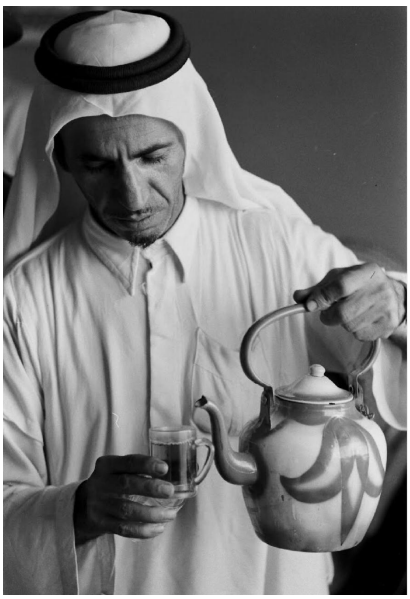

تاريخ العرب مع الشاي قصير لكنهم شكلوا ثقافة خاصة بهم

المياه النظيفة". وهنا وصف للماء والنار لغلي الشاي. إضافة إلى ماء الينبوع والنهر، يمكن أيضًا استخدام ماء الثلج. وفي العصور القديمة، كانت جودة الهواء جيدة جدًا، ولا يوجد تلوث للماء ولا للثلج، لذلك هما مناسبان جدًا لغلي الشاي. في أسرة سونغ، حصل الشاعر "دينغ وي" على شاي مقطوف قبل مطر الربيع، لكن أضطر إلى إخفائه في صندوق الكتب، وأصر على غليه في أيام الثلج. كما قال في قصيدة "غلي الشاي": " للأسف الشديد عليّ إخفاؤه في صندوق الكتب، إصرارًا على حفظه إلى أيام الثلج".

الأشعار التي تذكر أدوات الشاي كثيرة، مثل: قصيدة "الإنشاد مع "تشانغ مين" لمنافسة الشاي" للشاعر "فان تشونغ يان" التي يقول فيها: "الدينغ من نحاس "شو شان"، في البراد ماء ينبوع "تشونغ لينغ". يطفو غبار الشاي الأخضر اللامع على حافة مطحنة الشاي الذهبية، تتصاعد الرغى من الطاس الخزفي مثل اليشم الأرجواني الأبيض، كان لونها مثل الثلج وترتفع مثل الأمواج. انظر أي الشاي يتفوق على النبيذ، أي الشاي يتفوق على الريحان".

في هذه الأبيات تذكر أدوات الشاي وهي "دينغ" (وعاء الشاي عند طهيه) والبراد والمطحنة (أداة تسحيق أوراق الشاي) والطاس.

ولعل الذي دعم الشاي الصافي هم الحكام والأثرياء والأدباء، وهذا النوع كان للطبقة العليا. وفي الواقع، الأشخاص العاديون مقيدون بالظروف الاقتصادية، فمن الصعب الاستمتاع بالشاي الصافي، الشاي الذي يشربه الأشخاص العاديون هو مرير وقابض، لذلك اعتادوا على إضافة بعض التوابل إلى الشاي. قال الشاعر "لو يو" في قصيدة "إنشاد بالجلوس عند الظُهْر": "القرع مختزن الدواء أصفر قليلاً، الكوب حافل بالشاي والزيتون ممتلئ بالعِطر".

وهنا يعبر عن حبه للشاي متعدد النكهات الذي طهي بالزيتون، ويعكس عادة الناس في شرب الشاي في ذلك الوقت.

إعداد الشاي في الشعر العربي

من المنظومات الشعرية التي عرّجت على إعداد الشاي وتجهيزه للتناول منظومة عبد الوهاب أدراق الفاسي طبيب القصر في عهد السلطان إسماعيل (المتوفى في عام 1746م). وفي بعض أبياتها يقول:

لكنّ مطبخه أنواع فدونكها..
ما بين نقعٍ بسخنِ الماء إلحاحاً
وبين طبخٍ بنارٍ غيرِ فائتةً..
حتى يرى ماؤه في اللون إصباحاً
ثمّ يضمّ له قندٌ قليل إذا..
بشيءٍ فكم فاضل بفضله باحا

وهو فيما سبق يشير إلى طريقتين يعدّ بهما الشاي، إحداهما أن ينقع في الماء الساخن ويترك مدةً طويلة تكفي لمداخلة الشاي كل جزيئات الماء، ثم غليه بعد ذلك. والأخرى هي أن يطبخ على نار هادئة حتى يتأكد امتزاج الشاي بالماء ويتحقق ذلك بتمام الغليان. كما يشير الناظم إلى وجود من يفضّل إضافة القند وهو أحد أسماء السكّر المتجمّد، وذلك قبل شيوع الأنواع المتأخرة من السكّر المسحوق. وهناك منظومة أخرى لم نقع على اسم ناظمها، يقول الناظم في بعض أجزائها:

أمّا بيان شربه فاشتهرا..
له غنى عن البيان للورى
لكن إذا أردت ذاك فضعن..
برّادك الأبيض من صين الزمن
على فويق النار في الكانونِ..
وما يشابهه من الماعونِ
ثم إذا فارَ فخذهُ يا فتى..
ولفّه تحت الثياب ساعتا
ثمّ اشربنه في ذوات النورِ..
من الفناجين من البلّورِ

وكذلك منظومة شهيرة للشيخ أحمد بن أمين المكّي، ومنها ما يأتي:

وإن أردت طبخه يا صاح..
في الليل إن شئت أو الصباح
فخذ من الماء القراح الجيّد..
فصبه في السموار وأوقد
واغليه غلياً جيداً على الولا..
كما أتى في قول بعض الفضلا
لا تغترر بصوته إذا غلا..
حتى ترى البخار في الجوّ علا
ونظّف البراد إن فيه درن..
وضع من الشاهي فيه واغسلن
وغطّه وضع عليه منشفة..
واصبر عليه ساعةً واستعرفه.

يبين المكّي طريقة إعداد الشاي بواسطة السموار، وهي طريقة كانت شائعة في عصره، وما زال هناك من يستخدمها ولكن ليس كما في الزمن الماضي، وهو إناء يشبه البرميل يصبّ فيه الماء ويغلى الشاي بواسطة التعرض لبخاره. وهذا غير ما بينته المنظومة التي سبقتها، حيث تضمنت أبياتها طريقة صنع الشاي بواسطة الكانون، وهو نوع من المواقد يوضع عليه ما يسمى (البرّاد) وهو أبريق للشاي سمّوه البراد لأنّه ما يصب فيه الشاي مغلياً كي يبرد فيه تدريجيًا حتى تصبح درجة حرارته غير مانعة لشربه. ولم يكن من النادر أن يوصف البرّاد بالصينيّ كما فعل صاحب المنظومة فهذا شائع في كثير من الأواني في البلاد العربية بل أنّ الإناء المصفّح الذي توضع عليه أكواب

الشاي يطلق عليها اسم (الصينية) مجرداً من أي إضافة. وسبب ذلك أن كل الأواني قد عرفها العرب تاريخياً بواسطة وفودها إليهم من أرض الصين.

رغم أن الأغلب في شرب العرب للشاي أن يشربوه من دون خِلطة بشيء أو بتذويب بعض السكّر فيه، إلا أن منهم من يمزجه عند تناوله ببعض الأخلاط مثل النعناع وهو أشهر ما يضاف إلى الشاي عندهم، أو بنباتات أخرى مثل الحبق والبردقوش والدوش والليمون وغير ذلك مما هو أقلّ شهرة، وقد قال الشاعر:

ودع كل مشروبٍ سواه ومل له..
إذا كان متقوناً وفي جوفه الحلوا
وضع فيه من طيب يسمّى بعنبرٍ..
كذاك حليبا هو أجمع للشهوا

حيث نرى استحسان الشاعر لإضافة السكّر والعنبر والحليب.

ويقول شاعر آخر:

ألا فاسقني فنجان شاي بعنبرِ..
يفوح شذاه كالعروس المعطّرِ

مما سبق نعرف أن بين إعداد الشاي الصيني والعربي تشابهات ومختلفات. من تشابهاتهما طريقة إعداد الشاي وبعض أدوات الشاي وعادة شرب الشاي الصافي وتعدد النكهات. من المختلفات أنّ الصين هي مسقط رأس الشاي، ففي الشعر الصيني أوصاف كثيرة عن قطف الشاي وصنعه وأدواته، وللمدة الطويلة لعادة شرب الشاي بالصين، فاهتمت بتفاصيل إعداد الشاي، مثل اختيار الماء.

بيئة شرب الشاي في الشعر الصيني

يمكن أن يؤثر المفهوم الفني الذي أنشأته بيئة شرب الشاي بشكل مباشر على الحالة النفسية والعاطفة للأدباء. الشرب في البيئة الأنيقة والهادئة مثل مزاج الشاي يؤدي إلى امتزاج العاطفة بالمناظر الطبيعية، وتصادم الطبيعة والفن، وتحقيق الانسجام والوحدة بين العالم النفسي والعالم الخارجي، لذلك فإن بيئة شرب الشاي توصف كذلك في الشعر.

يمكن أن يشرب الشاي على متن القارب، قال الشاعر "لي جيونغ مين": "حضرتك لا ترى أن "لو يو" لـ"جينغ لينغ" لقب بالمجنون، الدخان الناعم والدينغ الصغير والغلي بمفرده. القارب الصغير والمجداف القصير وعلى الأنهار والبحيرات، في الأغلب تصحبه أدوات الصيد وموقد الشاي". "يو جون" أعطاني الشاي، أعدته بالنبيذ" الصيد على متن القارب، ويرتفع دخان موقد الشاي، في حالة سعيدة ومنفصلة عن العالم وحرر القلب.

ويمكن أن يشرب الشاي بين الزهور. قال "زو هاو" في قصيدة "شرب الشاي مع (تشانغ تشينغ) تحت زهر البرقوق":

"لا تصب كأسًا من النبيذ، اِقْلِ طاستين من الشاي. وداعًا للطموح، ارفع طاس الشاي إلى زهر البرقوق".

يتفتح زهر البرقوق بفخر في الشتاء البارد، ولا يخاف من البرد. له إباء وصلابة لا يتزعزع ومزاج نبيل. فأصبح زهر البرقوق والشاي مجسدان لشخصية نبيلة.

أحب الأدباء أيضًا شرب الشاي تحت ضوء القمر. كان القمر يمثل مشاعر متنوعة لدى الأدباء، مثل: الحنين إلى الوطن أو الإحباط، أو رمزًا للأبدية أو للنزاهة وكريم الأخلاق. ومع شرب الشاي تحت ضوء القمر يمكن إطلاق مشاعر لا حصر لها، وتذويبها في الشاي. قال الشاعر "ون ين بو": "طعم شاي "منغ دينغ" الجديد لذيذ، مشاهدة القمر وتذوق الشاي مع صورة القمر في البحيرة. وغلي شاي "منغ دينغ" الجديد مع (غونغ يي) تحت البحيرة".

ولعل الخيزران والصنوبر هما الضيفان المتكرران في نصوص الأدباء والكتاب، إباء الخيزران وصلابة الصنوبر هما من الصفات الروحية التي يتوق إليها الأدباء، لذا فإن الأدباء مغرمون جدًا بشرب الشاي بين غابات الخيزران والصنوبر. قال الشاعر "قوه شيانغ تشنغ" في قصيدة "يزورني (شو شي) بالشاي" :"بحث عن ظل تحت شجرة الصنوبر، تذوق شاي "جيانشي" مع صديقي". وقال الشاعر "وانغ لينغ" في قصيدة شكرًا

تحميص الشاي الاخضر في أواخر
عهد اسرةتشينغ

الصين هي مسقط رأس الشاي

لـ"تشانغ هي تشونغ" لتقديم شاي "باويون": " تحت غابة الخيزران، وماء ينبوع "هويشان" البارد، نغلي الشاي ونشرب معًا".

بيئة شرب الشاي في الشعر العربي

يظهر استعمال الشاي في جلسات الأنس والمنادمة، فمن ذلك قول عبد الجليل برادة:

أرى كل ما تحوي مجالس أنسنا...
جنوداً لدفع الهمّ سلطانها (الشاهي)

فالشاعر برادة هنا يرى الشاي أهم ما يدفع الهمّ في مجالس الأنس.

وقوله أيضاً:

إذا مجلسٌ للإنس تمّ نظامه..
وما دار فيه كأس شايٍ معنبرِ
لعمري وإن حاز المسرّات ناقصٌ..
وما هو في عدّ المجالس يذكرِ

فلنتأمّل كيف بلغ الشاي عنده إلى أن كل مجلس أنس لا يكون الشاي موجودًا فيه مجلس ناقص وربما لا فائدة من الجلوس فيه أصلاً!

وكما أنّ أهل السكينة والحضور الجادّ يجدون متعتهم في مجالسة من

الأدباء الصينيون مغرمون بشرب الشاي بين الغابات

يماثلهم في ذلك، فإن شارب الشاي من أهل المرح واللهو يجد متعته عند تناول الشاي تتضاعف عندما يكون جليسه مشاركاً له في أنسه، فالشعراء يتنادمون شعراً، وأهل الغناء يسرّون عند شربه ويندفعون للغناء، وكذلك أهل العشق عند لقيا من تهفو قلوبهم إليه. ويلخّص هذا قول الشاعر عليّ بن محمد الحبشيّ:

طاب طعم الشراب من ذا الشاهي..
فتباهى في الحسن أي تباهي
فله مجلس لطيفٌ ظريفٌ.. يذكر
الشخص فيه ما كان ساهي
عند أهل الحضور في حضورٍ..
وعند أهل الملاهي في ملاهي

ويقول الشاعر محمد حسن السقاف:

يوم السرور لقد كسبت أناقةً..
وجمعت أفذاذاً من الشعراء
كأس الشراب يدور فيما بينهم..
في فسحةٍ قد رقّ كالصهباءِ
والأنس قد ضرب الخيام كأنّنا..
سكرى على جبلٍ من الغبراءِ

وفي أثر ندماء اللهو ومتعة تناول الشاي يقول أحد الشعراء:

من الشاي المعنبر هات كأساً..
بروضٍ فيه تبهجنا الزهورُ
وأصوات الكؤوس لها رنينٌ..
كرنّات المثاني إذ تدورُ
لها هزٌ لطيفٌ حين تبدو..
إلى جمع الرفاق وتستديرُ
فلا تبرح إذا مزجت بلهوٍ..
مباحٍ لا يفارقه السرورُ
بلطفٍ هاتها يا صاحُ دوماً..
بلا حدٍّ إذا وجد السميرُ

وبما أنّ الشاي منذ أن وفد إلى أرض العرب أدخلوه إلى عاداتهم وجعلوه أحد أركان اجتماعهم وأنسهم، فمن المفهوم أنهم بسطوا اهتمامهم بالشخص الذي يتصدى إلى مهمة مباشرة الشاي وصبّه للحاضرين وهو من أطلقوا عليه التسميات التي كانت تطلق من قبل على من كان يقوم بصبّ الخمر ومدّ كؤوسه لرواد المجالس وحضورها، ومن تلك التسميات (الساقي) و (المدير) أو (مدير الراح) ونحو ذلك. وكان الثناء على براعة الساقي ونظافته وجودة ضيافته أحد موضوعات أشعار الشاي، بل وكذلك التغزل بجماله وإطرائه إن كان ذلك الساقي امرأة حسناء، وكثيرًا ما انعكست حفاوة متعاطي الشاي بالمشروب على حفاوته بالساقي، كما أنّ الحفاوة بالمشروب يكون باعثها الحفاوة بالساقي في بعض الأحيان. قال محمد طاهر الكرديّ واصفاً إعجابه بشايٍ تذوقه وبعكوف ساقيه عليه:

طيّب العرفِ شهيّ المحتسى..
رائق اللون حلالٌ مستبين
كلّما رمت اكتفاءً قال زد..
شربة أخرى وخذها باليمين

وقال الشاعر عبد الرحمن الأحسائي في فتاة تسقي الشاي:

يا ساقي الشاي يا من..
كساه ربّي جمالا
هات اسقني الشاي صرفاً..
وأعطنيه وصالاً
وإن تزدني فهمّي..
إن زدتَ بالسقي زالا

ولأحدهم شعرٌ في امرأة تصب الشاي فيودّ التقرب إليها فلا يجد السبيل إلى ذلك إلا بتناول الشاي من يدها، فيقول:

لا أشرب الشاي إلا من يد رشأٍ..
تحكيه وجنته والطعمُ من فيهِ
أصبّر النفس إن تاقت لمبسمه..
بحمرة الكأسِ خوفاً من مآقيهِ

وفي كل ما تقدّم ذكره لا بدّ أن يلوح للعارف بالشعر العربيّ مدى الشبه الكبير بين تناول الشعراء المحدثين للشاي وبين تناول الشعراء الأقدمين لأمر الخمر.

بيئة شرب الشاي للصين تهتم بالاندماج في الطبيعة، ولكنها تحمل معاني سلبية كالتشاؤم والسأم مثلاً، مما يكشف عن الحالات النفسية ولواقع بعض الشعراء. بينما تركز بيئة شرب الشاي عند الشعراء العرب في الاتصالات الاجتماعية، وتعكس مواقف إيجابية من الحياة.

وظيفة الشاي في الشعر الصيني

عندما كان "سو شي" مسؤولا في "هانغ تشو"، مرض وفي أثناء مرضه تلقى هدية كانت عبارة عن شاي جديد من صديق له، وكان ذلك بمثابة تلقي الفحم في يوم الثلج. لذا قال "سو شي" في قصيدته "طلب ماء ينبوع "هويشان" من (جياو تشيان زي)" يشكر صديقه: "أشفق صديقي عليّ مريضًا، أرسل لي شايًا جديدًا" من ناحية، ومن ناحية أخرى

كان حريصًا على شرب كوب من الشاي العطري المغلي بماء ينبوع "هويشان"، وهنا يطلب من صديقه (جياو تشيان زي) أن يرسل له إبريقًا من ماء ينبوع "هويشان" أيضًا، لكي يطرد بالشاي المطهو بالماء الجيد المرض من جسده. من وجهة نظر "سو شي"، يمكن لرائحة حساء الشاي أولاً علاج مرضه النفسي، وبعد ذلك سيعمل هذا التأثير الطبي الجيد على جسده، وسيتم تخفيف الألم.

والشاعر "لو يو" يثني على دور الشاي في استعادة النشاط في قصيدة "شكرًا لزيارة (وانغ يان غوانغ) وتقديم الشاي"، فيقول: "أي شيء منعش للعقل! شاي "هي يوان تشون" لـ"لونغ شينغ" هو الأول".

ويقول الشاعر "يانغ وان لي" في قصيدة إنشاد الشعر مع "تشو تشونغ غرونغ" في الربيع": "النحافة ليست بسبب الشعر، لأن الشاي المر يعيق النوم"، ويقول: "أريد شرب الشاي المتبقي، لكنني أستسلم، لأنني خائف من الأرق طوال الليل" (من قصيدة "الصعود إلى منصة "دو جا" في طقس حار جدًا").

يمكن للشاي أن ينعش الذهن، ويبقيه يقظًا، ويثير العواطف ويغذي قريحة الشعر. يقول "لو يو" في قصيدة "صعود الجناح الشمالي": "لعطر الشاي المطبوخ عبق بالأنف، الفرح تدفق على الحاجبين، وتم صقل الجملة". وفي قصيدة "بعد تناول الطعام، جاء شيخ من الجيران للزيارة"، يقول: "يترك عطر الشاي الغني في الفم، يرتفع إلى السماء ويكتمل كتاب". وفي هذا النص تعبير مباشر عن وظيفة الإلهام وإيجاد الدافع الإبداعي بسبب الشاي.

لطالما احتوى الشاي في بلاد الصين على معنى الأدب والاحترام، وهو رمز اللطف مع الآخرين. وإقامة مآدب الشاي لإكرام الضيوف أصبحت عادة في الحياة اليومية لدى جميع شرائح المجتمع، واستمرت حتى يومنا هذا. على سبيل المثال، في قصيدة "هدية إلى الراهب البوذي (هوي بياو) لجبل "هوي" يقول الشاعر "سو شي":"لا شيء لإكرام الضيوف إلا شاي، ما زال

إسكندنيا وشمعيًا حامضًا". (إسكندنيًا نسبة لطعم ثمار الأسكدنيا)

والشاي بصفته النبيلة أصبح هدية شائعة بين الأدباء والمهذبين،

احتفاء العرب بالشاي لم ينسهم الاحتفاء بالساقي

ومن الشائع أيضًا أن يشكر الشعراء بشعرهم على هذا العطاء. يقول الشاعر "لو يو" في قصيدة "مسرور بالحصول على شاي "جيان شي"):"الطعام النادر لماذا أتى إلى الأرض القاحلة! فتح العلبة الفاخرة بالسعادة".

وفقًا للسجلات التاريخية، ففي أواخر أسرة تانغ كان هناك نشاط "منافسة الشاي"، والذي كان نشاطاً لتقييم الشاي يجمع التنافسية والترفيهية والفنية. وفي عهد أسرة سونغ الشمالية، أصبح نشاط "منافسة الشاي" أكثر شيوعًا. ومن أشعار الشاي في عهد أسرة سونغ، قصيدة (الإنشاد مع (تشانغ مين) لـ"منافسة الشاي") للشاعر "فان تشونغ يان" التي تعتبر ممثلا لمشاهد نشاط "منافسة الشاي"، وفيها قال الشاعر: "الدينغ من نحاس "شو شان"، الماء من ينبوع "تشونغ لينغ". يطفو غبار الشاي الأخضر اللامع على حافة مطحنة الشاي الذهبية، تتصاعد الرغى من الكوب الخزفي مثل اليشم الأرجواني الأبيض، كان لونها مثل الثلج وترتفع مثل الأمواج. انظر أي الشاي يتفوق على النبيذ، أي الشاي يتفوق على الريحان". هنا الشاعر تكلم أولاً عن أدوات طهي الشاي؛ دينغ الشاي إناء مصنوع من نحاس "شو شان"، والماء المستخدم هو ماء الينبوع الجبلي. ثم تكلم عن مشهد تصنيع أوراق الشاي؛ عبر استخدام مطحنة الشاي النحاسية لصنع مسحوق الشاي الناعم. ما تلاها تفاصيل لعملية منافسة الشاي؛ في كوب الشاي الخزفي مثل اليشم الأرجواني الأبيض، صب الماء المغلي على الشاي، وتطفو رغوة الشاي على سطح الحساء في أثناء تحريك الحساء، والرغوة بيضاء مثل الثلج وترتفع مثل الأمواج. ويعود انتصار أو هزيمة المشترك بشكل أساسي لرغوة الشاي؛ إذا كانت رغوة الشاي بيضاء ناصعة، ومسحوق أوراق الشاي دقيقًا ومتساويًا، ورغوة الشاي ملتصقة بحافة الكوب بالقوة، فهو الفائز.

والحلقة الأخيرة لنشاط "منافسة الشاي" هو تقسيم الشاي. وتقسيم الشاي هو بالحساء يسكب على رغوة

الشاي لإنشاء شكل كلمة أو مجموعة متنوعة من الصور، مثل فن اللاتيه الحديث. والشاعر "يانغ وان لي" له نص يصف مشهد تقسيم الشاي، فيقول:"يلتقي الشاي والماء، تظهر صورة غريبة على الكوب..... يتم سكب كلمتين من قصيدة "مشاهدة (شيان شانغ إن) تقسيم الشاي جلوسًا في المعبد البوذي الهادئ".

وظيفة الشاي في الشعر العربي

هناك من الشعراء العرب من عبّر عن احتفائه بالشاي لأنه أغناه عن الخمر المحرّم واعتبر هذا من النعم التي جادت به العصور المتأخّرة ومن هؤلاء شاعر حضرموت صالح الحامد:

من جيّد الشاهي استحال عصيرها..
فأتت تحاكي الشهد في جاماتها
فيها غنيتُ عن الذي سلب النهى..
من شأنها والإثم من تبعاتها.

ومنهم أيضًا الشاعر محمد المساوي، عندما قال:

نسخت آية المدامة آيات ..
من الشاي هنّ أمّ الكتاب
فاصطبح من الشاي كؤوساً..
تسامت على كؤوس الشراب

ولعل من أكثر ما لفت انتباه الشعراء العرب عند تجربتهم للشاي هو قدرته على إدخال النشاط والسرور إلى أذهانهم وأبدانهم من دون اقتحام ما هو محرّم عليهم كما هو حاصل عند تناولهم للخمر، وقد قالوا في هذا شعرًا كثيرًا، ومنه على سبيل المثال، قول محمد طاهر الكرديّ:

وهو مشروبٌ حلالٌ سائغٌ.. مهضمٌ لا تخش منه اليبسا

وكذلك قال عبد الوهاب أدراق الفاسيّ:

ظللنا نرشفُ من (أتاي) أقداحاً..
حتى المساء فطبنا منه أرواحاً
ولم يمل أحدٌ منّا على أحدٍ..
سكراً كمثل الذي قد شُرِّب الراحا

ولفظ (أتاي) هو الاسم الذي يطلق على الشاي في بلاد المغرب، ويظهر في أبياته مقارنة بين السلوك المتزن لشارب الشاي خلافاً لسلوك شارب الخمر المنعدم الاتزان.

ومن ذلك ما قاله الشاعر النجفي في قصيدته عن الشاي:

يعيد سرور المرء من غير نشوةٍ..
فاحبب به من منعشٍ غير مسكرِ
لو أنّ ابن هاني فاز منه بجرعة..
لراح بأقداح ابنة الكرم يزدري
ولو ذاقه الأعشى وحُكّم في الطلا..
وفيه لقال الفضلُ للمتأخّرِ

كل أواني الشاي عرفها العرب تاريخيا من الصين

ونلاحظ أن الشاعر النجفي لم يكتف فقط بالتعبير عن إعجابه بالشاي لعدم حرمته وإسكار شاربه، بل هو يزعم أن ابن هاني (أبو نواس) والأعشى سوف يفضلان الشاي على الخمر لو أنهما أدركا زمان دخول الشاي إلى العرب، خصوصًا وإن هذين الشاعرين معروفان عند العرب بعشقهما للخمر وولعهما بوصفها في شعرهما!

وهناك من الأدباء العرب من تطرّق إلى فوائد الشاي الصحية والطبية نفسياً وجسدياً، وأهمّ ما عرجوا إليه أثر الشاي في تصفية الخاطر وطرد الهموم، وكذلك ما اشتهر عن عمله المنبّه الباعث للنشاط، وأيضاً فائدته في تهضيم المأكول. كما قال عبد اللّه بن عقيل:

فيه الفوائد من تهضيم مأكلنا..
كذاك قلبٌ شجيّ ناله وسنُ

قال محمد المبارك الجزائري:

يبهج النفس يكثر الأنس حالاً..
يورث الهضم يطرد الهمّ عنوة

وقال محمد طاهر الكرديّ:

إن كنت كسلاناً ولم تك ناشطاً..
وكنت ضجيعاً للهموم المثقلِ
فبادر بشرب الشاي من بعد أكلةٍ..
تكون إذن في صحة المتعجّلِ

ولكن هناك من الشعراء وأصحاب المنظومات من لم يكتفوا بذلك بل نسبوا إلى الشاي فوائد طبية فيها الكثير من التفصيل ومن هؤلاء: محمد أفندي جاد اللّه الذي أشار إلى أثر الشاي في مقاومة برودة الشتاء وحرارة الصيف بقوله:

تفيدك أيام الشتاء حرارةً..
وفي الصيف ترطيباً إذا مسّك الحرُّ
تروّح أرواحاً روائحُ نشرها..
فكم من همومٍ طوى ذلك النشرُ

وهناك من رأى الشاي مع فوائده المعروفة مفيدٌ أيضًا في فتح الشهية للطعام والجنس ونافع في تجويدهما كذلك وأحد هؤلاء هو سليمان الحوت عندما قال:

وكونوا عليه مدمنين لأنّه..
شفا النفس فيه إن عراها سقامُ

يثير نشاطاً يبسط الكفّ بالندى..
فمن ثمّ كل الشاربين كرامُ
ويكشف غمّ النفس سرّاً وجهرةً..
ويوقظ جفن العين حين تنام
ويفتح باب الشهوتين وخير
ما اشتهته الطباعُ باءة وطعامُ
وفي الوجه يكسو حمرة ونعومةً..
كأنّ بها ورداً سقاه غمامُ

والشاعر عمر باكثير يرى أن الشاي باعث لقول الشعر والسرور به مع الجلساء، فهو يقول:

من أكؤس الشاي قد ثابت قرائحنا..
حتى دنا فاخر الأشعار ننشدهُ
لله من أكؤسٍ حفّ السرور بها..
كم أترع الكأس ساقي القوم ماجدهُ

ومنه قول الشاعر سقاف السقاف:

زيّنوا الفسحة بالشعر وبالشاي اللذيذ

فهو يرى أن الشاي قرين الشعر في المنادمة الجيدة.

وقد تفنّن العرب في تناول الشاي وتداوله، حتى أنّهم لم ينظروا إليه كمحلّ لمتعة التذوّق فقط، بل اعتنوا في التعامل معه كمحلّ لمتعة حاسّة الشمّ وحاسّة البصر، فاهتموا ببيئة تقديمه وتناوله اهتماماً شديداً. وهذا ما يفسّر حرصهم على تناول الشاي في أكواب شفّافة تمكن الشارب من التفاعل مع جمال لون الشاي وصفائه، وهو كذلك ما يفسّر مداومتهم على صبّ الشاي من إبريقه في مجلس الشرب نفسه، ولا يكتفون بتقديم الأكواب من دون حضور البرّاد (الإبريق) الذي يكمن الشاي في جوفه ساخناً. وكلّ ما سبق لا يعادل أهمية نظافة الآنية ومكان تناول الشاي. ويصف أحدهم لون الشاي خلف الزجاج الشفاف، وكذلك رائحته فيقول:

بدا كالتبرِ من خلف الزجاج..
محلّى الرأس من حببٍ بتاجِ
له ريحٌ من النعناع تشفي..
بهبّتها المريض بلا علاجِ

فالشاعر يشبّه لون الشاي بلون الذهب (التبر)، ويصف رائحته بقدرتها على بعث الصحة في المريض زكاءً وإنعاشاً.

وقال الشاعر صالح بن علي الحامد:

من جيّد الشاي استحال عصيرها..
كادت تحاكي الشهب في جاماتها
قد راق منظرها ورقّ زجاجها..
فلعلّه لم يدهقوا كاساتها
لولا انتصاف الكأس خلت بأنّها..
في كفّ ساقيها تقوم بذاتها

فالشاعر يذكر أن الشاي رغم وجوده في (الجامات) أي الكؤوس إلا أنه يسطع كالشهب في السماء، حتى أنّ زجاج الكأس من شدة صفائه كان من الممكن أن يظنّ الشاي منتصبٌ من دون أن يحويه إناء في داخله لولا أنّ الساقي لم يتمّ ملء الكأس إلى آخره

والشاي الصيني والعربي لكل منهما عديد من الوظائف، وهما متماثلان بشكل أساسي من حيث الفعالية الأساسية والوظيفة الاجتماعية والترفيهية.

عندما يمرض شاعر في الصين فالهدية المفضلة له «صندوق شاي»

خلاصة القول:

أولا، يمكن أن يعكس كل من شعر الشاي الصيني والعربي السمات الأساسية لثقافة الشاي الخاصة بهما. ثانيًا، هناك عديد من أوجه التشابه بين ثقافة الشاي الصينية والعربية، ولكل منهما خصائص خاصة أيضًا. ويتمثل أوجه التشابه بشكل أساسي في إعداد الشاي ووظيفة الشاي، ويتمثل الاختلاف في بيئة شرب الشاي وحالات التعبير عنه. أما سبب الاختلاف فيرجع إلى أن الصينيين يوظفونه شعريًا للتعبير عن التهذيب الروحي ويصعّدون صورهم الشعرية من خلاله إلى عوالم فلسفية.

المصادر والمراجع

تشن ون هوا. علم ثقافة الشاي الصينية. (ط1)، بكين: مطبعة الزراعة الصينية (2006).

دونغ يوان كانغ. عادات الشاي ودلالاتها الثقافية في شعر الشاي القديم. مجلة الجمال والعصر (الجزء الثاني)، (8)، 38-35. (2017).

زو يونغ. هَوْ شو تينغ. دراسة أولية لثقافة الشاي التقليدية في شعر الشاي الكلاسيكي الصيني. مجلة الآثار الزراعية، (5)، 49-46. (2015).

شو شيان لينغ. ثقافة الشاي والخمر في الصين. (ط1)، بكين: دار نشر المسرح الصيني. (2005).

ني يان شيانغ. لي لي. دراسة أولية لثقافة الشاي في الشعر القديم. مجلة الآثار الزراعية، (5)، 24-23. (2015).

يو يو. معرض ثقافة الشاي: مزاج الشاي الصيني. (ط1)، بكين: مطبعة الجامعة الوطنية للقوميات. (2002).

*طالب دراسات عليا في جامعة شنغهاي للدراسات الدولية

خلال المؤتمر السابع للحوار الخليجي-الألماني..

تركي الفيصل: التعاون الخليجي-الأوربي ضرورة لتجنب الانزلاق إلى زمن الوحوش.

اليمامة - خاص

قال صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل، رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية والرئيس الفخري للحوار الخليجي-الألماني: إن العالم يعيش لحظة انهيار للنظام الليبرالي الدولي الذي حكم العلاقات الدولية طوال الثمانين عامًا الماضية، مشيرًا إلى أن النظام الجديد لم يولد بعد، لكن ملامحه تتشكّل في أجواء مضطربة وصفها بأنها تشبه "زمن الوحوش"، في استعارة مأخوذة من الفيلسوف الإيطالي أنطونيو غرامشي بعد الحرب العالمية الأولى.

جاء ذلك في الكلمة الافتتاحية التي ألقاها الأمير تركي خلال المؤتمر السابع للحوار الخليجي-الألماني حول الأمن والتعاون، الذي عُقد في برلين يوم الإثنين 27 ذي الحجة 1446 هـ، 23 يونيو 2025 م، تحت عنوان "شراكة إستراتيجية جديدة في نظام عالمي جديد".

وأوضح سموه أن شواهد التفكك العالمي تتجلى في الحروب المتتابعة، من العدوان الإجرامي على غزة، إلى الحرب الروسية الأوكرانية، وصولًا إلى الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان وإيران، فضلًا عن السياسات الأحادية التي انتهجها الرئيس الأميركي دونالد ترامب، التي تقوّض القواعد والأعراف الدولية. وقال: "كنا جميعًا مستفيدين من النظام الدولي القائم، وأخشى أن نكون من ضحاياه إذا لم نتدارك خطر ما هو قادم".

ولفت سموه إلى أن دول الخليج وأوربا كانت من أبرز المستفيدين من النظام الدولي القائم خلال العقود الماضية، محذرًا من أنها قد تتحول إلى ضحايا إذا لم تستجب بشكل جماعي وفعّال للمتغيرات الجيوسياسية العميقة التي يشهدها العالم.

ودعا الأمير تركي إلى توثيق الشراكة بين مجلس التعاون الخليجي والاتحاد الأوربي، مشددًا على أن العلاقات الثنائية الجيدة بين الطرفين لا تكفي لمواجهة التغيرات الجيوسياسية العميقة.

وأضاف أن التعاون الإستراتيجي يجب أن يتخطى النطاق التقليدي ليشمل ملفات حيوية مثل استقرار سوريا، والاعتراف بدولة فلسطين، والتصدي لما وصفه بـ "الوحوش في تل أبيب"، إلى جانب المساهمة في بناء نظام عالمي تعددي جديد.

ورأى سموه أن دول مجلس التعاون نجحت في بناء نموذج للاستقرار والازدهار في منطقة تعاني التوترَ، مُرجِعًا ذلك إلى استقرار الأنظمة السياسية وآليات انتقال السلطة فيها، وهو ما مكّن القيادات الخليجية من التركيز على تنمية شعوبها، وتوظيف الموارد لرفع مستوى المعيشة، وتحقيق السلام الاجتماعي.

وأشار إلى أن هذا النجاح لم يكن ليتحقق لولا رسوخ الأنظمة السياسية واستقرار عملية انتقال الحكم، وهو ما أتاح للحكومات توجيه الموارد نحو رفع مستوى المعيشة، وتحقيق السلام الاجتماعي، في مقابل فوضى عانتْها دولٌ إقليمية أخرى.

وفي سياق حديثه عن رؤى التنمية، أشار الأمير تركي إلى أن رؤية السعودية 2030 ونظيراتها في دول الخليج تعبّر عن مسارات واثقة نحو المستقبل، لكنها تظل رهينة بوجود بيئة دولية مستقرة وآمنة، تتخلى عن السياسات التي زعزعت المنطقة طويلًا وحرمت شعوبها من مستقبل أفضل.

وقال: "لا يمكن أن يتحقق نجاحنا الكامل دون إقليم مستقر، وتعاون بنّاء، ونظام دولي يُدار بحسن نية، ويكفل الأمن والفرص للجميع".

وأضاف سموه أن دول مجلس التعاون باتت اليوم في موقع يسمح لها بلعب دور بنّاء في قيادة المنطقة نحو السلام والأمن، وأن تكون صوت الحكمة في عالم مضطرب، رغم بقاء العديد من التحديات كأخطار قائمة تهدد مستقبل الإقليم والعالم.

وختم الأمير كلمته بالإشارة إلى مقال سابق كتبه في نشرة "برلين بولس" بعنوان "عالم يبحث عن الحكمة: أين ألمانيا؟"، حيث دعا فيه ألمانيا إلى الاضطلاع بمسؤوليتها التاريخية في قيادة الجهود الدولية نحو نظام عالمي جديد.

وأكد أن التجربة الألمانية، بما تحمله من دروس قاسية عن الحروب وتبدلات النظام العالمي، تجعل من ألمانيا دولة مؤهلة لقيادة التغيير نحو نظام أكثر عدلًا وتوازنًا، وأن اعترافها بالدولة الفلسطينية سيكون خطوة عادلة وضرورية لترجيح كفة الاستقرار في المنطقة.

وأضاف أن التاريخ أثبت أن الأفعال غير المحسوبة، مهما كانت نياتها، تؤدي إلى نتائج غير متوقعة، مستشهدًا بتجارب العراق وسوريا ولبنان وأفغانستان، وانتهاءً بالهجمات الأخيرة على إيران.

وكان المؤتمر قد ناقش آفاق تعزيز التعاون بين دول مجلس التعاون الخليجي وألمانيا والاتحاد الأوربي، في مجالات الأمن والسياسة والاستقرار الإقليمي، ضمن عالم يزداد اضطرابًا، وتُعاد فيه صياغة التوازنات الدولية.

المقال

السعودية بعد حرب إيران وإسرائيل: قيادة ما بعد الدخان.

سالمة الموشي*
@EasternEamana

لم تكن الحرب بين إيران وإسرائيل حدثًا عابرًا في سجل الصراعات الإقليمية. لقد كشفت تلك الأيام الاثني عشر عن حدود القوة وعن نهاية مرحلة كانت تقوم على التهديدات المفتوحة والتحالفات المموهة. ورغم أن الضجيج الإعلامي انصب على مشاهد المواجهة وسقوط الصواريخ إلا أن التحول الحقيقي بدأ بعد توقف القتال في الفراغ الذي تركته هذه الحرب وفي سؤال كبير ظل معلقًا: من سيمسك بزمام التوازن بعد أن ضعفت القبضات القديمة؟

في تلك اللحظة ظهرت السعودية كقوة لم تكن طرفًا مباشرًا في النزاع لكنها كانت اللاعب الوحيد الذي خرج من الحرب دون أن يخسر شيئًا ودون أن يلوّح بانتصار بل بما هو أعمق: الجاهزية لمرحلة ما بعد الدخان. لم يكن الهدوء السعودي انسحابًا بل كان اختيارًا محسوبًا في لحظة كانت كل الأطراف تتخبط بين حسابات الردع ورد الفعل. وحين بدأت المعادلات تنهار لم تكن الرياض بحاجة إلى استعراض دور لأنها كانت تمارس هذا الدور منذ ما قبل اندلاع الصراع وتحضّر نفسها لقيادة المرحلة التي تأتي بعد أن تنطفئ النيران. فالحرب لم تكن سوى كشف مكثف لحقيقة أن كثيرًا من القوى التي بدت واثقة على السطح كانت ترتكز إلى بنى رخوة. إيران خرجت وقد تراجع نفوذها الخارجي بفعل الضربات المتعددة وانهار جزء من شبكة إمدادها الإقليمية. وإسرائيل خرجت بردع جزئي لكنها أدركت أنها لا تستطيع تحمل حرب طويلة أمام جبهات متعددة ولا أن تعتمد بعد اليوم على التفوق العسكري وحده في ظل تغيرات جوهرية في توازن القوة حولها. ولبنان وسوريا والعراق وكل المناطق التي كانت تعيش على هوامش الصراعات الكبرى وجدت نفسها بلا غطاء واضح ولا أجندة يمكن البناء عليها.

في هذا المناخ لم تحتج السعودية إلى إعادة تقديم نفسها. كانت معادلتها واضحة: لا صدام ولا فراغ. لا انحياز ولا حياد سلبي. قوة تمارس دورها بحسابات لا تعيش على الماضي ولا ترهن قرارها بتحالفات مؤقتة. كانت المملكة تستثمر بهدوء في بناء علاقات دولية متزنة وفي تعزيز أمنها الداخلي وفي تقوية حضورها الإقليمي من دون أن تضع نفسها في موقع الاصطفاف أو المواجهة العبثية. لذلك حين توقفت الحرب لم تُفاجأ الرياض بالتغيرات لأنها كانت تتحرك بالفعل في اتجاه إعادة تشكيل منطق العلاقات الإقليمية بعيدًا عن التصعيدات الهشة.

لا يتعلق الأمر هنا بتقديم السعودية كقوة توازن فهذا توصيف أصبح قاصرًا عن واقعها الجديد. ما حدث هو أنها بدأت تتحول من فاعل إقليمي تقليدي إلى قوة مؤسسة لما بعد المحاور. لقد انكسر في الحرب منطق "من معنا ومن ضدنا"؟ وظهرت الحاجة إلى نمط جديد من التفكير السياسي تكون فيه الأولوية للقدرة على احتواء النتائج لا إنتاج الصراعات. السعودية دخلت إلى هذه اللحظة بقدرة واضحة على الإمساك بالخيوط المتناثرة ليس من باب الوساطة التقليدية بل باعتبارها الدولة التي ما زالت قادرة على تقديم نموذج استقرار قابل للاستمرار في منطقة تعب الجميع فيها من الفوضى والانقسام.

اللافت أن هذا الدور لم يكن ممكنًا لو لم تكن السعودية قد أعادت في السنوات الأخيرة بناء علاقتها مع نفسها أولًا. الانضباط الداخلي وتحديث مؤسسات

الدولة والتوازن في السياسة الخارجية والتحول في إدارة ملفات الاقتصاد والطاقة كلها عناصر جعلت من المملكة قوة صلبة دون أن تحتاج إلى استعراض هذه الصلابة. وعندما تدفقت التحديات كانت السعودية مستعدة لأن تتقدم لا من موقع الاضطرار بل من موقع الفهم الاستراتيجي العميق لمسار المنطقة ومآلاتها.

مرحلة ما بعد الحرب لا تعني فقط وقف القتال. هي لحظة اختبار لكل الأطراف: كيف ستتعامل مع بيئة جديدة فقدت فيها الأطراف التقليدية كثيرًا من قدرتها على الضبط؟ كيف ستُعاد صياغة أولويات الأمن وإعادة الإعمار وإدارة التحالفات؟ والأهم: من يملك القدرة على بناء خطاب سياسي جديد لا يقوم على ماضٍ مؤدلج بل على معطى واقعي يراعي مصالح الشعوب ويقود الإقليم نحو استقرار طويل الأمد؟

الإجابة الواقعية تشير إلى أن السعودية وحدها اليوم هي من تملك الأدوات التي تؤهلها لذلك. ليست وحدها من حيث القوة ولكنها وحدها التي لم تتورط في حرب ولم تراهن على وكلاء ولم تخلط الأمن بالإيديولوجيا. هذا التماسك في الموقف جعلها تحظى بثقة الأطراف المتقابلة بما في ذلك القوى الدولية الكبرى التي باتت ترى في الرياض شريكًا عقلانيًا يمكن البناء معه على معادلة مصالح جديدة في المنطقة.

في المقابل لا يبدو أن إيران قادرة على استعادة دورها السابق بسهولة. الضرر الذي أصاب شبكات نفوذها الخارجي لن يُرمم بسرعة والشرخ الداخلي الذي تعانيه لن يُحتوى بوسائل قديمة. هي الآن أمام احتمالين: إما مراجعة شاملة تؤدي إلى إعادة تحديد موقعها السياسي وإعادة تعريف دورها الإقليمي أو الاستمرار في إنتاج أزمات جديدة للهروب من الأزمة الأكبر وهي تآكل مشروعها من الداخل.

لكن المشكلة في الخيار الثاني أن أدوات الهروب باتت محدودة. القوة الناعمة التي كانت تراهن عليها إيران باتت بلا جمهور. أدوات التأثير الإقليمي التي غذّتها بالعقيدة والسلاح فقدت كثيرًا من غطائها الأخلاقي والسياسي.

والأهم أن البيئة الشعبية في أكثر من ساحة أصبحت تميل إلى خطاب الدولة الوطنية لا إلى منطق الوكالة والولاءات العابرة. في هذا السياق يبدو أن المشهد الجديد لا يتسع لطهران كما عرفناها سابقًا ولا لإسرائيل التي كانت تعتقد أن أمنها يصنع بالردع وحده ولا حتى للقوى الغربية التي اعتادت أن تملي شروطها على العواصم الضعيفة.

هو مشهد جديد يتطلب من الجميع إعادة التفكير، لكن السعودية تبدو وحدها من استعدت له قبل أن يكتمل. لم تنتظر الانهيار لتتقدم ولم تحتفل بخسارة غيرها بل بدأت بإعادة ترتيب المشهد انطلاقًا من قناعة بسيطة وعميقة: أن المنطقة لا تحتاج إلى من يُدير الصراع بل إلى من يُدير المخرج منه.

ليس من المطلوب أن تتولى السعودية أدوارًا تتجاوز منطق الشراكة الإقليمية ولا أن تحل محل الآخرين في مسؤولياتهم السيادية. ما يُنتظر منها هو أن تواصل ترسيخ نموذجها الوطني الذي يجمع بين التماسك الداخلي والرؤية المتزنة وأن تحتفظ بموقعها كمرجع للاستقرار الإقليمي من دون أن تفرض مسارات موحدة. وتستمر في استخدام مكتسباتها الداخلية كأدوات ذكية لتشكيل بيئة سياسية أكثر اتزانًا وقدرة على الاستجابة للتحديات. ويبقى الأهم أن تحافظ على خطاب سياسي رصين يبتعد عن المبالغة في استثمار اللحظة ويركّز على تحويل التوازن الهادئ إلى نتائج استراتيجية مستدامة.

لقد بدأت مرحلة جديدة في المنطقة عنوانها ليس الحرب ولا التسوية السطحية بل التأسيس لعقد سياسي مختلف. وفي هذا العقد لن تُحتسب الأدوار بناءً على حجم القوة العسكرية فقط بل بناءً على من يملك الرؤية والاستقرار والشرعية الأخلاقية لقيادة مرحلة ما بعد الدخان. والسعودية اليوم بكل بساطة وهدوء هي الأقرب إلى هذا الموقع.

*كاتبة وباحثة في الشأن الإيراني

قضية الأسبوع

هل أفسدت رفاهية بعض الحملات المقاصد الأساسية للفريضة؟

فريضة الحج بين الممدوح والمنبوذ .

إعداد: سامي التتر

انتهى موسم حج هذا العام بنجاح كبير ولله الحمد، حيث تضافرت جهود العديد من الجهات الحكومية لتقديم أفضل الخدمات لضيوف الرحمن وتمكينهم من أداء مناسكهم بكل يسر وطمأنينة، وفق تعليمات القيادة الرشيدة أيدها الله.

ولوحظ في حج هذا الموسم انتشار حملات الحج المخصصة للموسرين أو ما يعرف بحملات الـ VIP التي بالغ بعض مقدميها في الرفاهية المقدمة لأصحابها، ما أثار جدلاً حولها، حيث رأى البعض أن المبالغة في الرفاهية أبعدت الحج عن مقاصده السامية، وهي التفرغ للعبادة وسط أجواء روحانية يتساوى فيها الجميع، فيما ذهب فريق آخر إلى أن تلك الحملات لا يطلبها سوى فئة قليلة من الموسرين الذين يمتلكون المقدرة المادية لاختيار أفضل الخدمات التي تقدمها حملات الحج، وأنه لا بأس بذلك شريطة الابتعاد عن الخيلاء والمفاخرة والرفاهية الزائدة عن الحد، فخير الأمور أوسطها.

وجاء مقال الكاتب د. زياد الدريس، تحت عنوان: «الحج بين المشقة والرفاهية» الذي نشره على منصة X وكان دافعاً لنا لإثارة هذه القضية .

الموسرون مطالبون بمعونة المحتاجين

تحدث في البدء أ. د. عبدالرحمن محمد القرشي مؤكدًا أن شعارنا في كل مناحي الحياة يجب أن يكون «لا إفراط ولا تفريط» فخير الأمور أوسطها، وقد نهينا عن التبذير والإسراف سواء بهذه المناسبة أو غيرها، مستشهدًا بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأنعام/141،

- الاعتدال والوسطية مطلوبان في كافة الفرائض والعبادات

- تكلف المشقة لا يجوز والرفاهية لا تنقص أجر القادرين عليها

- الارتقاء بالخدمات المقدمة للحجاج ديدن حكومتنا الرشيدة أيدها الله

المشاركون في القضية:

- أ.د عبدالرحمن محمد القرشي:
مستشار أسري وتربوي واجتماعي ونفسي وعلاقات زوجية ومدرب مدربين عالمي. مستشار مكافحة العدوى ومؤسس ورئيس الجمعية السعودية لمكافحة العدوى.
مستشار وزارة الحج لصحة البيئة والصحة العامة.

- د.م. أحمد بن عبدالعزيز سندي:
عضو مجلس إدارة الجمعية الخيرية بمكة المكرمة.
رئيس لجنة التطوير العقاري بغرفة مكة بالإنابة.
رئيس اللجنة الفنية الهندسية بالجمعية الخيرية بمكة.

- د.شروق بنت شفيق الشلهوب:
مشرفة تربوية وسفيرة السعادة وجودة الحياة.

- أ. فريدة محمد علي فارسي:
مالكة مدرسة.

- م. ياسر بن أسامة السباعي:
عضو مجلس إدارة شركة مطوفي حجاج الدول العربية سابقاً.

- مسفر بن علي القحطاني:
أستاذ جامعي.

- د. عمرو خالد حافظ:
كاتب ومحلل اقتصادي ومالي.

- أ. محمد سعد القرني:
كاتب اقتصادي

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ الإسراء/27.
وتابع: «للأسف وصلتنا مقاطع لتبذير وإسراف في المأكل والمشرب مبالغ فيه، أطعمة ومشروبات ومياه بالأطنان ملقية في المخيمات، ويمكن أن تفسد وتصبح غير مناسبة للأكل والشرب خصوصًا في الأجواء الحارة، وهذه كارثة تجارية واقتصادية واجتماعية ونفسية، فمن باب أولى الاقتصاد في كل شيء، وما زاد يتواصل مع الجمعيات المتخصصة مثل (إطعام وحفظ النعمة) لأخذ الفائض الجيد لتوزيعه على المحتاجين والمستحقين، فالتبذير في شعيرة الحج وغيرها سوف يحاسب عليها العبد، فالله الله بترشيد النعمة والمال».
وأضاف د. القرشي: «الحج والعمرة مواسم عبادة واعتكاف وتبتل إلى الله بالدعاء وقراءة القرآن الكريم والصدقة والصلاة والصيام وغيرها من الأعمال والأقوال الصالحة المستحبة في هذه المواسم العظيمة، والمشقة غير مستحبة، فالحج لمن استطاع إليه سبيلا كما ورد في القرآن والأحاديث الصحيحة وفي التوجيه النبوي الشريف، ونعم قد يكون للمبالغة في أسعار الحملات دور في أن تصبح ظاهرة خطيرة بحيث يصبح الحج مستحيلًا أو صعبًا على الفقراء والضعفاء والمحتاجين والمعوزين والمساكين، فمن يملك المال اقترح أن يتبرع للجهات الخيرية في بلده وغيرها ممن يعينون الحجاج والمعتمرين لأداء فريضة الحج، بدلًا من الإسراف على نفسه فقط، ويكون له أجر عظيم في معونة الضعاف بما يملكه من خير في تيسير أمور المسلمين الراغبين في الحج ولا يقدرون عليه. وبخصوص الأكل والشرب يمكن وضع كود والتحكم في ذلك باستشارة المتخصصين في التغذية الصحية لوضع الوجبات الغذائية المناسبة صحيًا وغذائيًا، بما يكفي الفرد في يومه وليلته دون إسراف وتبذير.. والله الله في الاقتصاد في الحج وفي جميع أمورنا كلها لأننا سوف نسأل عن مالنا فيم أنفقناه».

التزام المملكة بأفضل خدمة لضيوف الرحمن

من جانبه، أوضح د. م. أحمد بن عبدالعزيز سندي أن خدمات الحج شهدت خلال المواسم الأخيرة تطورًا ملحوظًا، يعكس التحول نحو نماذج تنظيمية أكثر احترافية ومرونة، تراعي تنوع احتياجات الحجاج، ومن بين هذه التطورات، برزت باقات الرفاهية (VIP) كأحد أشكال تحسين تجربة الحاج، من خلال تقديم خدمات مميزة تشمل السكن المريح، النقل السلس، وخدمات إعاشة ذات جودة عالية.
وأكمل: «يأتي هذا التحول كجزء من منظومة تطويرية أشمل تهدف إلى الارتقاء بمستوى الخدمة المقدمة لكافة فئات

www.alyamamahonline.com

الحج يقتضي مستوى عالياً من الأخلاق والروح الجماعية.

ولدى سؤال أ.د. مسفر بن علي القحطاني عن مقاصد الحج ومدى تأثرها بالمبالغة في الرفاهية أجاب: «رحلة الحج هي رحلة العمر التي يزور فيها المسلم البقاع المقدسة ويعيش فيها رحلة التجرد من الشرك والتقرب من الرب سبحانه، وفيها يعلن العبد إخلاصه من خلال إعلانات روحية وعقائدية، متمثلة في إحرامه وطوافه وسعيه ونسكه ودعائه في عرفة، وتنقلاته بين المشاعر وغيرها من مناسك يبذل فيها الجسد جهده والقلب إقباله، هذه رحلة الحج التي يخرج منها المسلم إذا لم يرفث ولم يفسق، كيوم ولدته أمه، خالصًا من الذنوب والخطايا».

وتابع: «هذه المقدمة تقتضي أن للحج طبائعه والتزاماته، فحضور الجميع في مكان واحد وزمان واحد يقتضي مستوى عاليًا من الأخلاق والروح الجماعية، لذلك امتازت الشعائر بالمساواة في الحال واللباس والتخفف من مظاهر التفاخر والتباهي التي لا تنسجم مع مقاصد هذه الرحلة الروحية، بل حث النبي عليه الصلاة والسلام على السكينة والتواضع في المشي والتنقل، لأن الموسم لا يتناسب مع التنافس أو التسابق في عبادة شأنها الخشوع والإقبال الروحي، ومن ثمّ يأتي التساؤل: هل ما يسمى بحملات VIP يتناسب مع مقاصد هذه الرحلة؟، فهذا النوع من الحملات وإن عاشها الحاج بسبب ظروف مكانته أو مقدرته المالية فلا ينبغي أن تسري تلك الرفاهية إلى تصرفات غرضها التفاخر والتباهي بالتصوير وتحدي مشاعر الآخرين، أما تحديد ما ينبغي أن يأكل الحاج في موسم حجه فهو من التضييق الذي لا يتناسب مع طبيعة الحج، فكل حاج له أن يأكل ما يريد ويسكن كما يشاء، إذا تجنب السرف والخيلاء، كما أن تحديد نمط وطبيعة السكن لكل الناس أمر مقبول في رحلة الحج بحيث لا ينزل عن رتبة الطبيعي من النظافة والترتيب وذلك بسبب ضيق ومحدودية المكان، ولو اختص الإنسان برفاهية لا تخرج نحو التباهي والسرف فلا بأس فيها».

الحجاج، في إطار تنظيم عصري يحترم روح النسك ويعزز من كفاءة التشغيل في آنٍ واحد. ولما كانت باقات الرفاهية تمثل أحد أوجه الارتقاء بخدمات الحج، فقد ساهمت بشكل مباشر في تحسين الإجراءات التنظيمية ورفع معايير التشغيل بشكل عام، ومن أبرز تلك التحسينات تطوير «كود الإعاشة»، الذي يهدف إلى توحيد معايير تقديم الطعام والشراب في حملات الحج، بما يضمن الجودة والسلامة ويمنع العشوائية أو التفاوت الكبير بين مقدمي الخدمة. هذا التوجه لا يخدم فقط باقات الرفاهية، بل ينعكس أثره على المنظومة ككل، بما في ذلك الحملات ذات التكلفة المتوسطة أو الاقتصادية، من خلال خلق بيئة تنافسية قائمة على الجودة والانضباط. وتأتي هذه التحسينات امتدادًا لجهود المملكة العربية السعودية، بقيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده حفظهما الله، ومتابعة وزارة الحج والعمرة وجميع الجهات ذات العلاقة، وذلك في تطوير منظومة الحج بشكل شامل ومستدام، بما يواكب تطلعات الحجاج ويرتقي بتجربتهم عامًا بعد عام، وكل ذلك تماشيًا مع الرؤية الطموحة 2030 وبرنامج خدمة ضيوف الرحمن».

وزاد: «التحديث المستمر في البنية التحتية، والتحول الرقمي، وتوسيع خيارات الخدمة، وغيرها من الجهود التي لا تعد كلها شواهد حية على التزام المملكة بخدمة ضيوف الرحمن وفق أعلى المعايير. من المهم أيضًا تصحيح المفهوم السائد لدى البعض بأن المشقة شرط لتمام أجر الحج، وأن الرفاهية قد تنقص من الأثر الروحي أو المردود التعبدي، فالحج فريضة تُقام وفق ضوابط شرعية واضحة، والمقصود منها أداء المناسك بإتقان لا افتعال العناء، بل إن التوجيه القرآني واضح في قوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، وهو أصل شرعي يدعو للتيسير، ويدعم توفير بيئة آمنة للحاج بعيدًا عن المشقة المفرطة أو التعرض للمخاطر. وفي المقابل، لا يعني التيسير الانجراف نحو الإسراف أو المبالغة في مظاهر الرفاهية، التي قد تُفقد الحج معانيه وتبتعد به عن روح التواضع والخشوع، فالاعتدال هو السبيل الأمثل، حيث يُوفَّر للحاج ما يُعينه على أداء نسكه بكرامة وراحة. وفي هذا الإطار، تواصل المملكة العربية السعودية، ممثلة في جميع الوزارات والهيئات والقطاعات المعنية، دورها الريادي في تنظيم شعيرة الحج بما يحقق العدالة والشمولية، ويضمن تقديم خيارات متعددة تناسب مختلف فئات الحجاج من جميع أنحاء العالم. فكما تحرص وزارة الحج أو بعض الجهات المعنية على تطوير باقات الرفاهية لمن يطلبها، فإنها تولي ذات

لست مع التقتير لكني لست مع البذخ أيضاً .

منذ أن شرع الله الحج على عباده المسلمين، ظلت (المشقة) أحد لوازم هذه الرحلة الروحانية. تزيد وتنقص من زمن إلى آخر، ومن فئة إلى أخرى، ومن قُطر إلى آخر. ليست المشقة ضرورة لقبول الحج، كما يظن البعض، وبالمقابل فإن الرفاهية المتناهية، كما يفعل البعض، تخدش روحانية الحج ورسالته التي لأجلها أُمر الحجاج أن يتدثروا بلباس بسيط خالٍ من المنمقات، وموحّد نافٍ للفروقات بين الناس. وفي حين يعمد بعض الزهاد إلى مشقة مفتعلة قد تُضعفهم عن أداء المناسك بالشكل التام، يعمد بعض التجار إلى رفاهية فارهة تُشغل قلوب الحجاج عن التبتل والاستكانة التي هي إحدى قيم الحج ومستهدفاته *** وقد لفتني في حج هذا العام وأعجبني تضاؤل الفروقات بين مواقع الحملات، حيث عمدت الجهات المسؤولة عن الحج والمشاعر المقدسة إلى وضع نموذج (كود) شبه موحد لتجهيز مواقع حملات الحج وتأثيثها، فتشابهت المراقد والمرافق في مشعر منى، والمقاعد القابلة للفرد والطي في مشعري عرفات ومزدلفة ***. أمام انقضاء هذا المجال للتباهي، لم يكن أمام الحملات (التجارية) سوى التنافس في المباهاة برفاهية الأكل! من البوفيهات الفاخرة إلى أسياخ الشاورما وثلاجات الآيسكريم بشتى أنواعه ونكهاته! وقد بلغت المباهاة ذروتها لدى الحملة التي جعلت غداء يوم عرفة خرافاً مشوية على الأسياخ، يأكلها الحجاج وهم على كراسي تتأرجح (أرجوحة!)، تخيل أن يحصل هذا في يوم عرفة ذي الساعات المحدودة، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم بالكاد يأكل فيه لقيمات حتى لا ينشغل عن الذكر والدعاء في أعظم يوم. وقد أُمر المسلمون من غير الحجاج أن يصوموه، فما أوسع الفارق بين الصيام وبين الغداء على خروف مشوي على أرجوحه!! قد لا يمكن وضع كود موحد للأكل، لكن يمكن حث الحملات على تلافي مظاهر البذخ والترف المبالغ فيه ***. سأعيد ما افتتحت به حديثي، بأني لست مع المشقة والبهذلة والتقتير، لكني لست مع الرفاهية والبذخ والترف في مواضع لا يليق هذا بها. هل يمكن لوزارة الحج إيقاف الرفاهية المناقضة لرسالة الحج، أو على الأقل الحد منها؟ هذا هو السؤال الذي يشغلني.!

العناية لباقي الفئات، عبر رفع كفاءة الخدمات، وتحسين تجارب الحجاج بمختلف مستوياتهم. ويُعد هذا التوازن أحد مرتكزات النموذج السعودي الفريد في إدارة الحشود والتنظيم الدقيق لشعيرة الحج، بما يعكس التزام المملكة بمسؤوليتها التاريخية تجاه ضيوف الرحمن».

وختم سندي حديثه بالقول: «يأتي موسم حج 1446هـ كأحد أبرز النماذج التي تُجسد هذا التوجه، حيث شهد قفزات تنظيمية وخدمية تعكس تطورًا استثنائيًا في تجربة الحاج، وتفتح آفاقًا جديدة لمستقبل الحج ضمن رؤية طموحة تُقدّر التنوع وتُعلي من قيمة التيسير، دون إخلال بجوهر الشعيرة، وبينما تتنوع التجارب وتختلف الباقات، تظل روح الحج واحدة، وتظل المملكة رائدة في خدمة الحجاج جميعًا، برؤية متوازنة، وهمة لا تعرف التراجع».

التوازن والعدالة في تقديم الخدمات

وأيدت د.شروق بنت شفيق الشلهوب تقديم خدمات مميزة لبعض الحجاج، مشيرة إلى أن حملات الحج VIP أصبحت خيارًا شائعًا خلال السنوات الأخيرة، وأن تقديم خدمات فاخرة للحجاج الذين لديهم قدرة لا بأس به، لأنه لا يعد ترفًا بل طبيعي جدًا مثل توفير تذاكر طيران بدرجة رجال الأعمال، وإقامة في فنادق قريبة من الحرم المكي، ووجبات يومية في بوفيه مفتوح، وسيارات حديثة للتنقل، وهذه الخدمات تهدف إلى راحة الحجاج ورفاهيتهم أثناء أداء مناسك الحج.

وتابعت: «من الجوانب الإيجابية لحملات الحج VIP:

- توفير خدمات فاخرة ومريحة للحجاج.
- وجود فريق متخصص من المرشدين والمسعفين الطبيين.
- استخدام سيارات حديثة ومريحة للتنقل.
- توفير مساحة واسعة ومريحة في المخيمات.
- توفير الوقت للعبادة لأن الأساسيات متوفرة بطريقة متميزة.

ولكن نجد أيضًا سلبيات لهذه الحملات من حيث:

- الأسعار المرتفعة قد تجعل الحج مقصورًا على الأغنياء فقط.
- قد تُشعر بعض الحجاج بالتمييز بين الحجاج أنفسهم وهذا غير مطلوب».

وأضافت د. شروق: «من جانب آخر، فإن المشقة ليست ضرورة في الحج، بل يُشجع على التيسير والتسهيل على الحجاج، والرفاهية لا تنقص من أجر الحاج، بل إن الله تعالى يُحب أن يُرى أثر نعمته على عباده. أما كون الأسعار المرتفعة لحج VIP قد تؤثر على مقدمي حملات الحج وتجعل الفريضة مستقبلًا للأغنياء فقط، فهذا قد يؤدي إلى حرمان بعض الفئات من أداء الحج بسبب التكلفة العالية. وفيما يتعلق بوضع نموذج (كود) للأكل في الحج،

لكل حُجرة أُجرة

وسألنا م. ياسر بن أسامة السباعي عن رأيه في خدمات الرفاهية التي تقدمها حملات الـ VIP فأجاب بالقول: «(لكل حُجرة أُجرة) ومن الحجاج من يريد خصوصية تامة وكاملة في حَجه، ولا يُمانع دفع الغالي والنفيس من أجل ذلك، وهذا النوع من الحجاج لا يتعدون أكثر من واحد بالمائة من النسبة الكلية للحجاج، لذلك فلا أراها إلّا ظاهرةً صحية ولا تُشكل معضلة حقيقية لباقي الحجاج».

وأضاف السباعي: «أما بخصوص المشقة والرفاهية، فلا شك بأنّ رحلة الحج جُلّها مشقة وتعب وإرهاق وأراه من النوع السلس المحبب، ذلك أنّ أجر تلك الرحلة عظيم يُذهب الذنوب والخطايا، ومن تلك المشقة تفضيل البعض الترجل على الركوب في رحلة المشاعر المقدسة، والتي هي سُنة رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، أمّا الرفاهية فلا أراها إلّا ديدن القلّة القليلة المقُتدرة. وبخصوص أن الأسعار المبالغ فيها لحج «كبار الشخصيات» ستؤثر على مقدمي حملات الحج فلا أرى ذلك والله أعلم، بل إنّ الحج برمته هو (لمن استطاع إليه سبيلاً)، أي هو للمقتدرين فقط «ماديًا وصحيًا» أما غيرهم فليس هو فرضٌ عليهم، والله ورسوله أعلم، والجهود مستمرة وعلى قدم وساق من قبل مقدمي حملات الحج للتحسين المستمر لرحلة الحاج وتجربته، والتنافس قائم بين الجميع لتحقيق رضاه في ظل الإمكانات المتوفرة بالمشاعر المقدسة، وأنا أرى أن الرفاهية في بعض حملات الحج هي مطلب القلّة القليلة من الحجاج، وليست بَعدُ ظاهرةً واسعةً مؤثرةً في راحة وسلامة وطمأنينة عموم الحج والحجاج، فمادامت تلك الرفاهية مباحة فلا أرى منها بأسًا».

فأرى أن تنظيم الأكل في الحج أمر مهم، وقد يكون من المفيد وضع نموذج أو كود لضمان جودة الخدمة ورضا الحجاج، ولكن يوجد بعض الأشخاص لديهم أكل معين وهذا الذي يسبب التعب، والخلاصة أن الرفاهية المبالغ فيها في بعض حملات الحج قد تُشعر البعض بعدم التوازن أو التمييز بين الحجاج، لذا يجب أن تُقدم الخدمات بتوازن وعدالة لضمان رضا جميع ضيوف الرحمن».

الإخلاص وعدم المباهاة والإسراف

ورأى د. عمرو خالد حافظ أن انتشار حملات الحج الـ VIP يعكس تطور الخدمات وتنوع الخيارات أمام الحجاج، وهو أمر طبيعي في عصر أصبح فيه الطلب على الراحة والتنظيم عاليًا، لكن من المهم أن يظل الهدف الأسمى واضحًا: الحج عبادة لا تُقاس برفاهية الوسائل، بل بخشوع القلوب وصدق النية.

وأردف قائلًا: «بخصوص ما يعتقده البعض حول المشقة في الحج، فالمشقة لم تُشرع في ذاتها، بل وردت في النصوص على أنها مما يُضاعف به الأجر إن وقعت، لا أنها شرط لقبول الفريضة، فالرفاهية لا تنقص من الأجر ما دامت النية صادقة والعمل مستوفٍ لأركانه وشروطه. من أُتيحت له وسائل الراحة دون إسراف أو كِبر فحجه مقبول بإذن الله تعالى، بشرط الإخلاص، وإذا أصبح الاتجاه العام يسير نحو رفع التكلفة بشكل غير متوازن، فقد تُقصى شريحة واسعة من المسلمين عن أداء الفريضة، وهذا يتعارض مع مقاصد الشريعة التي جعلت الحج فريضة ميسّرة ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، لذا، من الضروري أن يبقى هناك تنوّع في الخدمات والأسعار، وأن تحفظ الدولة والمجتمع حق من لا يستطيع الإنفاق الباهظ».

وتابع د. حافظ: «فيما يتعلق بفكرة (كود الأكل) قد تكون خطوة مفيدة لتنظيم التغذية وضمان جودة الطعام وتنوعه في بيئة مزدحمة مثل الحج، ولا شك أن وجود معايير واضحة في تقديم الطعام — كالتوازن الغذائي، ومراعاة الثقافات، والاشتراطات الصحية — أمر مهم، لا سيما مع تنوع الجنسيات والأذواق، لكنها تحتاج لتطبيق ذكي يحترم بساطة المناسك دون أن يثقل على الحملات أو الحجاج. أما بخصوص الرفاهية المبالغ فيها في بعض حملات الحج، فهي إذا خرجت عن حدود الحاجة وتحولت إلى مظاهر استعراض أو إسراف فإنها تسيء للمعنى الروحي للحج. الحج رحلة تجرد، تذكّر المسلم بحقيقة المساواة، والافتقار إلى الله، فلا يليق أن يُختزل في تجربة فندقية خمس نجوم على أرض طُلب منا فيها «الإحرام» تواضعًا، والرفاهية المقبولة هي ما يُعين الحاج على أداء نسكه بخشوع، أما ما زاد عن ذلك فقد يكون مدعاة لإعادة النظر».

المشقة ليست ضرورة والله يريد بنا اليسر

من جهته، قال الأستاذ محمد سعد القرني إن حملات الحج المسماه حملات VIP تأتي لتواكب رغبة فئة من الحجاج وفق رغباتهم وقدراتهم المالية، وتلبية احتياج ملح من قبل فئة ليست بالقليلة من الحجاج، ولا أظن أن هناك موانع شرعية، ولكن كون فريضة الحج عبادة لها مكان محدد سمي من يذهب إليه مسافر وشد الرحال للحج والعزم على السفر للفريضة،

فهو على جانب من مشقة السفر تعوذ الرسول صلى الله عليه وسلم من وعثاء السفر وكآبة المنظر (السفر قطعة من العذاب) كما في حديث أبي هريرة المتفق عليه لما يصاحبه من مشقة وتعب وقلة الطعام والشراب والنوم، فالحج غالبًا سفر والحج في ظل خدمات عالية الجودة ليس حرامًا للقادر، ولكن الحاج حين تساوى في لبسه وإحرامه مع غيره من المسلمين فإن التقشف والزهد من القادرين عن بعض الملاذ لفترة قصيرة رغبةً في مزيد الأجر ومواساة للفقراء في الحج هو الأولى في نظري، وهو أسهل وأفضل للتفرغ للعبادة التي هي أساس الحج حتى من الناحية الصحية، فإن كثرة الشبع مجلبة للنوم والخمول المشغل عن العبادة والقراءة والصلاة وذكر الله تعالى، وتقليل الطعام أسهل لحركة التنقل والطواف والسعي والرمي والتنقل بين المناسك والمشاعر، قال عمر رضي الله عنه (اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم). أما عن المشقة وضرورتها في الحج أو غيره للمسلم فليست ضرورة والله يمل إذا مل العبد قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)، وقال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم)، والحج فيه تنوع وحملات متعددة الشرائح، فيها الغالي والمتوسط والأقل سعرًا وفق ضوابط وقدرات وأذواق الحجاج. كما لا يخفى على الجميع أن هناك من يشق على نفسه في عبادته بالجوع الشديد والعطش الشديد والذهاب لأماكن لم تثبت في السنة خاصة في الحج (وقفت هنا وعرفة كلها موقف إلا بطن عُرنه) ومنها حمل الكثير من الأمتعة وصعود جبل الرحمة والتعرض للشمس وإرهاق النفس وإتعابها والمشقة عليها جهلاً وظناً أن ذلك من العبادة، ومن خالف تلك الفئات يرونه على خطأ في حين أنهم هم على خطأ فالمأمول هو التوسط في كل الأمور (فخير الأمور أوسطها).

حج البسطاء مكلل باليسر

في السياق ذاته، كتب الشيخ صالح الحصيّن رحمه الله والذي كان رئيسًا لشؤون الحرمين والحوار الوطني مقالًا بعنوان (تجربة حاج) نشرته مجلة (الأسرة، العدد ٦٩، ذو الحجة ١٤١٩هـ)، قال فيه رحمه الله: «قال محدثي وهو يقص تجاربه في الحج، لقد جربت الحج الترفي لأكثر من خمس حجج، كنت فيها في أيام منى أحتل لوحدي غرفة تحتوي كل التسهيلات والخدمات التي توجد عادة في فندق جيد، وفي نهار عرفة كنت أحتل خيمة كبيرة تحيط مع زميلاتها بفناء واسع رحيب، وكنت أتنقل بين المشاعر مستخدماً سيارة خاصة فارهة، ولكني مع ذلك كنت أعاني التعب والإرهاق في أداء المناسك كواجبات مفروضة شاقة وعزائي – من مشقة أدائها – ما أرجو من قبول وثواب. واقترح عليّ صديق عزيز أن أجرب الحج اللاترفي، حج البسطاء من الناس – وهم نسبة كبيرة من الحجاج تقدرهم وزارة الحج بأكثر من الثلث – واعداً بأني سوف أمر بتجربة فريدة، وفي سانحة من ميل النفس إلى المغامرة، والملل من الروتين استجبت لاقتراح صديقي، فاستغنيت عن مظاهر من التكلف كنت أراها مهمة للإعداد لممارسة أعمال الحج، واكتفيت من السكن والطعام بما يكتفي به عادةً البسطاء الذين تخلصوا من رق التكلف، ولم أستعمل في تنقلاتي بين المشاعر غير وسيلة نقل واحدة قدمي اللتين كانت إحداهما – بالصدفة – تعاني من جرح حديث العهد. ودهشت للسهولة واليسر الذين تمت بهما أعمال الحج وكانت أبعد مسافة بين المشاعر المسافة بين حدود عرفة وحدود مزدلفة، وقد قطعتها بدون كلفة في ساعة وعشر

أ. محمد القرني

ا.د عبدالرحمن القرشي

د. عمرو حافظ

د. م أحمد سندي

د. شروق الشلهوب

أ. محمد القرني:
الأولى التقشف والزهد في أيام الحج

أ. د. عبدالرحمن محمد القرشي:
التبذير والإسراف منهي عنهما وخير الأمور الوسط دون إفراط أو تفريط

د. م. أحمد بن عبدالعزيز سندي :
تطوير منظومة الحج هدفه الارتقاء بمستوى الخدمة المقدمة لكافة فئات الحجاج

د.شروق بنت الشلهوب:
راحة الحجاج ورفاهيتهم أثناء أداء مناسك الحج هو المقصد الأسمى.

د. عمرو خالد حافظ :
تطور الخدمات وتنوع الخيارات أمر طبيعي في عصرنا الحالي

لا يجب أن يكون الحج مقصورًا على الأغنياء

توجهنا بسؤال إلى الأستاذة فريدة محمد علي فارسي حول تأثير الرفاهية في بعض حملات الحج فأجابت بقولها: «لا شك أن حملات الـ VIP ستؤثر على الحج بطريقة سلبية، لأن حصول شخص على مساحة تكفي في العادة لخمسة أشخاص في منطقة محدودة ستحرم الكثير من المسلمين من أداء الفريضة، مبرزة أن المشقة ليست ضرورية، لكن الرفاهية المبالغ بها تقضي على أهم مقاصد الحج وهو التعارف والتساوي بين الحجاج».

وأكملت: «لقد أصبح الحج في السنوات الأخيرة مقصورًا على الأغنياء فقط، وهذا مما يؤدي إلى شحن المشاعر لدى البعض، وهو مخالف لما أوصانا به ديننا، فالحج في نظري هو رحلة روحية يختلي فيها المسلم بربه ويكون الطعام - على أهميته - هو آخر هم له، أما الرفاهية المبالغ بها فهي في نظري أبعدت الحج عن الهدف الحقيقي له، وهو هجر الأمور الدنيوية والتفرغ للعبادة دون تفاخر وتنافس، في رفاهية ليس وقتها ولا مكانها موسم الحج».

دقائق، وبالرغم من أني أخطو نحو السبعين من سني العمر فلم يخطر ببالي أن أشكو من تعب المشي، إذ كنت وأنا أقطع تلك المسافة أرى عن يميني معوقاً يدفع عربته – عربة المعوقين – بساعديه، وعن يساري عاجزين على كرسي ذي عجلات يدفعهما قريبان أو صديقان لهما، وكانت أمامي سيدة باكستانية تحمل طفلها الرضيع على كتفها وتجر وراءها طفلين أكبرهما في الرابعة من العمر، ولا أظن أن هؤلاء هم كل العجزة بين المشاة اجتمعوا بالصدفة حولي، بل كنت على يقين أن أمثالهم كثيرون بين طوفان البشر المشاة المتخففين من أحمالهم، أو الحاملين مثلي حقائب الظهر أو الفرش أو خيمة صغيرة كما يفعل حاج يماني طاعن في السن. كان أمراً مدهشاً أن أحس لأول مرة أن أداء الحج يمكن أن يكون سهلاً ميسراً لا عنت فيه ولا تعقيد، ولكن أكثر من ذلك أن أجرب أحاسيس ومشاعر جديدة، فقد جربت أن أستمتع حقاً بأداء العبادة، لا لأن العبادة تعطيني فقط الأمل في الثواب، بل لأنها بالإضافة إلى ذلك كانت نفسها مصدر متعة، كنت أشعر بالقرب من أخي الإنسان والتعاطف معه وأتمثل عملياً معنى "إنما المؤمنون إخوة "، وأدركت مقاصد للحج من الغريب أني لم أدركها من قبل، ومن هذه المقاصد:

١- رياضة النفس على الصبر والتحرر من عادات الترف والتكلف، وهذا واضح من أن الحج لما فرض – في الإسلام – كان يوجب على الرجل الامتناع عن الطيب وبعض مظاهر الزينة، مكتفياً بالبسيط من اللباس، ضاحياً للشمس مدة السفر من ذي الحليفة – ميقات المدينة – إلى مكة المكرمة، وهي عادة عشرة أيام، ويفرض على المرأة التي كان النقاب والقفاز يحميان نضارة ونعومة يدها أن تخلعهما وأن تضحي للشمس كل هذه المسافة سافرة الوجه بارزة للشمس والكلف والغبرة، ممتنعة عن الطيب ومظاهر أخرى للزينة.

وقد وصف الحج بأنه (جهاد) لا قتال فيه ووصف الحجاج بإنهم يأتون ﴿رجالاً وعلى كل ضامر﴾ وإذا كانت الراحلة ضمرت من مشقة السفر ووعثائه فكذلك راكبها.

٢- اجتياز دورة تدريبية في التواضع، فقد حج – أسوتنا – صلى الله عليه وسلم – على رحل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم، وقال: "اللهم حجاً مبروراً لا رياء فيه ولا سمعة". والتواضع ليس فقط قيمة أساسية من قيم الإسلام، بل هو مصدر لتوليد وتطوير وتنمية عدد من القيم الإسلامية الأخرى، ونقيض التواضع الكبر. والآيات القرآنية التي وردت فيها مادة (كبر) وما اشتق منها تبلغ اثنتين وأربعين آية، وكلها تبين أن الكبر سبب الضلال أو نتيجته أو سمة الضالين أو وصفاً سببياً لاستحقاق العقاب الدنيوي والأخروي، والمتواضع قادر على تحقيق الوسطية (سمة الإسلام) وبالعكس فلا ترى غالياً أو متطرفاً في أحد الجانبين إلا وفي صدره كبر ما هو ببالغه.

٣- وجود فرصة للمسلم لكي يرى الحياة على حقيقتها، فتنكشف له حقائق الحياة كما سوف تتكشف له عند الموت، فيعلم أن كثيراً من الأمور التي اعتاد أن يراها مهمة، أو ثمينة، ولا يمكن الاستغناء عنها غير مهمة ولا قيمة لها، ويمكن الاستغناء عنها، ويرى الفروق التي أوجدها الناس بين الناس فروق اصطناعية وزائفة ولا وزن لها في ميزان الله، فإذا أجبرته ظروف الحياة على مراعاة هذه الفروق وانعكست على جوارحه الظاهرة ولم يتأثر بها قلبه الذي يبقى شاهداً على الوحدانية، موقناً بأن الحياة الدنيا متاع الغرور».

المقال

د. باسل الحاج جاسم *

الصمت بين إيران وإسرائيل ..

خدعة أم استراحة محارب؟

رغم إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بين إيران وإسرائيل، فإن المشهد الإقليمي لا يوحي بأن الهدوء الحالي يمثل نهاية للصراع، بقدر ما يعكس هدنة مؤقتة تمليها الضرورات السياسية والاستراتيجية لكلا الطرفين.

فالقتال الذي انفجر مؤخرًا في مواجهة جوية مباشرة امتدت لأكثر من عشرة أيام، لم يكن سوى امتداد لحرب ظل طويلة خاضها الطرفان عبر وسطاء ومناطق نفوذ متداخلة. لكن إعلان التهدئة لا يوازي بالضرورة بداية مسار سياسي واضح، إذ لا تزال بنود الاتفاق مبهمة، ولم يُعرف ما إذا كان سيُستكمل باستئناف المفاوضات النووية المتعثرة بين واشنطن وطهران.

في هذه المرحلة، يبدو أن كل طرف يسعى لتثبيت مكاسب آنية دون الانجرار إلى مواجهة شاملة. فواشنطن، المرهقة من أعباء تدخلاتها العسكرية السابقة في الشرق الأوسط، ليست مستعدة للتورط في نزاع جديد. أما إيران، التي تواجه ضغوطاً داخلية خانقة وتراجعاً في قدراتها العسكرية، فتُفضّل شراء الوقت عبر تسويات مؤقتة. ومن جهته، وجد ترامب نفسه في معادلة داخلية دقيقة، بين تيارات تنادي بالانعزال وتلك التي تطالب بدعم غير مشروط لإسرائيل.

من جهة تل أبيب، فإن الاستمرار في التصعيد بدا مكلفاً وغير مضمون النتائج، بعد تحقيق أهداف عسكرية نوعية مثل استنزاف البنية الصاروخية الإيرانية واستهداف البنية القيادية للحرس الثوري. كما أن الحفاظ على التنسيق الوثيق مع الإدارة الأمريكية اعتُبر أولوية، خاصة في ظل تعقيدات الداخل الأميركي.

في المقابل، تسعى إيران إلى تفادي مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة، وتريد كبح الضربات الإسرائيلية المتكررة على منشآتها الحيوية. استمرار التوتر قد يدفع البلاد نحو اضطرابات داخلية واسعة، ما يجعل أي تصعيد إضافي بمثابة مقامرة وجودية للنظام.

أما على الصعيد الإقليمي، فإن وقف إطلاق النار قد يهدئ مخاوف الدول المجاورة، التي تخشى من سباق التسلح النووي بقدر ما تخشى من اندلاع حرب مدمرة على أراضيها أو بالقرب منها. ورغم أن بعض القوى ترحب بأي تهدئة، فإن الشكوك تبقى قائمة، خصوصاً من جانب طهران، التي لا ترى في التهدئة ضماناً بعد سوابق عديدة أُجهضت فيها التفاهمات بفعل الهجمات الإسرائيلية، حتى أثناء فترات التفاوض.

منذ هجوم السابع من أكتوبر 2023، بدا أن حكومة نتنياهو تحوّلت إلى مقاربة أمنية أكثر صرامة، ترتكز على فرض الهيمنة الإقليمية وردع الخصوم، لا على تسوية الخلافات. هذا النهج يجعل أي اتفاق طويل الأمد مع إيران خيارًا غير مرجّح، بل أقرب إلى الوهم.

ورغم الضربات الموجعة التي تلقتها منشآت إيران النووية والعسكرية، فإن النظام لم ينهَر، بل يُظهر مرونة لافتة في امتصاص الصدمات والبحث عن فرص لاستعادة قدراته. التاريخ الإيراني حافل بمحطات مشابهة، أظهرت قدرة طهران على المناورة وإعادة التموضع دون التخلي عن ثوابتها الأيديولوجية.

مثّلت الجولة الأخيرة اختبارًا نادرًا لحدود القوة والردع لدى الطرفين. إسرائيل تعتبر أنها أحرزت تفوقاً جوياً شبه مطلق بعد تحييد الدفاعات الإيرانية، فيما ردت طهران بمزيج من الصواريخ والطائرات المسيّرة، نجح بعضها في تجاوز الدرع الدفاعي الإسرائيلي، مستهدفة مراكز حضرية كبرى، في رسالة مزدوجة مضمونها الردع ورفع كلفة المواجهة.

غير أن الرد الإيراني، رغم زخمه، لم يوقف التصعيد الإسرائيلي، بل دفعه نحو مراحل جديدة. العمليات التي وصفتها تل أبيب بـ"الوقائية" تحمل في طياتها أهدافاً أبعد من مجرد تعطيل البرنامج النووي الإيراني، وربما تصل إلى محاولة تقويض تماسك النظام ذاته.

منذ الحرب الإيرانية-العراقية، تعلمت طهران فن التراجع التكتيكي لتحقيق أهداف استراتيجية بعيدة المدى. فالمرونة السياسية ليست تنازلاً دائماً، بل أداة لإعادة التموضع. النظام الإيراني، حتى عندما يظهر استعداده للحوار أو التفاوض، لا يتخلى عن جوهر خطابه القائم على مقاومة النفوذ الغربي، وأي تراجع كبير يُعتبر بمثابة هزيمة لا يُمكن التسليم بها داخليًا. الحديث عن إغلاق مضيق هرمز ظل دائمًا جزءاً من أدوات الضغط السياسي، لكنه عملياً يفتقر للجدوى. فإغلاق الممر البحري الحيوي سيضر بإيران أكثر مما يضر بخصومها، وسيُعرضها لعقوبات دولية صارمة ويهدد علاقتها مع شركائها التجاريين، خصوصاً الصين. كما أن الجغرافيا لا تمنح طهران سيطرة كاملة على الممر، الذي يقع جزء كبير منه ضمن المياه العمانية.

لقد نجحت إسرائيل، في الحفاظ على تفوقها الجوي، وراهنت على اجبار إيران على تحويل ترسانتها الصاروخية من الهجوم إلى الدفاع. في المقابل، تبنت طهران معادلة التصعيد المضاد، في رهان على إحداث اهتزازات داخلية في إسرائيل، سواء سياسياً أو اقتصادياً، عبر ضربات دقيقة ومحدودة ولكنها مؤثرة. في النهاية، لا يعكس وقف إطلاق النار تحوّلاً نوعياً نحو حل سياسي شامل، بقدر ما يؤكد حالة من الردع المتبادل، في إطار توازن غير مستقر، قابل للانهيار عند أول تغير في موازين القوة أو المزاج السياسي الدولي.

* باحث ومستشار سياسي

أعلام في الظل

مع صلاح بن هندي وخالد الحيدر..

البحر والمرأة وحكايات أخرى.

محمد بن عبدالرزاق القشعمي

زارني قبل أيام ثلاثة من شباب الأحساء، أعرف أحدهم الكاتب أحمد الهلال قبل عقدين إذ كان يُدرّس بالخفجي ويكتب بصحف الكويت، انتقل عمله للأحساء واستمر بالكتابة بجريدة اليوم وبالمجلة العربية أحياناً، وزارني بالرياض أثناء معرض الكتاب واستمر التواصل بمعرض الكتاب بالقاهرة وغيره، وأهداني على التوالي مؤلفاته: (لست من هذه الطائفة)، و(خطيئة السؤال)، و(خريف المثقف).

اتصل بي الأخ صلاح بن هندي من الأحساء لأول مرة يسألني: هل سبق أن كتبت عن الأستاذ عبدالله شباط؟ أو لماذا لم تكتب عنه بصفته من رواد الصحافة بالأحساء؟ فأجبته: بأني كتبت عنه وتجده بالجزء الثالث من (أعلام في الظل)، وعندما علم أنه من مطبوعات نادي المدينة الأدبي، قال أنه سيكتب لهم للحصول عليه، فقلت له لو تيسر لكم زيارة للرياض أو تكلف أحد الأصدقاء بالاتصال بي لأهديك الكتاب، ولكوني أول مرة اسمع مداخلته على هامش محاضرة ألقاها الأستاذ أحمد الهلال بالأحساء عن المفكر البحريني محمد جابر الأنصاري، قبل أشهر، انتهت المكالمة برغبته بزيارتي بالرياض فرحبت به وطلبت منه إبلاغ الهلال برغبته فقد يرافقه، وهكذا كان فقد تمت الزيارة ورافقهما الشاعر خالد الحيدر. وقضينا ساعتين في الحديث عن الشأن الثقافي، وعن ذكرياتي بالأحساء 1398-95-هـ/1978-75م عندما كنت أعمل بمكتب رعاية الشباب، وكانوا وقتها أطفالاً لم يدخلوا المدارس بعد.

قدم لي الأخ صلاح بعض ما نشر له: ((ومزقت قناعي)) مجموعة مقالات وتراجم لبعض العلماء.

و(مراهق في متاهات العقيدة) سيرة فكرية، يصف فيها شبابه ومراهقته وتعلقه بالكتب الدينية والفلسفية وقال ((لقد عشت وقتها تخبطات فكرية وعقدية رهيبة، وكان عقلي الطري مثل سفينة تتقاذفها الأمواج يمنة ويسرة.. كنت أقرأ هذه الكتب دون أستاذ ينير لي الطريق، فكنت أتخبط في شراك الأقوال والآراء.. وفي السادسة والعشرين من عمري وجدت طريقي إلى ندوة الشيخ أحمد المبارك الأدبية الأحدية.. ثم حصل بعد ذلك تغير طرأ على حياتي الثقافية والفكرية..))ص34.

والكتاب الثالث (ثمالة الغوص) مجموعة قصصية، تحكي زمن الغوص والبحث عن اللؤلؤ في أعماق البحار، مما يسمعه ويسجله من روايات من بقي على قيد الحياة من كبار السن من الذين كانوا يعيشون على ما يجود به البحر.

وهو الكتاب الذي يحسن التوسع في تناوله، لوجود مسميات ومصطلحات لم تعد معروفة لانتهاء زمنها وكلها تتعلق بالبحر ومهنة الغوص في أعماقه للبحث عن كنوزه. مع الحذر من غدره قال عنه في المقدمة: ((.. هو ليث جاثم في عرينه، ووحش كاسر مخيف، إن جاع ابتلع، وإن شبع قنع، كم من بحارة ابتلعهم كما ابتلع (كرونوس) أولاده!!- .. أنه لم يشخ ولم يهرم، لأنه يعيش شيخوخته جزراً كئيباً، ثم يستعيد شبابه مداً صاخباً، وكما يستبطن الشيخ الهرم التجارب والذكريات، يستبطن هو الحيتان والأسماك واللآلئ البراقة. هو البحر غُصْ فيه إذا كان راكداً.. على الدر واحذره إذا كان مزبداً..)).

وقال: ((.. وما أشجع بحارة الخليج حين دخلوا البحر على متون (خشبهم) التي صنعتها (قلاليفهم) عرايا إلا من (وزرة) بالية، تستر عوراتهم وأجسامهم السمراء، التي لوحتها أشعة الشمس.

جاءوا إلى البحر، ليوقظوا أمواجه، ويقضّوا مضجعه!! نزل (غاصتهم) قاعة دون سلاح، ممسكين بحبل (الزبيل) الذي ربط به رصاص أو حجر ثقيل، كي يسرع وصول الغيص إلى قاع البحر، كل واحد منهم يضع (الفطام) على أنفه والمكتل (الديين) في عنقه، كي ينزعوا المحار من فك البحر المفترس!! ووحوش البحر تحدق بهم. فإذا ما امتلأ المكتل بالمحار، وأحس الغيص بانقطاع نَفَسه، حرك حبل (الجدا) المتصل بالمكتل، إشارة منه للسيب الذي يقف على سطح السفنية، بأن يجر الحبل، فإذا صعد إلى السفنية، نثر السيوب هذه المكاتل وراحوا

يفلقونها بمفلقة تعودت على فتح فم المحار كي ينطق بالدر واللآلئ التي في جوفه. هذا اللؤلؤ هو ما أغراهم بمصارعة البحر وأهواله، وجعلهم يتحدون أبا البحر (بو درياه) الذي كان (بو سيدون) كما عند الإغريق و(نبتون) عند الرومان!!..)) ص7-6.

عندما وصلت إلى اسم (الديين) تذكرت اسم الأستاذ المؤرخ أحمد الديين بالكويت صاحب مكتبة ومجلة (قرطاس) والذي قابلته وأنست به. فاتصلت بالمؤلف ابن هندي، متمنياً لو وضع قائمة في آخر الكتاب أو في الهوامش لتفسير تلك المسميات المنقرضة. فاكتفى بتعريف (الديين) وهو في الأصل (الدجين) ولكن نطق أبناء الخليج يقلبون الجيم ياءاً، وهو المكتل الذي يعلق بعنق الغواص ليجمع به المحار وقت الغوص أما بقية التعريفات فقد تركها بمسمياتها القديمة ليسأل القارىء عنها أو يعود إلى جوجل فلديه الخبراليقين.

ولعلي استعرض على عجل بعض ما تناولته هذه القصص من المسميات التي لا يعرفها غير أهلها. والذي شجع المؤلف على كتابته هو مقابلته (لسبع البحر) النوخذة (سلطان بن كايد) والذي قال يصف البحر: ((.. البحر يشبه الإنسان، أو العكس هو الصحيح، لأن البحر خلق قبل الإنسان. البحر يحب ويكره، ويسخط ويرضى، البحر يا ولدي عاشق كبير وقديم، عاشق لليابسة ومن عليها فالمد الذي نسميه (السجي) هو لهفة البحر لمعشوقته لما يغمر الشاطئ بمياهه. والجزر الذي نسميه (الكراح) هو هجر البحر وابتعاده عن معشوقته.

البحر يتألم ويكتئب ساعات، البحر مثلنا يا ولدي، أحياناً يغضب من البحّارة فيكون مثل الوحش الكاسر، وأحياناً يحن ويعطف عليهم، فيهدهد مركبهم بهدوء وكأنه أم تهز (منز) رضيعها، لينام ويرتاح.

البحر كائن حي، مثل الحصان يحس بصاحبه وصاحبه يحس به. (البحر صديقي من زمان، شافني صبي وشافني شباب وشافني رجال كبير، فهو أعرف المخلوقات بي)، ص13.

ومن المسميات الخاصة أو المصطلحات البحرية: (كاتلي) و (المجدمي) و(صمخ النواخذة) و(السيوب) و(النهام) و(خواهر) و(تباب) و(السحتيت) و (غمري)

و(التركيت) و(بندول) و(دبوسة) و(البوم) و(الجدا) و(السيب) و(الدشة) و(طبعة) و(وحش الكانة) و(سكوني) و(الدقل) و(تباب) و(القفال) و(القلاف) و(بندول) و(الغيص) و(الزيبل) و(التسقام) و(السلف) و(الخرجية) و(رضيف) و(البروة) و(الخن) و(الشلامين) و(فنة السدر) و(مجادح) و(مناقر) وغيرها.

((.. ها هو البحر الوديع يبدو في عيني كأسد نائم، ما أن يشعر بالمراكب تمخر عبابه، حتى يستيقظ فيخرج مخالبه على شكل أمواج عاتية، تفترس المركب بمن عليه..)) ص49.

تذكرت أغنية (غدار يا بحر) للثلاثي جواد الشيخ وعبدالرحمن الحمد ومحروس الهاجري والتي اشتهرت قبل سنوات. أعرف من كلماتها: غدار أعرفك يا بحر

ضحكت أمواجك تسل السيوف
تطعن في الظهر
خذ يا بحر كل ما تبي
اللؤلؤ والمرجان والثوب الحرير

كل الحلي صارت رماد
فدوة لعيون السندباد
فدوة لكم يا عيون هلي
خذيا بحر كل ما تبي
بس يرجع المحبوب طول في السفر .. غدار أعرفك يا بحر.. الخ.

أما الشاعر خالد الحيدر، والذي أهداني ديواني شعره (وشوشات الصمت) و(المرأة شباك الدنيا) الذي قال في مقدمته: ((.. ومنذ أكثر من ثلاثين عاماً مضت أي من عام 1409هـ أيام دراستي في قسم اللغة العربية، حيث درست العروض وبدأت كتابة الشعر.. ومن حسن المصادفات في تلك الفترة أنني التقيت ذات ليلة بالأديب الدكتور راشد المبارك، واقتنصت تلك اللحظات فأسمعته بعضاً مما كتبت فقال لي أنت شاعر، وشجعني ونصحني بارتياد أحدية الشيخ أحمد المبارك. وبالفعل داومت على حضور الأحدية سنوات وشاركت مرة بقصيدة عن المعلم، والقاها أيضاً بعض الطلاب في مسرح إدارة التعليم. انقطعت عن الشعر بعد ذلك، ودام هذا الانقطاع لسنوات.. ومع تقدم السنوات وانصرافي عن الشعر والأدب تفاجأت بأنني لم أحقق ذاتي في هذه الحياة، وتحقيق الذات كما هو معروف لا يكون إلا بالكتابة عنها.. وعبرت عن ذلك بقولي:

ولما أن عييت وزاد بأسي
خلعت عباءتي وأرحت نفسي
فما أقسى الحياة إذا تقضّت
وكل رغائبي بيعت ببخس
أخيراً قد صحوت ودق جرسي
وكاد العمر في النسيان يمسي

وبعد صدور دواوين ومؤلفات لمن حولي من الأصدقاء.. أصبحت لدي يقظة أدبية، وأخذت اتعافى شيئاً فشيئاً من هذا السبات العميق، والموهبة لا تموت، ولكن يعلو عليها غبار السنين.. بعد هذه الرحلة المترنحة استقرت راحلتي ورست مراكبي على جزيرة الحس والخيال، جزيرة الشعر، فخلال العام المنصرم وهذه السنة انهالت علي القصائد بفضل الله وتشجيع رفقاء دربي شباب البنديرة، وهم شباب لامعون في ميدان الثقافة والأدب، وأخص بالذكر صديقي الأديب الأستاذ صلاح بن هندي الذي استفدت من توجيهاته الشيء الكثير..)) ص8.

تحية إعجاب وتقدير لهؤلاء الشباب.. متمنياً للجميع التوفيق ومواصلة المسير.

أبطال حالات الإعاقة يروون قصصهم الملهمة.

حديث الكتب

أ.د. صالح الشحري
@saleh19988

بحمد الله تعددت الكتب التي تتحدث عن أصحاب الهمم، وهم ممن يُطلق عليهم أصحاب الاحتياجات الخاصة، أى الذين ولدوا بإعاقة لسبب ما، وقد سموا أصحاب احتياجاتٍ خاصة لأنهم يحتاجون رعاية وتأهيلا مختلفا عما يحتاجه معظم الناس. أضرب مثالا بثلاثة كتب رائدة، كتاب " همم قهرت المستحيل" للدكتورة هند إدريس المتخصصة في التعليم الخاص، وكتاب " في بيتنا متلازمة داون " للروائية كواكب منصور النجار " ، وكتاب " سطور مضيئة معهم " للكاتب محمد توفيق بلو، وهو كاتب وناشط اجتماعي في مجال تأهيل أصحاب الاعاقة البصرية، وكان الرئيس المؤسس لجمعية إبصار. اللافت للنظر أن المؤلفين جميعا لهم تجاربهم الخاصة -من خلال أسرهم - في التعامل مع أصحاب هذه الحالات، وكلهم مثل لامعة على النجاح والتفوق، وتجاربهم ملهمة لغيرهم. أهمية هذه الكتابات لا تقتصر على تشجيع الآخرين وإضاءة الطريق أمام المحتاجين منهم، ولكنها أيضا تشجع المجتمع على التعاون لكى يتأهل نفسيا واجتماعيا للتعامل مع هذه الحالات، ومن خلال عرض الحالات نكتشف ما يستجد مما يستدعى استجابة المجتمع للتعامل الإيجابي معهم، تدلل النماذج التى نتعرف عليها من خلال هذه الكتب أن أكثر هؤلاء يصبحون إضافة إلى المجتمع، ودليلا على رقيه، ونرى هنا أن كثيرا منهم قد تم ابتعاثهم فحصلوا على تأهيل عال، يجعلهم أكفأ من غيرهم في التعامل مع ما يشابههم من الحالات. عرض التجارب الشخصية للعائلات التي تعاملت مع هكذا حالات أمر مهم، إذ قبل عصر غير بعيد، كانت هذه العائلات تنعزل اجتماعيا، تفاديا لما قد يتعرض لها أبناؤها من ردود أفعال الآخرين، المستهجنة والمستغربة وحتى المشفقة،

كلها مؤذية وإن حسنت النية وراءها، التأهيل المناسب ضروري للمحتاج وعائلته والمحيط القريب، والمجتمع، الفضفضة مهمة وتشارك التجربة ضروري. زرت أحد المستشفيات الأوروبية، لفت نظري مساحةٌ جدرانها زجاجية تجعلها متواصلة مع الحديقة، تجلس فيها نساء وأطفال، تساءلت فوجدت أن المستشفى يرتب لقاءات للأطفال ذوي الاحتياج وعائلاتهم ممن تتشابه ظروفهم الصحية، في أجواء ترفيهية يلتقين مع من يزودهم بالخبرة، تتصادق العائلات، وتتبادل التجربة، الأطفال يساعدون أمهاتهم على قضاء الوقت والأمهات يساعدن أبناءهن على التواصل مع الأطفال الآخرين واكتساب المهارات باللعب، وهذا نشاط أرجوا أن يتوافر في مستشفياتنا، وجمعياتنا الاجتماعية. ما تحفل به هذه الكتب يجعلها جاذبة للقراء، يجتمع فيها الوجع مع الأمل، رغم أنك لا تستطيع مقارنتها أدبيا بـ" الأيام" السيرة الذاتية لأشهر أديب ذي احتياجات خاصة، لكن بُعدها الإنساني يمنحها الكثير.

في كتابه "سطور مضيئة معهم" يحكي لنا المؤلف محمد توفيق بلو حكاية عن إثني عشر ممن تعامل معهم من خلال عمله في تأهيل ذوي الإعاقة البصرية، بين عامى ٢٠٠٣ - ٢٠١٥، وقد سبق له نشرها في صحيفة غرب وعلى موقعه الإليكتروني، وعند تقديمه لكل حالة يذكر لنا عدد مرات القراءة للمهتمين عندما تصدرت هذه المقالة على موقعه، وكل منها حظي بعشرات الألوف من القراءات، كما نشر بعض التعليقات التى جاءت من القراء، وعندما اختارها لتعرض في الكتاب تواصل مرة أخرى مع أصحابها لنعرف أين رست حياتهم! وهذا أضفى قيمة تحفيزية كبيرة على الكتاب.

في حديقة الإرادة، وهي حديقة إقامتها بلدية مدينة جدة وهيأتها لذوي الإعاقة، لفتت أم عبد الله الأنظار بعزيمتها وقوة إرادتها وأصبحت نجمة الحديقة. لها ثلاثة أبناء مصابون بإعاقة حركية وإعاقة ذهنية، عبدالله وصل إلى الرابعة والثلاثين بينما عمره الذهني ثلاثة أعوام، وعلاء بلغ الثلاثين وعمره الذهني خمسة أعوام، وقد توفيت ابنتها عهد وكانت على نفس حالة أخويها، عندما غرقت في مسبح البيت الذي أُعد خصيصا لمثل هذه الحالات. وقفت أم عبدالله حياتها على ولديها، توفي زوجها متأثرا بصدمته عندما غرقت ابنته، لديها مساعدة منزلية وسائق، تأخذ ابنيها إلى الحلاق،

وتغسلهما، تقص أظافرهما، تلبسهما أجمل اللباس، ترافقهما إلى الحديقة، أفلح ابنها علاء في رمي كرة السلة في الشبكة ينادونه كابتن علاء فيهتز فرحا على كرسيه المتحرك، ثلاثون عاما على هذه الحال، سألتها صديقتها : إن كانت

مثل أمهات في وضعها تخشى أن تموت قبل أبنائها فيضيعوا، ردت باطمئنان عجيب "كن مع الله و لا تبالى... لي ولهما الله". ، أصيبت الأم بسرطان البنكرياس، وهو من أقسى أنواع السرطانات، توفيت بعد أن أوصت برعاية ابنيها إلى أختها وأوصت بالمساعدة المنزلية والسائق خيرا اعترافا بالجميل. لم يتمكن الكاتب من التواصل معهما قبل طبع الكتاب، الله خيرٌ حافظا وهو أرحم الراحمين.

خلال حضوره فعاليات المؤتمر الدولي للتعليم التقني وإعادة تأهيل العوق البصري المنعقد بماليزيا عام ٢٠٠٦ ، التقى المؤلف صابري تنبيركن، الألمانية، وقد أصيبت بالعمى عندما كانت في الثانية عشرة من العمر، أدخلت إلى مدرسة داخلية للتأهيل، أجادت الفروسية والسباحة والقراءة بلغة برايل، وهي لغة خاصة يقرأ بها العميان. التحقت بجامعة بون، وتخصصت بعلوم آسيا الوسطى، علمت بأن هناك نحوا من ثلاثين ألفا يعانون من إعاقات بصرية في بلاد التبت، وأن لغة التبت ليست مكتوبة أو مقروءة بلغة برايل، وبإصرار تعلمت لغة التيبت، وطورت على الكمبيوتر أدوات تقوم بتحويل لغة التبت إلى لغة برايل. طافت القرى النائية في جبال التيبت بمفردها تنتقل على الدواب لتقيم أوضاع المكفوفين، ثم أسست بالمجهود الذاتي أول مدرسة لتعليم المكفوفين القراءة والكتابة بطريقة برايل. كانت الأمهات يخبئن أطفالهن المعاقين، ولكنها وصلت إلى إقناعهن، كما كان شح الموارد عائقا حتى اقتنع بها بول كرونينج العامل في الصليب الأحمر، فشاركها العمل وهيأ لها الدعم، أسسا منظمة " برايل بلا حدود" التى أصبح شعارها " الكفيف يقود الكفيف" وقد أهلها ذلك لمجموعة من الجوائز العالمية. أثمر التواصل بينها وبين المؤلف عن قيام مؤسسة "برايل بلا حدود" بدعم مشروع تقدم به حسنى بوقس من المملكة يهدف إلى تدريب المكفوفين على مهنة التدليك والمساج، والتحق ببرنامج ممول للتدريب أقامته صابري لتدريب أصحاب المشاريع المبدعة في الهند، وعاد حسني بوقس صاحب الإعاقة البصرية ليدرب عشرات من أمثاله على مهنة تعود عليهم بالاكتفاء الذاتي.

الأستاذ أنور النصار فقد البصر في السابعة عشرة من عمره، حصل على ماجستير في التربية الخاصة من جامعة أوريغون بالولايات المتحدة، وقد تقاعد بعد أن عمل كمشرف عام على دائرة التربية الخاصة بوزارة التعليم. يتحدث عن مشروع العصا البيضاء، الذي أقره الرئيس الأمريكي جونسون عام ١٩٦٤م ، وهي عصا تلفت نظر الناس إلى الكفيف الذي يستعين بها، فيساعدونه في عبور الطريق والوصول إلى غايته وتسهيل ممارسة الأنشطة الاجتماعية والرياضية والترفيهية له. في العالم العربي لا زال التنقل مشكلة للأعمى، فالأرصفة غير مهيأة والمدن غير صديقة للمعوق، بينما الكفيف في الدول المتقدمة يشكو من أن نقطة انتظار المترو بعيدة بعض الشيئ عن مسكنه. أما في بلادنا فنعانى من المشي على الأرصفة واستخدام وسائل التقنية ووسائل المواصلات العامة، الأحياء السكنية غير مهيأة للتنقل، ولا يوجد بها أرصفة، مما يضطر الكفيف للسير على الإسفلت للوصول

إلى المسجد فيتعرض لخطر السيارات. فضلا عن أن المسجد لا يوجد فيه ما يدل الكفيف على اتجاه القبلة ومكان الصف فضلا عن صعوبة الوصول إلى دورات المياه غير المعدة أصلا لاستخدام ذوي الإعاقة، وأمثال هذه الخدمات يتم توفيرها في الدول المتقدمة.

أسامة خالد مسرحي، مصاب بضعف أبصار شديد بسبب القرنية المخروطية، بدأ مسيرته الرياضية كلاعب تايكوندو ووصل إلى تمثيل المنتخب، حصل على عدد من الميداليات، وخوفا عليه من تضخم الإصابة في العين تم تحويله إلى لعبة السباحة، فحصل على الميدالية الذهبية في السباحة والجري والوثب الطويل في بطولة الخليج للمراكز الخاصة عام ٢٠١٧، وحقق بطولة المملكة في ألعاب القوى لذوي الإعاقة في مسافة ١٠٠ و٢٠٠ متر عدوا، وجاء الرابع في بطولة آسيا التي أقيمت في دبي عام ٢٠١٧، والثاني في بطولة العالم للألعاب القوى في سباق ١٠٠ و٢٠٠ متر، تلك التي انعقدت في سويسرا عام ٢٠١٩ م. وهو يواصل تخصصه في علوم الرياضة مـلا أن يؤسس ناديا رياضيا لذوي الإعاقة.

حكاية ايمان سليماني التي عانت مبكرا من التهاب الشبكية الصباغي الوراثي، كادت تنعزل اجتماعيا، خاصة و أن أم صديقتها الوحيدة في الصف دخلت الفصل الدراسي هائجة معترضة على جلوس ابنتها بجوار هذه العمياء التى تنقل المرض للآخرين، كانت صدمة شديدة، و تأخرت العائلة في التعرف على برامج تأهيل المعوقين بصريا، ولكن الطبيب الذي أنهى إليها الأخبار الفاجعة بوصول الإبصار عندها إلى نهايته، دلها على مركز التأهيل، بدأ التجاوب، بدأت بالرسم بأقلام فلوماستر ثم استعملت الفحم في الرسم وبرزت فيه، عُلقت إحدى لوحاتها في جمعية إبصار، وعلقت لوحة أخرى في موقع هيئة الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة، وكانت قد أهدتها إلى الأمير طلال بن عبدالعزيز في أحد الاحتفالات بذوي الإعاقة البصرية. عندما كانت صغيرة لم يكن لديها ذكريات تحكيها لصويحباتها من الأطفال اللواتي يتحدثن عن ذكرياتهن في المدرسة، وتفاعلت لديها الرغبة مع الخيال فأصبحت تخترع القصص، ومع الوقت تطورت موهبتها من الرسم إلى القص، وقد شاركت في مسابقة بابا طاهر لقصص الأطفال. إضافة إلى مشاركاتها في معارض الفنون التشكيلية التى جلبت لها تشجيع الفنانين وثناءهم.

يستحق أبطال حالات الإعاقة أن تروى قصصهم وأن نتفاعل معهم، وألا يكتفي المجتمع بما قام، به وهو جيد، ولكن وعي المجتمع ومشاركته يحتاج إلى الاستمرارية والتطور والإبداع.

أشعار الشاعر السوري الكفيف نصر على سعيد لخصت الكثير من معاناة غير المبصرين :

كم من ضرير مبصر متوهج
يعطي ويعطي والمدى وهاب
وترى ألوف المبصرين بلا هدى
فكأنما فوق العيون حجاب
وأسير في درب الحياة لعلني
أحظى بقلب ليس فيه حراب
فالناس تنهش بعضها بشراهة
لكأنهم- يا ويلتاه - ذئاب

نافذة على الإبداع

قراءة في ديوان الشاعرة مستورة العرابي الجديد (ما انتبذت سوى يقيني)..

قسمات الذات وملامح الهوية: ومضات شعرية وتشكيل غنائيّ وملحميّ.

د. محمد صالح الشنطي
@drmohmmadsaleh

بـوْحُ صريـح واعتداد وأنفـة وكبرياء وشموخ يوشـك أن يلامس زهر النرجس ويعانق عُجب النرجسـية؛ ولكـن تلقائية الاعتـراف وصدق الشـعور تعصمانه من زلـل الكبر وغطرسـة الادعاء. فالشـاعرة تجعل من القصيدة مكمن سـرّها ومنارة رؤيتهـا، ومـلاذ يقينها، ملامِحُهـا لغتها وتاريخها أشعارها.

منهـج الشـاعرة واضـح الرؤيا، لاحب السـبيل، تفيض به قصائـد الديوان منذ البدايـة حتـى النهاية، تتلامح قسـماتها وتتبدّى وتتأسّـس عل أسـاليب الصياغة والتشـكيل؛ غنائيـة ذاتيـة تنهـض عل البوح الصريـح والتمركز داخل الأنا، تمتح مـن مدخورهـا النفسـي ومنطلقاتهـا واقتناعاتها، وهـو مـا جعـل الشـعرية تنهـض علـى تأطيـر الموقـف بالتقرير الصريح الـذي يتكئ على تدفـق تلقائي وانثيـالات تعتمـد تداعيـاً حـرّاً يتوسـل بالتصريـح الـذي يعتمـد علـى التلميح ، واغتراف من معين الشعور الذي يتقاطع مع معطيات الفكر؛ من هنا كان التصوير محكوماً بإطار من العلامات الدلالية التي تختـزل في صـورة مفردة بيـن التوجيه الكنائي والتمثل الاستعاري .

ومـن البدايـة تتأسّـس الرؤيـا فـي قصائدها التي ترسـم فيهـا ملامحها في إطارها الأسـري والوطنـي (الأم الملهمة والأسرة الداعمة والوطن الحضن الدافئ) ثـم قصيدتها الملحميـة (حصتي من كل شـيء) إذ تعتد باللغة فضـاءً تعبيرياً في حراكها المشـهدي بين الصوت والصدى؛ مـا يؤكـد أن الهاجـس الشـاغل للـذات انطلاقاتهـا البوحيّة الأمر الذي يسـتدعي الهـم الأنثـوي الأصيل في إرثـه الثقافي الـذي كانـت تكمّم فيه الأفـواه في إطار الحصـار السـيادي الـي يفرضـه الرجـل الشرقي,

ملامح الهوية وقسـمات الـذات المبدعة رؤيةً وفلسفةً: الحرية والتفتح والعصيان والنسـيان، والصعوبة والحُنـوّ، مفارقات نفسية، وكلك لغة الحرير وفيض الأنوثة، الانسـجام والالتزام (لا أهادن في الهوية) و(لا أرض سوى أرضي)

فثمـة انطلاقـة تعصـف بتلـك القيـود، ووعـي بانتصـار الحرية وتحقيـق الذات، تحتشـد الصور لتتلاقى مع اللغة الفورية الكنائية والرموز اللونية والمعنى المجرد؛ حيث تتشكل المفارقة: الحكاية ونقيضها

أنا الحكاية كلها
ونقيضها
لم يستقم لي مائل

مجاز تسري فيه حركة المعاني والأشياء سـريان المعنـى فـي عـروق الحـروف؛ فالحقيقـة الثـاكل مؤشـرٌ علـى أمرين: خصوصيـة الـذات وانتمائهـا الأنثـوي فـي أقصى درجـات الشـعور بالفقد، ثم التمثّـل والتقمص والتلبـس حيث تذوب الذات وتتوحد على نحو إشـراقي صوفي فـي ظواهر الكون (الطبيعة وطقوسـها وتراتيلها) والتحليـق فـي فضاءاتهـا (الصحـو والخيـال والغيـم) والسّـمو والسـيادة ، وانتشـاء بالرضا عـن الذات (سـيدة الكلام) فلسـفة التحـدّي وإرادة الصمود (بنت الجبـال) والتمركز في بؤرة الإبداع (القصيدة بنت روحي)

وثمـة انطلاقة لتحقيق الـذات والتصريح بهويتها الإنسـانية ورؤاهـا في عدد من قصائدهـا، بوْح صريح ومكاشـفة جريئة وثقة واعتـداد، وبطاقة تعريف ومواجهة لتحديات التفوق (الجندري) في مستوييه: العـام و الخـاص كمـا فـي قصيدتهـا (مسـاحة بيضاء) الترميز اللوني ومواجهة الذات للآخرين وتحديد المسـافة بينهما، محورها الإبداعي الرمـز اللوني (البياض) الحيـاد بمـا يحملـه مـن معانـي جمة : الصفـاء والخلـو من الأحقاد واستشـراف المصير المشترك والنهايات.

وكذلـك الجهـل بالمصائر والعجز عن استشـراف الآتي فـي قصيدة (مسـروقة مني) في إطـار التداعي الحر الي ينضبط إ في إطار الاستقراء والتأمل والتفكّر، من هنـا تنثال المعانـي المجـردة (المصادر) فـي دلالاتهـا المطلقة ومـا تنطوي عليه مـن غموض: الحـدس والهجـس والولع وسيطرة أسـاليب النفي وأجواء الغموض والحيرة، وفي نص آخـر تتبدى الانطلاقة الحرة والمغامـرة الجريئة والتمثّل الرّمزي في أوضح مسـتويات الدلالة فيه (الظبي) بمـا يومئ إليه من خفة وجمال ورشـاقة تتمثلها الذات الشـاعرة حـرةً طليقة من القيـود، والتأويـل في قصيـدة تناظرية خليليـة الـوزن والإيقـاع أعيـد ترتيبهـا فـي نمط حداثي الشـكل، فالذاكرة ظبي والشاعرة وردة مهذبة الأشواك.

الزمـن حاضـر بتقلّباته واشـتباكاته مع الهواجس والشـواغل والذكريات ، تتمثّله الشاعرة في كهوف وخواطر واستدعاءات ، تحلق به في فضاءاتها الخاصة، تنتشـي به ، تحاوره، تتصوره ، تسـتدعيه، تخترق سـديمه ، تتخيّله مع ظواهره مكاناً وحيزاً ، تملؤه بهموم الروح وتتهجد في محرابه كوناً خاصّـاً ، وتحلق فـي عليائه بحريّة ، تلملم أشـتاته كما في قصيدتها (ذاكرة) فهـي غيمة تسـكن فـي ذاكـرة المطر، تتجـاوز في خيالهـا المألـوف والمعروف

، وتصنع عالمها الخاص فتشتبك مع خفاياه وتعانق دلالاته ، تتلامح الكونيات الكبرى مع التفاصيل الصغرى؛ فالغيم والمطر يلتئم في المشهد مع المرايا والحرير والرؤيا الفلسفية مع الممارسات اليومية ؛ مزيج فريد تتشكل منه الصورة الفنية لتصنع حقلاً واسعاً من الإيحاءات:

"الغيم يشبهني كثيراً/ يستبدُ بي الحنين / الغامض المجنون/" فالغيم من الظواهر الكونية الكبرى.

" كيف أهرب من حرير فاتن/ ينساب ما بيني وبيني/ كلما التفتت مراياي ارتعشت/ ولم أخن عطري وخانتني الأغاني والصور" التفاصيل اليومية الصغرى.

وهكذا تمضي الشاعرة في قصائدها التي تأتي تحت عنوان مستقل (أمشي على وتر خفيف) تتقرّى فيها ملامح الذات الشاعرة ومقاماتها وحالاتها تحت عناوين ، قوامها اللفظة المفردة في ومضات شعريّة تسلّط فيها الضوء على عالمها الخاص وترسم هويتها ورؤاها وفلسفتها في سبع عشرة ومضة، أغلبها أسماء معان (مصادر) مطلقة الدلالة تعبر عن رؤية في إطار فلسفي .

في (ضوء) كشفٌ ينير تصورات الشاعرة لذاتها تتجاوز الفخر التقليدي إلى الحفر عميقاً في خباياها، وتنبش في نخاع الوعي تحقيقاً للذات في نهج تخييلي تتمثل فيه الأصل و النسب والموهبة الشعرية في اعتداد واعتزاز وثقة تستوحي من مذخورها المعرفي والثقافي ما تصوغ به موقفها فالآيات والأغنيات و البشريات والنسب والتدين والتمثل والتصور وحشد المفردات في دلالات تقريرية (المجاز ولغة العلو والنهر والضوء الهاشمي وأهش عصاي والمسر وفضاء الله) القاموس التصوري التناصّي يحمل ملامح الكناية القريبة والاستعارة الواضحة بالمفهوم الدلالي والتأويل المباشر ، وهي – أقصد هذه القصائد – في مجملها تفيض بالبوح وتعبر عن موقف من الحياة والأحياء ومنهج السلوك والتأمل للذات في علاقتها مع عالمها .

تجليات وتهيؤات وتصوّرات تستنبتها الشاعرة خيالاً مُجتزّاً من ناصية واقع نفسي ووجداني ، حوار مع الآخر وتسنم الموقف ومناجاة لمرآة الآخر نهرا وطفلا وفهم للعلائق مع الآخر يتجاوز حدود الوجد وأبعاد الحب انعكاس الآخر في مرآة الذات، التمثل يتجاوز التشبيه ، فالتشبيه تماثل في الصفات أو بعضها ؛ أما التمثل ففناء فيه وتمامٍ معه ؛ والشاعرة هنا في تمثلاتها تنماث عباراتها كما تنماث قلوب الطير وفق ما أطلق من وصف على علاقة الحب لدى العذريين .

تتبنى القصيدة عل أركان ثلاثة: التخيّل (تصوّر الآخر) والتخييل (تصوير الذات) والوعي بالعلاقة بينهما (ترفق قليلاً بهذا الولع)

أولا - أسميك طفلي ،، أسميك في النهر

ثانيا - فأنا الكبرياء، أجيء شتاتاً

ثالثا - التفت لي ، الخلاص خطئ تُتّبع

اللافت في نصوص الديوان هوية الأنثوية التي تتعالى على الإرث الذكوري وتواجه استعلاءاته في السياق ذاته تعترف بسطوته العاطفية وانجذاباتها إليه ، وتقتطف تجلياتها من تضاريس الكون ، تسلك سبيل الانزياح والتشتّت في قاموسها اللغوي وفي عالم الأنوثة و الطفولة وتتموضع في أنساقها الخاصّة وتجترح متنها المتفرد ، وتخترق ثبات السياقات وتستحوذ على الفتنة الساحرة وتجترئ على المقاييس الدارجة فتصنع شعريتها الخاصة:

ما كنت أدرك
كيف أخرج من علاقات النصوص
ولا ارتبكت إذ ارتكبت الحب
إلى أن تقول " واكتملت بصيغة الأنثى /
فحركت الرؤوس)

تيارٌ رؤيويّ يجتاح الديوان يتمثل فيما أشرت إليه من قبل من اعتداد بالذات الشاعرة ، واستنبات للغة بمفرداتها التي تمنحها هويتها الإبداعية ، قاموسها الشعري حافل بالإشارات المتعدّدِة للغة والمفردات ، فاللغة ميدانها وعالمها الأثير ورصيدها الوفير ، وضمير المتكلم يفترش المساحة الأوفى في خطابها الشعري ؛ لها محرابها الخاص وكينونتها المتفرّدة وجرأتها التي تتجاوز المحظور و المخفيّ ، فالعالم الذكوري مكشوف الظهر مُخترق السياج فاقد للهيبة ؛ وهذه الظاهرة لون من ألوان العدول (الانزياح) الجرأة الواثقة التي تتمترس خلف حصون الإبداع وإن طالت تخوم الواقع و تجاسرت عليه:

أنا كل قاموس الأنثى
كلّه
والماء قصدي

ففي قصيدة (لا سبيل إلى مراودتي) و(عن سيرة في الماء) تجمح بالكلمات إلى آفاق التمرّد وتأخذها القصيدة إلى سحابات التداعي و النشوة إلى آفاق بعيدة ، في صورها المشهدية حركة مفعمة بتلقائية مقصودة تتقاطع فيها التجربة الحياتية من النهج الإبداعي (اليد التي تلوح في الهواء) صورة مشهدية في صيغة بيانية تعبر عن التلقائية الحرة وتكتظ بالحركة في مساحتها المحدودة ، و مسافتها القصيرة التي تستجلب مثيلاتها في شريط مكتظٌ حافل (راحل من غير تأثيث الطريق) (يرن القوس) تؤطر لك بجرأة صريحة وتقرير واثق (اجتزت الخلود بمفردي).

إحساس عميق بالهويّة الجندرية تجتاح قصائد الديوان (أنا المرأة من رأسي لرأسي) تستحوذ عل الكل الأنثى بأبعاده وجوهره وأسئلته ولغته وسيرته العامة والخاصة تستكمل الدائرة دون أن تدع محيطها مشرع للهوية الكبرى الديرة والوطن والذات الشاعرة ، تذرعها أفقياً وعمودياً : كوناً وفضاءَ نفسيّاً واجتماعيّاً وذاتيا وإبداعياً، تحيط بالأنثى وعالمها العام والخاص ومحيطها الكوني : الليل والهواء والمكان والزمان والنفسي : الشجن والأنين والأرق والتحدي و المواجهة في قصيدتها (تخطيء في النفور غزالة)

اعتداد بالذات يبلغ الذروة، حرية في استكشاف الكون والكائنات، تقاطع مع القوانين الكونية وسنن الكائنات متفردة متحدية للمألوف والمعروف:

في الصبا أصحو
وفي الفوضى أنام
وليس يشبهني الزحام.

ديوان يعبر عن الهوية والفلسفة وآلات الأنثوية في تحققها الخاص والعام ما أجدره بدراسة مستفيضة.

www.alyamamahonline.com

حديث الكتب

تناول حياة الشاعر والمفكر التركمانستاني "مخدوم قولي" ..

"البحوث والتواصل" يحتفي بكتاب لرئيس جمهورية تركمانستان

اليمامة - خاص

نظّم مركز البحوث والتواصل المعرفي لقاءً علميًا احتفى خلاله بكتاب "مخدوم قولي"، الذي ألّفه فخامة رئيس جمهورية تركمانستان السيد سردار بردي محمدوف، وذلك بحضور نخبة من الباحثين والأكاديميين المهتمين بالثقافة والأدب في آسيا الوسطى.

واستُهل اللقاء بعرض تعريفي تناول حياة الشاعر والمفكر التركمانستاني "مخدوم قولي"، الذي يُعد من أبرز رموز الفكر والأدب في آسيا الوسطى، ومن الشخصيات المحورية في الذاكرة الثقافية التركمانية، حيث أطلقت تركمانستان اسمه على العديد من المؤسسات والهيئات العلمية؛ تخليدًا لإرثه.

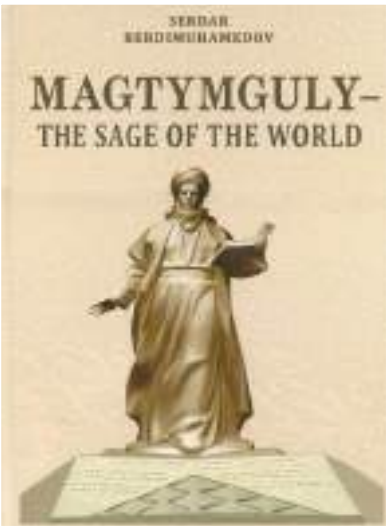

وتضمّن اللقاء كذلك مشاركات ومداخلات قدّمها مشاركون من الجانبين السعودي والتركمانستاني، سلّطت الضوء على محتوى الكتاب، وقيمته المعرفية، والدور البارز لمخدوم قولي في تكوين الوعي الأدبي والقومي لشعبه.

وفي كلمته، أشار رئيس المركز الدكتور يحيى محمود بن جنيد إلى أهمية هذا اللقاء في مدّ جسور التثاقف والتبادل العلمي بين البلدين، مبرزًا استعداد المركز للتعاون في مجالات فهرسة المخطوطات العربية المحفوظة في تركمانستان، ومبادرات التبادل العلمي بين المختصين.

كما أشار الدكتور حسين محمد الحسين في مداخلته إلى أن مخدوم قولي لا يُعد شاعرًا كلاسيكيًا فحسب، بل هو حكيم تركماني بامتياز، إذ جمع بين العلوم الدينية والدنيوية، وعبّر في شعره عن تطلعات شعبه وهمومه الفكرية والاجتماعية والسياسية، مما منحه مكانة رفيعة في تاريخ المنطقة، مشبّهًا إياه بشعراء العصر العباسي من حيث المكانة والأثر، مثل المتنبي والمعري وأبي تمام، لما في نصوصه من مضامين إنسانية تتقاطع مع الروح العربية الإسلامية.

وتأتي هذه الفعالية ضمن مسار المركز في الانفتاح على الثقافات الأخرى، والعمل على تعزيز قيم التفاهم والتعايش، والتفاعل مع النتاج الأدبي والإنساني في مختلف الأقاليم، وفي مقدمتها آسيا الوسطى التي تربطها بالمملكة علاقات تاريخية وثقافية متجذّرة.

وحضر اللقاء من الجانب التركمانستاني كلٌّ من الدكتور الله بيردي آشيروف رئيس أكاديمية العلوم التركمانستانية، والسفير التركماني في المملكة أوزار محمد تشيروف، والأستاذ داود أوزار مدير معهد مخدوم قولي للغة والآداب والمخطوطات الوطنية، والأستاذ كاكاجان جانبيكوف الباحث في المعهد ذاته.

ومن الجانب السعودي شارك عدد من منسوبي المركز والباحثين الأكاديميين السعوديين، في أجواء علمية تميّزت بالحوار المثمر، والتطلع إلى مزيد من التعاون في مجالات الأدب والتوثيق والفكر.

صدر حديثاً

«الكتابات العربية القديمة»..

أحدث إصدارات مركز الملك فيصل.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

اليمامة - خاص

.أصدر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كتابًا جديدًا بعنوان «الكتابات العربية القديمة: مدخل تاريخي»، من تأليف المؤرخ السعودي الدكتور سليمان بن عبدالرحمن الذييب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب جامعة الملك سعود، ويُعد الكتاب الذي صدر في جزأين وبلغ عدد صفحاته (1484) صفحة، دراسة شاملة لتاريخ الكتابات العربية القديمة، وهو مقسّم إلى أربعة فصول يتناول المؤلف من خلالها تاريخ تطور الكتابة منذ بداياتها، حيث خصص الفصل الأول من الكتاب لتسليط الضوء على مراحل تطور الكتابة في العالم القديم، مشيرًا إلى أن البداية كانت بمرحلة الرسوم التي انتهت باختراع الأبجدية من قِبل الفينيقيين.

وفي الفصل الثاني، ركز المؤلف على الكتابات التصويرية والمقطعية التي عُرِفَت في بلاد الرافدين عندَ: الأكاديين والآشوريين والبابليين، وكذلك عند المصريين القدماء، إضافة إلى الكتابات الحثية، والأبيلاوية وكتابات شعب ماري، الأولى في الأناضول، والأخيرتين في سوريا. وفي الفصل الثالث، تناول المؤلف الكتابات الأبجدية مبتدئًا بنظريات الأبجدية، ثم تناول اللغات الأبجدية، وهي: الأوجاريتية، والعبرية والآرامية ولهجاتها المتعددة. وكذلك لهجات شبه الجزيرة العربية المسندية التي تنقسم إلى قسمين: شمالية تضم (الثمودية، والدادانية، والصفائية). وجنوبية: تضم (السبئية والمعينية والحضرمية والقتبانية والأوسانية والحبشية). أما الفصل الرابع والأخير، فقد خصصه المؤلف لدراسة الكتابة العربية والآراء حولها متطرقًا إلى القبائل العربية

وظهورهم على صفحات التاريخ.

وأشار الدكتور سليمان الذييب في كتابه إلى أن الكتابة كانت بمثابة شاهد على الحضارات القديمة، حيث كشفت لنا تفاصيل دقيقة عن الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية للأقوام التي استخدمتها. كما ساعدتنا هذه النقوش والكتابات في فهم كيفية تعامل الإنسان في تلك العصور مع بيئته ونجاحه في تطويعها لمصلحته، وهو ما سهل أمامنا الحياة فقد وضعوا الأسس لكافة العلوم بمختلف أنواعها وتصنيفاتها، وبعدها انطلق الإنسان في العصور اللاحقة في إعمار الأرض. موضحًا أن هذه الكتابات بيّنت لنا علاقة البشر بعضهم ببعض، وكيف أنشأ الإنسان المجتمعات الصغيرة ثم الكبيرة، وتكوين الدول، والحدود السياسية، وغيرها. ويؤكد المؤلف أن فك غموض هذه الكتابات المتعددة من قبل علماء أفنوا أعمارهم في دراستها حتى تمكنوا من قراءتها والكشف عن مكنوناتها لا يقلون عبقرية عن أولئك الذين اخترعوها.

يُذكر أن هذا الكتاب يأتي ضمن الجهود المستمرة التي يبذلها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في مختلف مجالات نشر المعرفة، وتقديم إصدارات بحثية وعلمية متميزة تهدف إلى توثيق ودراسة الجوانب الثقافية والتاريخية للحضارات العربية والإسلامية.

رابط الكتاب:
https://www.kfcris.com/ar/publication/144

العدد 2865 - 03 يولية - 2025

فياغرا

محمد العلي

(يا سيدي المخترع العظيم / هذا رجاء شاعر ينوح/ لا على شباب سيفه / لكن على أمته القتيلة / يا سيدي المخترع العظيم / يا من صنعت بلسما / قضى على مواجع الكهولة / وأيقظ الفحولة / أما لديك بلسم / يعيد في أمتنا الرجولة؟)

هذا النداء الفاجع، لمتعدد المواهب الراحل الدكتور غازي القصيبي، حين قرأته احتشدت الدموع في قلمي المسكين، وسمعته يقول لي بحزن عاصف: أرجوك دعني من عبء التعليق على هذا الجرح النازف منذ قرون، وخض في أي موضوع آخر تجدني حصانا أين منه (مكر مفر) وأمثاله من العنتريات العتيقة المتجددة؟ فقلت له بصدر ضيق حرج (كأنما يصعد في السماء) أي موضوع تحب أن نخوض فيه، وكأننا نسبح في بحر؟ فقال بدون تردد: كن طاووسا نقديا متجاوزا واكتب عن الحداثة، وحين تفرغ، اكتب عما بعد الحداثة، وأطل الوقوف هنا(حتى يلجّ بعذلك الركب) فسوف لن يفهم أي قارئ ماهي هذه الما بعد حداثة، فيعتبرك فيلسوفا ولد في أثينا من جديد، ليعلم الناس طريقة التفكير والذي ينير ما ومن حوله معا، فينقشع ظلام الجهل، ويهبط السلام على الأرض.

هنا وقعت على كنز لغوي لا ينفد ما فيه من درر الكلمات، فبدأت أغرف من هذا الكنز، ولكن طلع أمامي شبح مبهم يرسم لعيني علامة الاستفهام (؟) التي فسرتها بأنه يقول: ما هذا الهذيان التي تقول؟ ألا تعرف أن في القاموس كلمة (فاقع لونها) اسمها الخجل؟ تكلم بكلمات حبلى أو اسكت. أما سمعت بالمثل الشعبي (يا زينك ساكت؟) بلى. سمعت، ولكن ماذا أقول لقلمي وقد اعتاد أن يزج بنفسه في الهواء، ويعشق الغيم؛ لظنه أنه حبر؟

قل له: أيها القلم الأعشى، ألا تعرف العقل الباطن الذي يصنع الأحلام والكوابيس؟ اذهب إليه، وبعد أن تدغدغه ببعض الكلمات السارة، اطلب منه أن يلهمك كابوسا أسود، يلائم ما أنت فيه من التمرغ في الشعر المحزن كشعر الشاعر القصبي، وأمثاله من الشعراء الذين بنوا من الشعر سرادقا لرثاء المدن وما فيها من الذكريات والأماني، أو حلما أبيض يصورك جالسا على البحر، متمتعا برقص أمواجه وبضحك زرقته، وبتخيّل ما فيه من كنوز أخرى تسر الناظرين

صدر حديثاً

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

ضمن سلسلة الكتب المترجمة ..

مركز الملك فيصل يصدر الترجمة العربية لكتاب هيلين لوفداي عن تاريخ "الورق الإسلامي".

اليمامة ــ خاص

ضمن سلسلة الكتب المترجمة التي يُصدرها مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة، صدر مؤخرًا الترجمة العربيَّة لـ كتاب (Islamic paper: A study of the Ancient Craft) لـ هيلين لوفداي (Hel-en Loveday) بعنوان: "الورقُ الإسلاميُّ: دراسةٌ عن صَنْعَةٍ قديمةٍ" ترجمة الدكتور مراد تدغوت، وهو كتابٌ ينتمي معرفيًا لمجال الدِّراسات الكوديكولوجيَّة، وبالتَّحديد لتاريخ صِناعة الورق الإسلاميِّ، حيث حاول أن يقدِّم عرضًا تاريخيًا عن نشأة هذه الصناعة وطبيعتها وسماتها خاصَّة، واعتمدتْ فيه المؤلِّفة على مجموعة من المصادر الوثائقيَّة الغنيَّة التي تجاوزت ألف (1000) عيِّنة ورقيَّة مؤرَّخة من بلاد فارس وسوريا ومصر من القرن السادس الهجريِّ/ الثاني عشر الميلاديِّ إلى القرن الثالث عشر الهجريِّ/ التاسع عشر الميلاديِّ، مستنيرةً بمعرفتها المِهنيَّة في صناعة الورق، ومستعينةً بعدَّة مصادر. وقد عالجَتْهُ من منظورين اثنين: أمَّا الأوَّل فقد اعتنت فيه بتقديم سرديَّةٍ تاريخيَّةٍ عن نشأة صناعة الورق الإسلاميِّ وتطوُّرها، والمحطَّات الرَّئيسة التي مرَّت بها، والسِّمات والخصائص التي طُبِعت بها، وكذا انتشارها في أنحاء بلاد فارس والمشرق العربيِّ جميعها، وملاحظة نجاحها مقارنة بالصِّناعات الأخرى المعاصرة. أمَّا المنظور الثاني، فقد تمثَّل في محاولة تقديم نظام يهدف إلى تصنيف الورق الإسلامي، وتحليله، ومقارنته.

توزَّع الكتاب على مقدِّمة وقسمين اندرجتْ تحتهما فصول عدة؛ عُنون القسم الأوَّل بتاريخ صناعة الورق الإسلاميِّ، واحتوى الفصل الثاني نبذة عن أصول صناعة الورق منذ بدء رحلته من الصِّين، في حين عالج الفصل الثالث طبيعة الورق وطبيعة إنتاجه، وعالج الفصل الرابع "الخصائص النَّوعيَّة للورق الإسلاميِّ" من حيث الجودةُ، والدَّرجةُ، واللَّونُ، وحجمُ الورقة، والعلاماتُ المائيَّةُ.

أمَّا القسم الثاني من الكتاب فقد دار حول تحليل الورق، وهو مفيد للقائمين على حِفظ الورق والمُهتمِّين بتأريخه، حيث درستْ لوفداي خصائصَ (1237) عيِّنة مؤرَّخة أُنتجت في مصر، وسوريا، وبلاد فارس من القرن السادس الهجريِّ/ الثاني عشر الميلاديِّ إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجريِّ/ التاسع عشر الميلاديِّ. وقد تطرَّق الفصل الخامس إلى "نظام تصنيف الورق"، وذيَّلت المؤلِّفةُ الكتاب بـ"جدول النتائج"، وهو عبارة عن قائمة بالخصائص الواردة في الفصلين السابقين، ومقارنة بين الورق الفارسيِّ والسُّوريِّ-المصريِّ على مر القرون. وخلصتْ إلى أنه من الصعوبة بمكان وَصْفُ النماذج جميعها بدقَّة، لكنَّها تعتقد أنَّ دراسة خصائص العيِّنات المؤرَّخة يمكن استخدامها دليلًا مؤيدًا في تحليل المواد غير المؤرَّخة ببيان أوجه التشابه والاختلاف، وبيَّنت بالتحليل المنهجيِّ للورق الاتجاهات السائدة في صناعة الورق على مدار سبعة قرون، وهذا ما يمكنه أن يمنحنا فهمًا أرحب لتاريخ صناعة المخطوطات الإسلاميَّة.

غلاف الكتاب

ومن خلال الأعمال المفيدة للباحثين التي يحاول المركز إضافتها لإصدارته، فقد أُضيفَت صور المخطوطات المناسبة لنص الكتاب من مخطوطات المركز، وكان عددها 16 مخطوطًا، حيث يحتفظ المركز بأكثر من 28 ألف مخطوطة أصلية متاحة للباحثين عبر بوابة المركز.

يذكر أن هيلين لوفداي ألَّفتْ هذا الكتاب تخليدًا لذكرى "دون بيكر" (Don Baker) أمين الورق، والمترجم المشارك لكتاب (Das Arabische Papier) لـ ج. فون كاراباتسيك (J. von Karabacek)، بتمويل من صندوق "دون بيكر" التِّذكاريِّ، وقد كان دُوِّنَ قُبَيلَ وفاته في عام 1994م عَمَله في مشروع يُعنَى بوضع نظامٍ لتحليل الأوراق الإسلاميَّة، وتصنيفها، ومقارنتها، وبعد وفاته طُلب من هيلين لوفداي أن تُفهرِس أرشيفه من المقالات والبطاقات حول الورق الإسلاميِّ، فألهمها ذلك فكرةَ محاولة استكمال بحث الرَّجل وتوسيع قاعدة بياناته؛ ليصدر هذا الكتاب في 184 صفحة من القطع المتوسط، ضمن سلسلة الكتب المترجمة التي يصدرها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ويقدمها للمختصين والمهتمين وعموم القراء في أنحاء الوطن العربي.

رابط الكتاب:
https://kfcris.com/ar/publication/**143**

العدد 2865 - 03 يولية - 2025

الوسطية.. بين الوهم والحقيقة.

عبدالله بن محمد الوابلي

@awably

في عالم تتقاذف فيه التيارات، وتتنازع الأفكار على شرعية التمثيل، يبرز مفهوم «الوسطية» بوصفه الملاذ الآمن لكل من أراد أن يُقدِّم نفسه باعتباره ممثلًا للعقل، رافضًا للتطرف، ساعيًا للتوازن. لكن، هل الوسطية واقع موضوعي أم شعار يسهل رفعه ويصعب تحديد مضمونه؟ وهل يستطيع أي تيار أن يحتكر هذا المفهوم أو يحتكم إليه دون تناقض؟

كتبت الأستاذة رقية الهويريني في «صحيفة الجزيرة» بتاريخ 22 يونيو 2025م مقالًا بعنوان «الفوضى الفكرية وبناء العقول» يعكس رؤية فكرية عميقة وتحليلًا فلسفيًا متماسكًا لواقعنا المعاصر، حيث تُبْرِز «الكاتبة» جدلية العقل وضبابية النص، كإشكالية مركزية في الاضطراب الفكري. وتقترح حلًا مؤسسيًا يتمثل في تأسيس هيئة فكرية مستقلة ذات صلاحيات واسعة، تمارس دورًا وقائيًا وعلاجيًا. ومن مصاديق راي «الكاتبة» أن كل من الأطياف الفكرية -على اختلاف توجهاتها - يزعم أنه ثاويًا في نواة الوسط، وأن خصومه هم من يمثلون الإفراط أو التفريط! فأين تكمن المعضلة يا ترى؟ إنها في ادّعاء كل تيارٍ أنه ممثلٌ للوسطية والاعتدال! تلك ‹المنطقة الخضراء، التي كثيرًا ما تُرْسَمُ في الخيال، ولكن قلّما نجد لها في الواقع وجودًا متفقًا عليه. لم أتحاور مع ليبرالي، ولا قومي، ولا يساري، ولا يميني، ولا سلفي، ولا إخواني، ولا طائفي، ولا عنصري، إلا ويزعم أنه سارية لِعَلَم «الوسطية» وأن غيره هو المتطرف. من سلفي يرفض الغلو الفكري، إلى ليبرالي يعارض الانفلات الأخلاقي، إلى قومي يدعو للتوازن بين العروبة والإسلام. الكل يدّعي الوسطية. لكن أحدًا لا يوافق الآخر على حدود هذا المفهوم. وقد تحولت الوسطية من مفهوم جامع إلى ساحة صراع، يتقاذفها الخطاب الإعلامي والديني والثقافي، دون أن يجرؤ أحدٌ على تقديم تعريف جامع مانع لها. لماذا يحدث كل ذلك؟ لأن الإنسان حين يقف، لا يرى سوى من هم على يمينه ويساره، فيتوهم أنه في المنتصف، ثم يتولد لديه إحساس مُتَخَيَّل بالوسطية. والحقيقة أن «الوسطية» برغم ما تحمله من جاذبية، تبقى شعارًا فضفاضًا، لم يُجْمِع «الفلاسفة» حتى يومنا الحاضر على معايير دقيقة تُحَدِّد ملامحها بجلاء. فالجميع يزعم «الوسطية» بينما يغيب أي معيار متفق عليه لتعريفها. فهل نحن أمام مفهوم حقيقي للوسطية؟ أم نعيش في خيال جماعي مشترك؟ «الوسطية» موقعٌ نسبي متغير بتغير الزمان والمكان. فمَن يوصف بـ«الليبرالي المعتدل» في بيئةٍ ما، قد يبدو متطرفًا في بيئة أخرى، والعكس صحيح. لذا، فإن إدراك «الوسط» نسبي، ويخضع لتموضع الأفراد لا لقياس موضوعي متفق عليه.

لم ينجُ المفهوم حتى من الجدل الفلسفي. فقد حاول «أرسطو» أن يُعَرِّف الفضيلة بأنها «الوسط بين رذيلتين» لكنه ترك أمر تحديد هذا الوسط لاجتهاد شخصي. أمّا «المعتزلة» لم يقدموا مفهوم «الوسطية» بوصفه شعارًا أو مصطلحًا صريحًا، كما هو شائع في الأدبيات المعاصرة، لكن روح «الوسطية» العقلانية كانت حاضرة في بنيتهم الفكرية. فقد سعوا إلى إقامة توازن معرفي بين العقل والنقل، فالعقل عندهم هو المرجع الأول في التمييز بين الحسن والقبيح. فما النتيجة بعد كل ذلك؟ لا تحرير دقيق لمصطلح «الوسطية» ولا اتفاق واضح على تعريف محدد، يُخرجها من كونها توصيفًا أخلاقيًا عامًا إلى معيارٍ عملي يُقاس عليه ويُعتد به.

كثيرًا ما تختفي وراء «الوسطية» للهرب من تبنّي مواقف محددة. فهي بالنسبة للبعض تعني التوازن، ولدى آخرين تعني عدم الانحياز، وأحيانًا يُعَرَّف «اللاموقف» باسم الحياد. وهنا تكمن خطورة أخرى، وذلك عندما تتحول «الوسطية» من حكمة التوازن إلى ميوعة فكرية لا تُغضب أحدًا، لكنها أيضًا لا تُنقذ أحدا. فأن تكون وسطيًا لا يعني أن تكون رماديًا، بل أن تملك القدرة على رؤية جوانب المسألة كافة، واتخاذ موقف متزن، واضح، وشجاع.

العديد من الخطابات المؤدلجة توظف «الوسطية» كسياج أخلاقي يحميها من الانتقاد، أو كوسيلة للتقرب من الجمهور. فكل طرف يلبس ثوب «الاعتدال» ولو كان في جوهره متشددا. وقد أصبحت «الوسطية» في بعض الأحيان غطاءً فكريًا ناعمًا لخطابات الإقصاء أو مزمارًا جهوريًا لمشاعر التفوق. وهذا الاستخدام الدعائي أفرغ المفهوم من مضمونه، فتحولت «الوسطية» إلى شعارٍ فارغ لا يعكس بالضرورة فكرًا معتدلًا، بل مجرد مسوِّغ للتموضع الآمن.

إذا كان كل طيف عقائدي، أو تيار فكري يزعم أنه يمثل الاعتدال، فربما علينا أن نتواضع قليلًا، ونعترف بأن «الوسطية» ليست شعارًا بَرَّاقًا نردّده لنُبرئ أنفسنا، بل موقف يتطلب شجاعة معرفية، ونقدًا للذات، وقبولًا بأن «الاعتدال الحقيقي» يبدأ من الفهم، لا من التموضع. فربما تكون «الوسطية» اليوم ليست في أن أقول أنا معتدل، بل في أن أسأل نفسي (ما الذي يجعلني أظن ذلك؟ ومن قال إن غيري هو المتطرف؟).

رغم كل التحفظات، يبقى لمصطلح «الاعتدال» قيمة محتملة إن أُعيد ضبط معاييره. فالوسطية الحقيقية ليست نابعة من شعور شخصي بها، بل من موقف أخلاقي يرفض الغلو، لا خوفًا من ردود الفعل، بل إدراكًا لعواقبه. وقدرة على تقبّل الاختلاف، دون الوقوع في النسبية المفرطة أو الإقصاء الدوغمائي.

ذاكرة حية

د.سارة الصراف في محاضرتها بجامعة الأمير سطام ..

رأس جدي البعثة العراقية لتنمية الزراعة في الخرج .

السيدة سارة الصراف

المهندس أحمد سوسة رحمه الله

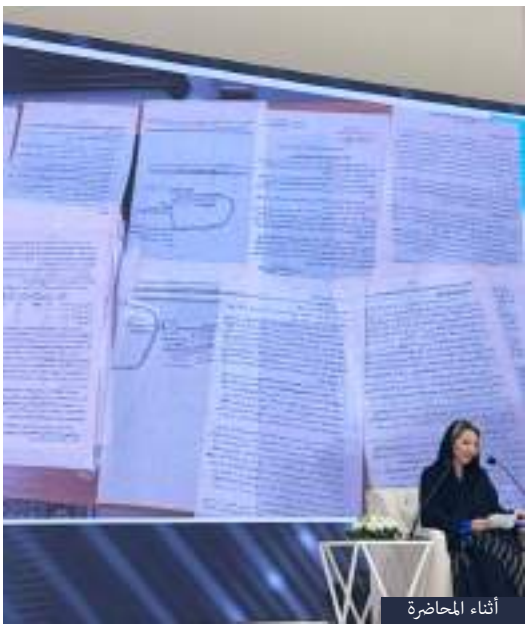
أثناء المحاضرة

كتبت سارة الخزيم

لا نعشق الأرض التي درجنا عليها نحن فقط، بل نحب أيضاً ما أحبه أجدادنا، هذا ما شعرت به من كلام الروائية الإعلامية العراقية السيدة سارة الصراف عندما قابلتها في جامعة الأمير سطام بإقليم الخرج، يوم 29 سبتمبر عام 2024م قالت:

جئت للمكان الذي عمل فيه جدي قبل 85 عاماً تقريباً كرئيس للبعثة الزراعية العراقية عام 1939م

جدي هو المهندس أحمد سوسة الحاصل على الدكتوراه في هندسة الري من جامعة جونز هوبكنز الأمريكية عام 1935م

عمل مع بعثته على إجراء دراسات فنية واقترح الحلول المناسبة لطبيعة التنمية الزراعية التي أمر بها الملك عبدالعزيز آل سعود من خلال توجيهه بتأسيس مشروع الخرج الزراعي، وقد جلبت هذه البعثة معها الآلات الزراعية الحديثة ومضخات لنقل الماء من عيون الخرج إلى السهباء، واحضرت كذلك الطيور والبذور في 60 سيارة، وساهم معالي الشيخ عبد الله بن سليمان بعشر سيارات محملة بعدد من الآلات الزراعية الأمريكية لدعم جهود هذه البعثة، وفد باشر حين وصوله غرس عشرة آلاف شتلة ورغب في غرس المزيد منها.

وقالت أنها قبل حضورها للسعودية عادت من الإمارات العربية المتحدة للعراق، لبيت جدها الذي تربت فيه، وفتحت صناديق حديدية وأحضرت معها بعض الوثائق التي عرضتها في جامعة الأمير سطام خلال زيارتها، وذكرت أن من أهم الدراسات التي قامت بها البعثة العراقية دراسة طوبوغرافية للخرج أظهرت أنها ملتقى أودية تجتمع فيها السيول تاركة الترسبات الغرينية التي تسهم إسهاماً فعالاً في جعل أراضيها المنبسطة غنية بالخصوبة القابلة للاستثمار بالزراعة، وأجرت البعثة دراسات فنية للينابيع والعيون الموجودة في غرب الخرج ، واقترحت تركيب مكائن تضخ المياه من عين سمحة لكي تصل المياه لسقيا 2500 دونم في السهل الواسع الممتد شمال ملتقى شعيب العين مع شعيب العجيمي، ولا شك أن إدخال الآلات أحدث نقلة نوعية في مجتمع المملكة، فمهد للاستقرار بدل حياة البداوة المعتمدة على متابعة المطر والعشب.

كانت هذه البدايات تبعتها بعثة مصرية ثم بعثات أمريكية، نتذكر هذا ونحمد الله على ما تعيشه بلادنا اليوم من نعمة الأمن والاستقرار ما أدى لتحويل رقعة كبيرة منها إلى مشاريع و واحات خضراء، وننتظر الكثير في ظل رؤية 2030 التي ستحول بلادنا إلى جنات بإذنه سبحانه تحت ظل حكومتنا الرشيدة (السعودية الخضراء)

أخضر x أخضر

قوة تأثير الثقافة السعودية: جذور ضاربة و صدى عالمي متجدد.

عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ

alshaikh2@

ليست الثقافة مجرد تراث يُحفظ في المتاحف أو أغانٍ تُردد في المناسبات، بل هي الروح النابضة التي تشكل هوية الأمة و تنعكس في سلوك أبنائها
و تفاعلها مع العالم.
و الثقافة السعودية، بجذورها الضاربة في أعماق التاريخ، و بانفتاحها الواعي على الحاضر و المستقبل، تمتلك قوة تأثير هائلة، تتجاوز حدود الجغرافيا لتصنع حضوراً ملموساً على الخريطة الثقافية العالمية. إنها قوة تنبع من أصالة لا تتزعزع، و حيوية لا تنضب، و رؤية ثاقبة تستشرف آفاق الغد.
تقف الثقافة السعودية على أرضية صلبة من الإرث الحضاري العريق. فشبه الجزيرة العربية، مهد العرب و اللغة العربية، شهدت ولادة مملكات عظيمة مثل دادان و لحيان و الأنباط في مدائن صالح (الحجر) – المدرجة على قائمة اليونيسكو للتراث العالمي – و التي لا تزال شواهدها المعمارية الفريدة تحكي قصص الابتكار في الهندسة و إدارة المياه و التجارة الدولية.
و لا يمكن فصل الثقافة السعودية عن كونها حاضنة لأقدس المقدسات الإسلامية، مكة المكرمة و المدينة المنورة، مما يجعلها القلب الروحي لما يقارب المليار و نصف المليار مسلم حول العالم.
هذا المزيج الفريد من العمق التاريخي قبل الإسلام و بعده، مع تنوع بيئي هائل بين صحراء الربع الخالي و جبال عسير الخضراء و سواحل البحر الأحمر و الخليج العربي، نسج لوحة ثقافية زاخرة بالعادات و التقاليد و الفنون الشعبية المتنوعة، من رقصة «العرضة السعودية» البطولية إلى أنغام «الدان الحجازي» الشجية، ومن حرف السدو البدوية الدقيقة إلى فنون العمارة الطينية في نجد و منطقة جازان.
لم تكن قوة التأثير الثقافي السعودي وليدة الصدفة، بل هي ثمرة رؤية طموحة تجسدت في «رؤية المملكة 2030» التي جعلت من الثقافة ركيزة أساسية للتنمية و الانفتاح.
لقد شهد العقد الماضي تحولاً ثقافياً مذهلاً، مدعوماً بمؤسسات فاعلة مثل وزارة الثقافة و الهيئة الملكية لمحافظة العلا و الهيئة العامة للتراث و هيئة الأفلام. لقد تحولت المملكة إلى ساحة إبداعية حيوية:
1. فنون مرئية وأدائية: انتعاش غير مسبوق لسوق الفنون، مع معارض دولية (مثل بينالي الدرعية)، و دعم الفنانين المحليين، و تأسيس متاحف عالمية المستوى قيد الإنشاء.
كما شهدت صناعة الأفلام والمسرح و الغناء انطلاقة كبرى، بإنتاج محلي و عروض عالمية.
2. حفظ التراث وتجديده: مشاريع ضخمة لترميم المواقع التاريخية كحي الطريف في الدرعية و جدة التاريخية (البلد)، و «مشروع طريق الحج المصري» في العلا، تحولها إلى وجهات ثقافية و سياحية حية، لا مجرد آثار جامدة.3. صناعة الإبداع: ازدهار قطاعات مثل التصميم، و الأزياء (بمهرجانات خاصة بها)، و المطبخ السعودي الذي بدأ يلمع عالمياً، و الألعاب الإلكترونية، مما يخلق اقتصاداً ثقافياً واعداً ويصدر صورة معاصرة.
4. الانفتاح الثقافي: استضافة كبرى الفعاليات العالمية (مهرجان شتاء طنطورة، موسم الرياض، سباقات الفورمولا إي، مباريات كأس العالم للأندية و البطولات العالمية في الملاكمة و الرياضات الأخرى)، و إقامة شراكات مع مؤسسات ثقافية رائدة مثل متحف اللوفر و اليونسكو.
هذه النهضة الثقافية المحلية تترجم تلقائياً إلى قوة تأثير عالمية متزايدة:
السياحة الثقافية: تحولت المملكة إلى وجهة سياحية ثقافية رئيسية. فزيارة المواقع التاريخية، و المتاحف الحديثة، و المشاركة في المهرجانات العالمية المستضافة، تجذب ملايين الزوار سنوياً (بهدف 150 مليون زيارة سنوياً بحلول 2030)، يعودون إلى أوطانهم حاملين انطباعاً عميقاً عن الثراء الثقافي السعودي الحديث.
العلا وحدها مثال ساطع على تحول موقع تراثي إلى مركز ثقافي عالمي يجذب السياح و المبدعين من كل حدب وصوب.
الصورة الذهنية: تنجح الثقافة في تقديم صورة متعددة الأبعاد للمملكة، تتجاوز الصور النمطية.
العالم بات يرى شعباً شاباً (نحو 63٪ تحت سن 30) مفعماً بالإبداع و الطموح، محافظاً على هويته في الوقت الذي يبني مستقبلاً طموحاً ، و هذا يغير التصورات و يعزز التفاهم.
القوة الناعمة (Soft Power): الثقافة هي أبرز أدوات القوة الناعمة السعودية اليوم.
الفن، التراث، الترفيه، والانفتاح، جميعها تبني جسوراً من الإعجاب والتواصل مع الشعوب الأخرى، وتعزز مكانة المملكة كمركز ثقافي إقليمي وعالمي فاعل، وفقاً لمؤشرات عالمية متخصصة في قياس القوة الناعمة.
الحوار الحضاري: تضع المملكة نفسها، من خلال مؤسسات مثل مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان و الثقافات (كايسيد)، كجسر للحوار بين الشرق و الغرب، مستفيدة من مكانتها الروحية و الثقافية الفريدة لتعزيز التسامح و التفاهم.
قوة تأثير الثقافة السعودية ليست مجرد استعادة للماضي المجيد، بل هي بناء ديناميكي للحاضر و استشراف للمستقبل.
إنها قوة تنبع من ذلك التزاوج الفريد بين الأصالة التي تحترم إرث الأجداد، و الحداثة التي تتبنى بجرأة أدوات العصر وإبداعاته.
إنها ثقافة تتحدث بلغة الفن و الجمال و التراث والإبداع، لغة يفهمها العالم بأسره.
ففي قلب الصحراء، حيث نقوش ثمود و نبطية تحكي حكايات الأمس، تُبنى اليوم مدن المستقبل وتقام المهرجانات العالمية، و تُنسج خيوط تأثير ثقافي عميق، يؤكد أن المملكة العربية السعودية ليست فقط حاملة لرسالة دينية عظيمة، بل هي أيضاً رافدٌ حيويٌ و مؤثرٌ في نهر الحضارة الإنسانية المتدفق، تُثري العالم بتراثها الثمين و برؤيتها الطموحة التي لا تعرف المستحيل.
الثقافة السعودية، بجذورها المتينة و أغصانها الممتدة نحو آفاق العالمية، هي قوة ناعمة صادقة، تروي قصة أمة تبني حاضرها و تصنع مستقبلها بثقة و إصرار.

مقال

سعر العقار الذي لا يُرى !

مطلق ندا
@mutlaq_nada

الأرقام لا تنطق، لكنها تهمس بالحقائق لمن يجيد الإصغاء إليها، فقد ظلّت تهمس طويلًا حتى جاء التوجيه الكريم من سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان – يحفظه الله – ليلة عيد الفطر المبارك 2025، ليعيد ترتيب السوق ويكشف رسائلها بوضوح أكبر، ويدفع مرحلة تصحيح حقيقية لإعادة التوازن وضبط حركة الأسعار، دعماً للرؤية المباركة 2030، وترسيخاً للعدالة والشفافية ومحاربة المضاربات العشوائية.

ومع هذا التحول، برزت فجوة دقيقة قد لا يلتفت لها الكثير: كيف يمكن أن تعكس الإعلانات العقارية الواقع كما هو، لا كما كُتب في عقودٍ وقعت في أوقات وأسعار تجاوزها السوق سريعاً.

فمن خلال عملي في العقار منذ 1980م ومتابعتي لحركة العقود والإعلانات في الوقت الحاضر، يتبين أن التحدي ليس في توثيق السعر بحد ذاته، بل في التزام المعلن بسعرٍ قد يصبح غير منطقي مع تغير السوق نزولاً، فالنظام الحالي يهدف إلى حماية البائع وضبط الإعلانات، وهو هدف مشروع وضروري لحفظ الثقة. لكن الثقة نفسها قد تتضرر حين يكتشف المشتري أن السعر المعلن لا يحاكي الواقع الحقيقي. فكما هو معلوم، فإن البيع والشراء يظلان رهينة موافقة الطرفين وتوثيقهما، بينما الإعلان يجب أن يعكس الواقع حتى لا يتحول إلى واجهة صورية لعقدٍ لا يساير السوق.

في الأسواق العالمية المتقدمة مثل كندا والولايات المتحدة وبعض دول أوروبا، نجد أن الإعلانات العقارية تُحدّث أسعارها لحظياً بناءً على آخر مستجدات السوق، مع بقاء التوثيق النظامي قائماً لحماية حقوق المالك. وبهذا يتحقق التوازن بين الشفافية وحماية الأطراف، إذ إن إلزام المعلن بسعر ثابت رغم تغير السوق قد يخلق فجوة ثقة بين راغبي الشراء والوسيط والمنصة الرسمية. والنتيجة أن البعض يلجأ إلى بدائل غير نظامية أو يتهرب من المنصات الموثوقة، وهذا يناقض روح التنظيم الذي نسعى إليه جميعاً.

لذلك أجد أنه من المهم مراجعة هذا الجانب التنظيمي بدقة من قبل الهيئة العامة للعقار، وإتاحة المجال لتعديل الأسعار وفق المعطيات الواقعية، مع بقاء التوثيق ملزماً وحامياً للطرفين. فنجاح السوق العقاري في تحقيق التوازن لا يتوقف عند ضبط الأسعار ومنع المضاربات فقط، بل يحتاج أدوات مرنة تحاكي حركة السوق لحظةً بلحظة.

تلويحة ختام: الأرقام قد تصمت على الورق، لكنها تهمس بالحقيقة دائماً لمن يختار أن ينصت جيداً.

صدر عن « شذرات العلم للنشر» بالرياض..

وجع الكتابة: دراسات ومقالات.

اليمامة - خاص

أصدرت شذرات العلم للنشر بالرياض كتابًا جديدًا للدكتور عبدالله الحيدري، وعنوانه «وجع الكتابة: دراسات ومقالات»، وجاء في مئتين وأربعين صفحة من القطع المتوسط بطباعة فاخرة وتجليد، وتتولى دار المحدّث للنشر والتوزيع بالرياض توزيع الكتاب وتوصيله عبر موقعها في الدائري الشرقي، أو عبر المتجر الإلكتروني.

وقد كشف المؤلف في المقدّمة سبب اختيار العنوان حين قال: «جاء العنوان واصفاً للحظات الكتابة والمعاناة التي يجدها الكاتب بين انقداح الفكرة، وإطالة النظر في جوانبها، ثم جمع مراجعها إذا كانت تحتاج لذلك، ثم البدء بالكتابة واختيار العنوان والمراجعة والتوثيق أحياناً، وكلها مراحل لا تخلو من وجع ومعاناة وتفكير متواصل، ولكن هذا الوجع وهذه المعاناة تزول بمجرد النشر؛ وللنشر فرحة لا يعرفها إلا من جرّبها إذ هي لحظات الالتقاء بالمتلقي، وإعلان الظهور ومحطة الانتشار وتوثيق العمل، وكم من نصوص كثيرة جداً لولا النشر في الصحف والمجلات لضاعت إلى الأبد؛ ومن هنا فإن علاج الوجع بالنشر هو المحفّز للعودة إلى فضاء الوجع والمعاناة مرة ومرة، ولولا النشر في نظري لما عاد الكاتب إلى زاوية الوجع والألم».

ضم الكتاب جملة من الدراسات والمقالات المرتبطة بالأدب في المملكة العربية السعودية، وجاء في أربعة فصول، وهي:

الفصل الأول: مجلات ثقافية، وفيه ثلاثة أبحاث ومقال، وهي: مجلة العرب: الفكرة والنشأة

والمسيرة، ومجلة المنهل ودورها في الحركة الفكرية والأدبية في المملكة العربية السعودية، وافتتاحيات مجلة المنهل في عهد عبدالقدّوس الأنصاري، وافتتاحيات مجلة علامات في النقد الأدبي (٢٠٠٣-٢٠١٦م): عرض وتحليل.

الفصل الثاني: مقالات ودراسات عن الصالونات الثقافية، وضم سبع مواد، وهي: ندوة الشيخ عبدالعزيز الرفاعي، والاحتفاء الشعري بندوة عبدالعزيز الرفاعي ومجلس أوراف الأدبي، والصالونات الثقافية في المملكة العربية السعودية بين مرحلتين، والصالونات الثقافية النسائية، والخبرة الأكاديمية والممارسة الثقافية في أسبوعية القحطاني، وكتاب الديوانيات لعبدالعزيز آل حسين، واثنينية حمود الذييب بالرياض.

الفصل الثالث: دراسات متفرقة، وفيه ثماني دراسات، وهي: محمد حسن

عوّاد وحسين سرحان: الاتفاق والاختلاف، وحضور قصائد إبراهيم العواجي في كتب المختارات وغيابها: الدلالات والآفاق، وعبدالعزيز خوجه: تجربته في الشعر والثقافة والإعلام، ونصيب الأدب في المملكة العربية السعودية من سلسلة أصوات معاصرة المصرية، وحضور الأدب السعودي في معاجم البابطين للشعر، ومناقشة هادئة لمنظّري المقالة، وجهود الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيّع في خدمة الأدب السعودي، وفن المقالة عند عبدالرحمن المعمّر.

الفصل الرابع: مقالات في الشأن الأدبي، وفيه سبع مقالات، وهي: بيت ليس في ديوان ابن عثيمين، والأدب الحديث في نجد، وخواطر حول إعادة طباعة كتب الرواد، وحمد الحجي (١٣٥٧-١٤٠٩هـ): ملامح وشذرات، وكتاب مجهول لعبدالعزيز مشري، وتغاريد شاعر

شرفات

العدد - الثامن عشر
يوليه 2025 م
محـــرم 1447هـ

ملحق شهري يصدر عن مجلة «اليمامة» يُعنى بالشؤون الثقافية والأدبية.

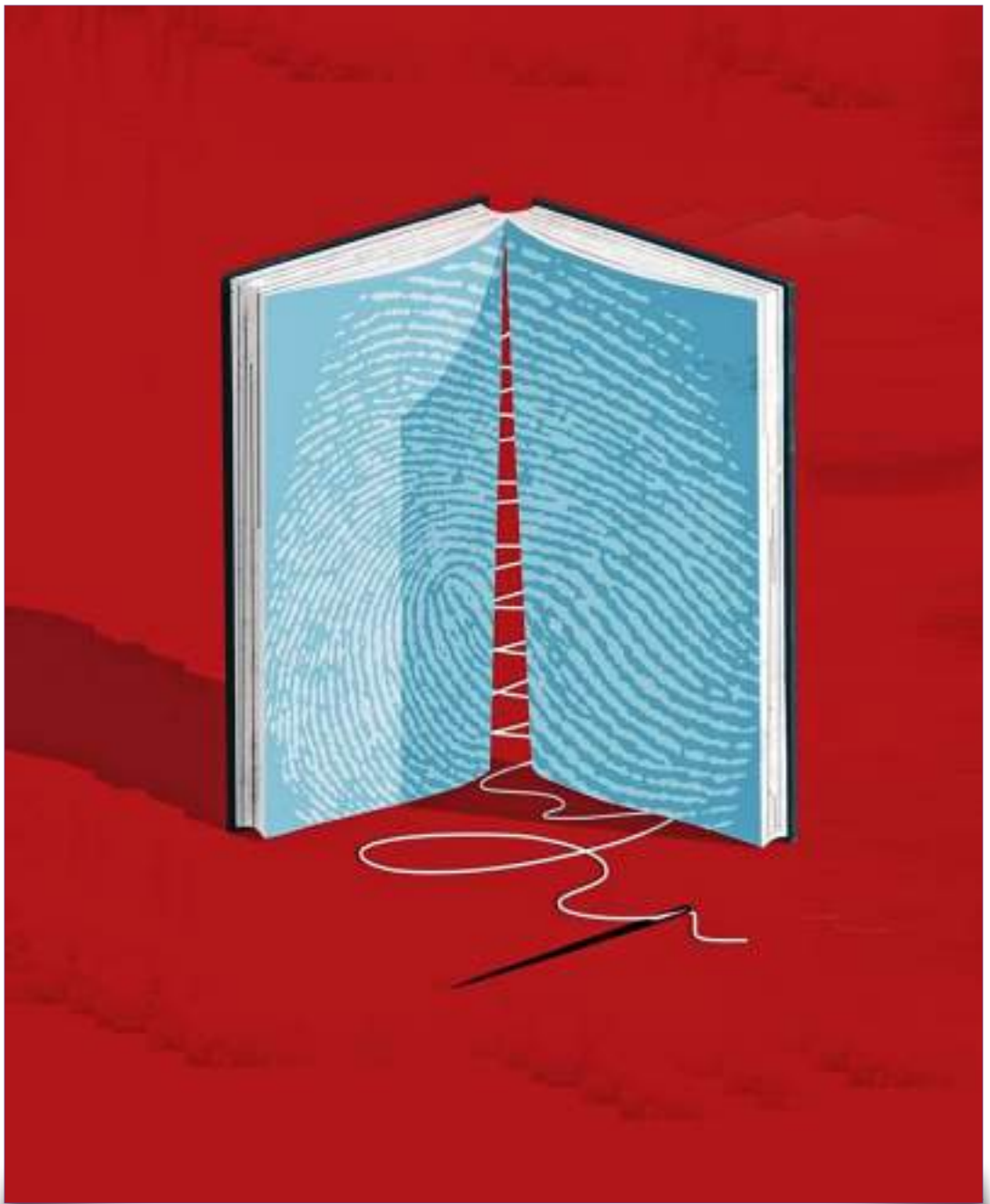

د.سعد البازعي:
نص مترجم لـ « كافكا».

د. معجب الزهراني:
ملف خاص .

محمد الدميني:
رحلة على طريق الحرير القديم .

بيوت الثقافة تنسج ملامح المستقبل.

شرفات

إشراف:عبدالعزيز الخزام

العدد الثامن عشر - يوليه 2025 م - محرم 1447هـ

محمد الحرز

السرد والإيديولوجيا والتاريخ

52

حسن النعمي

تأويل حلكة النص

63

50

محمد العباس

الذات على حافة الآخر

د.معجب العدواني

سيرة وقت خارج المكان

42

ابراهيم زولي

أزمة الخطاب النقدي

57

53

شتيوي الغيثي

السالفة وأولية السرد السعودي

زياد العطية

تقرير عن موت رجل مجهول

58

61

حسن القرني

قصيدة هسيس

أما قبل

عبدالعزيز الخزام

نوافذ جديدة من شرفات.

هذا الشهر، نفتح في "شرفات" نوافذ جديدة على أسماء ومناطق لم نطلّ عليها من قبل.

الدكتور سعد البازعي، أحد أبرز أساتذة المشهد الثقافي، يصغي، كعادته، إلى اللحظة ويترجم عملا مهما من أعمال فرانتس كافكا يقل الالتفات إليه على الرغم من أهميته لنا وللظروف الراهنة.

وفي هذا العدد، نستأنف في "شرفات" تقليدا صحفيا عريقا طالما ميّز المجلات الثقافية الكبرى، حين كانت ترحب بالرحلات لا بوصفها انتقالا جغرافيا، بل مغامرة فكرية وحسية وروحية.

ويسعدنا أن تكون هذه العودة بقلم محمد الدميني، أحد أبرز شعراء المملكة وكتابها، الذي يكتب لنا عن رحلته المدهشة بين سمرقند وطشقند، على دروب الحرير، وفي ظلال القلاع والمدارس والأسواق والتماثيل والمآذن.

وهو نص لا يُقرأ كرحلة فقط، بل كدعوة إلى إعادة اكتشاف الشرق من جديد، بعين مثقف سعودي، يعبّر عن أمله -وربما يدعونا - إلى تجديد الشراكات، وبناء مصالح تتقاطع مع هذا الامتداد الحضاري العريق.

أما المادة الثالثة التي فاجأتنا حقًا، فقد جاءت من طهران: كاتبة ومترجمة إيرانية قديرة، وسط لحظة سياسية ملتهبة، تختار أن تبعث إلينا بقراءتها عن كاتب روائي سعودي شاب يصدر روايته الأولى، في رمزية هائلة لا تخفى.

لغة شعباني حملت حسا أدبيا دقيقا واهتماما صادقا بالأدب السعودي الجديد، وكأنها تذكّرنا بأن الأدب - حتى في زمن القصف - لا يتوقف عن بناء الجسور.

ومن "شرفات"، نطل على هذه المحاولات لا لنحيط بها، بل لنعبر من خلالها إلى أفق أوسع.

khozam55@hotmail.com

54 عبدالمحسن يوسف
الشعر من لغة إلى أخرى

56 نصوص جديدة لـ..
مي خالد ونجوى العتيبي

الرئيس التنفيذي يتحدث عن مشاريع لإعادة العلاقة بين الثقافة والمجتمع..

د. عبدالرحمن العاصم: هيئة المكتبات ليست بنية تحتية فقط، بل رؤية ثقافية للمستقبل.

*سمو ولي العهد مهتم كثيراً بتعزيز الهوية الثقافية السعودية
*البيت الثقافي سيكون لاعبا رئيسيا ونريده أن يكون المنصة الأولى.

حوار/ عبدالعزيز الخزام

يعد الدكتور عبدالرحمن العاصم واحدًا من أبرز الشخصيات التي تقود العمل الثقافي في المملكة، وهو يحقق حاليًا نجاحات متتالية من خلال المشاريع المبتكرة التي تنهض بها هيئة المكتبات، التي يشغل منصب رئاستها التنفيذية منذ إنشائها في العام 2020.

وقد عُرف العاصم في الساحة الثقافية بوصفه قامة أكاديمية وإدارية بارزة، جمع بين الخبرة العلمية والقيادية في مجالات إدارة المعلومات والثقافة. وقاد مبادرات ثقافية كبرى، وأشرف على معارض الكتاب الدولية، وأسهم في تطوير البنية المعرفية للمؤسسات التي عمل بها، مما جعله أحد الأسماء المؤثرة في المشهد الثقافي السعودي.

في هذا الحوار الخاص مع اليمامة، يتحدث العاصم بعد افتتاح ثلاثة بيوت ثقافية جديدة في كل من الرياض وجازان ونجران، كاشفا عن شراكات واعدة مع وزارة التعليم، من أبرزها مشروع "نجم القراءة" الموجه لطلاب المرحلة الابتدائية، بهدف تعزيز العادات القرائية ورفع مستوى الفهم القرائي. ويؤكد أن المكتبة الرقمية الوطنية ستكون حاضرة ضمن المكتبات المدرسية، كاشفًا عن انطلاق تجربة أولية لتطويرها بمفهوم حديث في أربع مدارس بالرياض، تمهيدًا لتعميمها مستقبلًا.

كما نتناول معه المكتبة الرقمية الوطنية التي دشّنتها الهيئة مؤخرًا بوصفها مشروعًا طموحًا يعيد تعريف الوصول إلى المعرفة، ونتوقف عند مشروع "بيوت الثقافة" الذي يُعوّل عليه كثيرون في إحداث حراك ثقافي نوعي خلال المرحلة المقبلة.

البيت الثقافي الرقمي

***يبدو أن المكتبة الرقمية التي تم تدشينها في مؤتمر ومعرض ليب 2025 تُعد المشروع السعودي الأول من نوعه، إذ تتجاوز حدود المكتبة الرقمية الأكاديمية ذات التأثير المحدود لتستهدف كافة شرائح المجتمع. فكيف ترى تأثير هذا المشروع في إثراء التجربة الثقافية العامة؟**

-عملنا على تطوير مفهوم المكتبات العامة التقليدي باعتبارها بيوتاً ثقافية تقدم خدمات إضافية، ونوعية تتماشى مع التطورات الجارية، وتطلعات المستفيدين. والمكتبة الرقمية تُعد المنصة الأولى على مستوى المملكة، وقد تكون الأولى كذلك على مستوى الشرق الأوسط التي تقدم خدمات نوعية تُلبي جميع احتياجات خدمات المكتبات، فمن مفهومنا في الهيئة ننظر إليها بوصفها بيتاً ثقافياً رقمي يمكن من خلالها الوصول إلى مصادر المعلومات الرقمية أو التقليدية، وإصدار العضويات. أيضاً، يمكن الوصول لمصادر التعلم، وحضور الفعاليات والبرامج وورش العمل بشكل الكترونياً. وباستخدام التقنيات الحديثة يمكن تخصيص واجهات المستخدمين بحسب الفئات العمرية. فيمكن تخصيصها للأطفال، وهذه نقطة مهمة جداً، حيث يمكن لرب الأسرة إنشاء حسابات لأطفاله ليستمتعوا بكتب الأطفال المتاحة، والخدمات بواجهات مصممة للأطفال.

ومن المهم الإشارة إلى تكامل البيت الثقافي الرقمي مع بقية منتجات الهيئة الأخرى "كمسموع"، "ومناول"، و "رف". وبيوت الثقافة. وبشكل عام، هو مشروع نوعي أطلقناه في مؤتمر ومعرض "ليب 25"، ونتطلع أن يكون له حضور قوي في المشهد الثقافي، والتعليمي، والاجتماعي السعودي.

افتتاح ثلاثة بيوت ثقافية جديدة

***إذن، لن تكون المكتبة الرقمية مجرد وصول لمصادر المعلومات، بل ستركز على صناعة مجتمع تفاعلي يتكامل مع بيوت الثقافة؟**

-نعم، هي ليست مجرد وصول للمعرفة،

بل منصة ثقافية تفاعلية. والوصول لمصادر المعلومات الرقمية أو التقليدية أهم خدماتها بالتأكيد. وخلال الخمسة أشهر الماضية، تم افتتاح ستة بيوت ثقافية جديدة في الرياض وجيزان ونجران وحائل وبريدة وسكاكا ليصبح عدد البيوت الثقافية في المملكة ثمانية. حيث تم افتتاح أول بيتين ثقافية في عام 2023 في الدمام واحد رفيدة.

والمكتبة الرقمية تتيح التسجيل في الفعاليات والانشطة والبرامج المُقدمة في البيوت الثقافية والحصول على شهادات الحضور والمشاركة، وحجز المساحات سواء للأفراد أو للمؤسسات. فهي منصة متكاملة، وكما ذكرت، هي مجتمع وبيت ثقافي رقمي.

***يبدو أن إطلاق المكتبة جاء قبل اكتمال محتواها وهويتها...**

-مشاريع التحول الرقمي لخدمات المكتبات حاضرة منذ بداية تأسيس الهيئة وأحد مستهدفاتها، واجهتنا جائحة كورونا في البداية، لكنها كانت فرصة لإعادة ترتيب أولوياتنا ودراسة استراتيجية المكتبة الرقمية بشكل أعمق لتقديم خدمات مستدامة تحت أية ظروف، ومن ثم بدأنا في التنفيذ.

وطبيعة المنتجات الرقمية انها في عملية تحسين وتطوير مستمرة. وكنظام المنصة مكتملة المحتوى والهوية سواء كموقع الكتروني أو تطبيق على متاجر التطبيقات الإلكترونية. أما بالنسبة لمصادر المعلومات فيتم تحديثها بشكل مستمر بناء على توجهات المستفيدين.

نتابع التفاصيل ولدينا احصائيات دقيقة

***في الفترة القصيرة الماضية منذ إطلاق البيت الثقافي الرقمي، هل تعرفتم على توجهات المستفيدين؟**

-نحن حالياً في مرحلة التعرف على توجهات المستفيدين وميولهم القرائيه وسلوكياتهم في البحث والتفاعل مع المعلومات. كما تعلم، أطلقناها مؤخراً. ومع ذلك، نستطيع أن نقول إن أكثر من 60٪ من الطلب على مصادر المعرفة في بيوت الثقافة لكتب الأدب والروايات. لدينا إحصائيات دقيقة حول عدد الزيارات، معدل تكرارها، الفئات العمرية، والبرامج التي يفضلها المستفيدون. لكن هذه الإحصائيات تم جمعها بعد سنة من عمل بيوت الثقافة. بالنسبة للمكتبة الرقمية، سيكون الأمر أسهل لأن العملية محوكمة ومؤتمتة، وسنحصل على تقارير ربعية ترصد الزيارات، والعضويات، وحركة التداول، وحضور الفعاليات، ومشاركة الفئات العمرية المختلفة.

مشروع "نجم القراءة"

***دعنا نتحدث عن علاقتكم مع المؤسسات التعليمية. هل ستكون المكتبة الرقمية داعماً ومصدراً من مصادر التعلم في هذه المؤسسات؟**

-بكل تأكيد. هذا أحد المشاريع التي عملنا عليها بالتعاون مع وزارة التعليم. لدينا عدة مشاريع مشتركة، أبرزها مشروع "نجم القراءة"، وهو منصة إلكترونية موجهة لطلاب المرحلة الابتدائية في المرحلة الأولى لتعزيز العادات القرائية، ورفع مستوى الفهم القرائي. المكتبة الرقمية ستكون حاضرة في المدارس، ونعمل حالياً مع وزارة التعليم على مشروع طموح لإعادة تأهيل وتطوير المكتبات المدرسية بالمفهوم الحديث، حيث سنبدأ بتجربة في أربع مكتبات مدرسية في مدينة الرياض لفهم أعمق للمتطلبات وآلية التنفيذ.

منظومة الثقافة تعمل بشكل متكامل

***ماذا عن خطوط التلاقي بين المكتبة الرقمية وبرامج الهيئات الأخرى اللي تعمل بالتوازي مع هيئة المكتبات؟**

-اليوم، منظومة الثقافة تحت قيادة سمو وزير الثقافة تعمل بشكل متكامل. فجميع الهيئات والكيانات الثقافية لديهم مشاريع توثيقية وحصر ودراسات وأبحاث، ويوجد مواءمات مع الجميع في مشاريعهم المعرفية كهيئة فنون الطهي حول موسوعة الأطباق السعودية، وهيئة الموسيقى حول أرشيف الفن السعودي، وهيئة المسرح والفنون الأدائية حول مشاريع الأرشفة. والمكتبة الرقمية ستكون حاضنة لهذه المصادر الثقافية، بالإضافة إلى التكامل مع المؤسسات المعلوماتية الأخرى في المملكة.

لا تجاوزات في الملكية الفكرية

***كثير من مشاريع إتاحة المحتوى العربي التي أطلقتها مؤسسات أو أفراد لم تراعِ حقوق الملكية الفكرية، مما أثر سلباً على حقوق المؤلفين والناشرين. كيف تضمنون في المكتبة الرقمية الحفاظ على حقوق الملكية الفكرية ضمن خططكم لإثراء المحتوى العربي؟**

-تُعد المملكة العربية السعودية من أبرز الدول عالمياً في سعيها لحماية مختلف مجالات الملكية الفكرية، ويؤكد ذلك إنشاء هيئة مستقلة تعنى بهذا المجال، وهي "الهيئة السعودية للملكية الفكرية"، ضمن مستهدفات رؤية المملكة 2030. وفيما يتعلق بضمان خلو المصنفات المتداولة عبر المكتبة الرقمية من أي انتهاك لحقوق المؤلف، نؤكد إلى أن جميع المصنفات المعروضة مرخصة من أصحاب الحقوق، سواء كانوا الناشرين أو المؤلفين أنفسهم أو غيرهم من ذوي الصلة. كما تلتزم هيئة المكتبات، ومنظومة وزارة الثقافة بشكل عام، بكافة الأنظمة والتشريعات المعمول بها لحماية حقوق الملكية الفكرية.

مشاريع الهيئة مطلوبة عربيا

***تحدثت يا دكتور عن التوجهات المحلية للمكتبة، فهل هناك خطط مستقبلية لتوسيع نطاقها لتصبح منصة تخدم العالم العربي؟**

-من الأشياء التي نفخر بها في هيئة المكتبات اليوم أن مشاريع الهيئة أصبحت محل طلب لكثير من الدول. تصلنا اتصالات من كثير من الدول الشقيقة والصديقة لفهم أكبر لتجربتنا في هيئة المكتبات، وقدمنا ورش عمل

وندوات في مؤتمرات دولية عن مبادرات ومشاريع الهيئة. وقد يكون آخر مؤتمر شاركت فيه الهيئة بدعوة كريمة من حكومة دبي، وهو مؤتمر دبي الدولي للمكتبات، حيث شاركنا في جلسة حوارية باستعراض تجارب هيئة المكتبات سواء مشروع بيوت الثقافة أو مشاريع المنتجات الرقمية. أيضاً، تصلنا طلبات من كثير من المؤسسات المهتمة بقطاع المكتبات بمشاركة بعض الملفات التي تم العمل عليها. هذا مؤشر بأننا نسير في الطريق الصحيح.

الحضور للبيت الثقافي عادة وليست موسمياً

***فلننتقل إلى أحد المشاريع البارزة لهيئة المكتبات، وهو مشروع بيوت الثقافة. كيف تقيّمون حضور هذه البيوت في اطلالتها الأولى على الساحة الثقافية المحلية؟**

-أعتقد أنها تجربة ملهمة في أكثر من جانب. إذا أخذناها بلغة الأرقام، فإن عدد زوار المكتبات العامة في المملكة مجتمعة، وعددها 84 مكتبة في عام 2017، بلغ خمسة وخمسين ألف زائر. بينما عدد زوار بيت الثقافة في الدمام وأحد رفيدة ومؤخراً في بريدة وحائل وسكاكا وجيزان والرياض ونجران بلغ أكثر من 300 ألفاً زائر. اليوم، نتكلم عن رقم كبير جداً، ونطمح هذه السنة أن نصل إلى المليون زائر مع افتتاح المزيد من البيوت الثقافية. هذا على مستوى الزيارات. أما فيما يتعلق بنسبة تكرار الزيارات، فقد وصلنا تقريباً إلى نسبة 48٪. أي أن 48٪ من الذين يحضرون للبيت الثقافي هم أشخاص سبق لهم الحضور مرة أو مرتين أو ثلاث مرات. وهذا الأمر يُعد من ضمن أهم المؤشرات التي نسعى لتحقيقها، وهي أن يكون الحضور للبيت الثقافي عادة وليس زيارات موسمية. لا نهدف إلى أن تأتي للبيت الثقافي لحضور حفلة أو مناسبة أو فعالية معينة، ولكننا نطمح أن يكون البيت الثقافي مكاناً يزوره الناس بشكل مستمر للمتعة الثقافية والاجتماعية.

وهذا، والحمد لله، يتحقق. وفي قطاع الفعاليات، فقد تم تنظيم أكثر من الفين وخمسمائة نشاط وفعالية داخل البيوت الثقافية، وهذه تتجاوز المتوسط العالمي لأفضل التجارب الدولية. حضر هذه الفعاليات أكثر من ثلاثين ألفا في فعاليات وأنشطة متنوعة، شملت: تنمية المهارات الثقافية، وفي التعليم وتنمية القدرات البشرية. بالإضافة إلى البرامج المتعلقة بالتوجهات الحديثة، كالأمن السيبراني، والذكاء الاصطناعي، وتطبيقات الحاسب الآلي، وتعزيز العادات القرائية، والبرامج والنشطة الموجهة للأطفال واليافعين. استفاد من هذه الانشطة والفعاليات أكثر من 28 ألفاً. وهناك نقطة مهمة جداً وهي أن بيوت الثقافة عززت من فرص العمل التطوعي. اليوم، يمكن أن نقول إنها من الجهات الثقافية الأولى التي أوجدت لها حساباً على منصة العمل التطوعي، وهي أتاحت الاستمتاع بتقديم تجربة تطوعية داخل بيوت الثقافة. وقد حققنا فيها أكثر من 71.600 ساعة عمل تطوعية. نعتقد أنها تجربة جميلة جداً، والطلب ما زال عالياً على التطوع. أيضاً، فيما يتعلق تعزيز الأثر أو تعظيم الأثر الاقتصادي والاجتماعي للبيوت الثقافية. اليوم، لدينا دراستين نقوم بإجرائهما في الدمام وفي أحد رفيدة. الدراسة الأولى معنية بالأثر الاجتماعي، خاصة فيما يتعلق بالتعليم، بالشراكة مع وزارة التعليم. لمعرفة مدى تأثير وجود البيت الثقافي على طلاب المرحلة الابتدائية في تعزيز وتنمية المهارات الثقافية، العادات القرائية ورفع مستوى الفهم القرائي. وفي نفس الوقت، نعمل على مشروع آخر يتعلق بالأثر الاقتصادي الخاص بدعم ريادة الأعمال. بمعنى، هل بيت الثقافة الموجود في أحد رفيدة والدمام، والموجود الآن في سكاكا وبريدة وحائل، ونجران وجيزان والرياض يساهم في ريادة الأعمال وتطوير المهارات لدى الأفراد، وبالتالي خلق فرص عمل؟ اليوم، لابد أن يكون هناك أثر اجتماعي، والأثر الاجتماعي ينصب على الأثر التعليمي وأثر جودة الحياة. وأثر اقتصادي، سواء كان مباشراً بخلق فرص العمل لدى الجهات التي تعمل معك في التوريد والإنشاء، أو الأثر الاقتصادي غير المباشر، كما في ريادة الأعمال وتطوير الأعمال. وهذا، طبعاً، دور حيوي للمكتبات وبيوت الثقافة. الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية تقول إنه تقريباً 56٪ من المؤسسات التي تم بحثها أشارت إلى أنها استفادت من المكتبات العامة في تطوير منتجاتهم، سواء كانت خدمة أو منتج. وفي دراسة حديثة في المملكة المتحدة، المكتبات العامة في إنجلترا منذ نهاية جائحة كورونا إلى نهاية 2023 قامت بدعم أكثر من 42,600 رائد أعمال. ونطمح إلى أن يكون لنا أثر في هذا الجانب.

البيت الثقافي أصبح لاعباً رئيسياً

***يعول كثير من المثقفين على بيوت الثقافة بوصفها مشروعاً واعداً سيحدث تحولاً في المشهد الثقافي المحلي. كيف تنظرون إلى هذه التطلعات؟**

-بثقة تامة بيوت الثقافة أحدثت تغييراً كبيراً على مستوى النشاط الثقافي، سواء في استضافة الشخصيات المهمة، أو في إقامة المعارض والانشطة والفعاليات. وإذا تكلمنا عن إثراء المشهد الثقافي، فلك أن تتخيل أننا أقمنا في أحد رفيدة معرض للمخطوطات والمسكوكات، وعُرض في المعرض عملة تاريخية مسكوكة في المنطقة الجنوبية في المملكة. فانظر إلى الامتداد التاريخي، وكونك من أبناء المنطقة وترى هذه العملة التي سُكت في منطقتك في أحد العصور الإسلامية، أعتقد أن هذا شيء جميل جداً. وعلى مستوى بقية المناطق، اليوم البيت الثقافي هناك أصبح لاعباً رئيسياً، ويعتبر من المرافق المهمة، وهو شريك في كثير من البرامج سواء مع أمارات المناطق أو الامانات وغيرها من المؤسسات الحكومية والخاصة والغير ربحية.

نتقاطع مع برامج الرؤية

***هذا يعني أن بيوت الثقافة ستكون إحدى مهامه إبراز التراث المحلي وكتابة الذاكرة الثقافية للمنطقة...**

-تماماً، ونحن مهتمون بذلك. نحن نرصد ما يكتب عن بيوت الثقافة في منصات التواصل الاجتماعي، سواء كانت مقاطع فيديو أو كتابات نصية أو صوتية، وأيضاً ما يُدون في بعض التعليقات في بعض التطبيقات مثل خرائط جوجل وغيرها. ونسعد بمشاهدة ردود فعل ايجابية. في هيئة المكتبات نتقاطع مع برامج الرؤية في أهم برنامجين، وهما برنامج جودة الحياة وبرنامج تنمية القدرات البشرية. بيوت الثقافة تُساهم في تنمية القدرات البشرية بتوفير منصات تُمكن من الوصول إلى المعرفة ومشاركتها، وجودة الحياة بوجود منصات تشاركية تفاعلية تذهب لها الأسرة وتستمتع بالفعاليات والأنشطة. وكما ذكرت، فنحن لا نستهدف فقط الزيارات الموسمية. هدفنا أن تصبح

د. عبدالرحمن العاصم يتحدث للزميل عبدالعزيز الخزام

زيارة البيت من ضمن الجدول اليومي. حاولنا أن نقدم في البيت الثقافي "تجربة زيارة". لا نتكلم عن زيارة فقط، ولكن عن تجربة زيارة، بدءاً من التجهيزات، والتصاميم، والخدمات. جمعنا ما بين الخدمات التقليدية والخدمات الرقمية.

أشياء نوعية تتحقق الآن

*مع حداثة تجربة بيوت الثقافة، ما هي رؤيتكم لمستقبلها في ظل الحملات الإعلامية والترويجية التي أطلقتها الهيئة، وما الذي يجعلها مؤهلة لتكون المنصة الأبرز للوصول إلى الجمهور؟

-البيت الثقافي الرقمي لم يمر على إطلاقه سوى وقت قصير، وبدأنا بالحملات الإعلامية والحملات التعريفية والترويجية للبيت الثقافي الرقمي. ونتوقع أن يكون البيت الثقافي الرقمي المنصة الأولى في الوصول للمعرفة والمشاركة الثقافية. نؤمن تماماً أن ثمة أشياء نوعية تتحقق الآن. أما بالنسبة للبيوت الثقافية فالأرقام تتحدث عن نجاح كبير.

*كيف يمكن لبيوت الثقافة أن تترجم اهتمام القيادة بتكريس الهوية الثقافية وتساند الجهود المبذولة في هذا السياق؟

-سمو سيدي ولي العهد مهتم كثيراً بالثقافة، وبتعزيز الهوية الثقافية السعودية. في كل ظهور إعلامي لسمو ولي العهد، هناك ما يوحي بهذا الاهتمام، سواء في الأعمال الفنية الموجودة في مكتب سموه، أو حتى المراسم المرافقة لاستقبالات الضيوف. الثقافة السعودية حاضرة دائماً مع سموه، وهذا الأمر يشكل دعم كبير لنا في المؤسسات الثقافية للعمل بشكل مستمر لتحقيق هذه التطلعات وهذا الطموح الذي سيخدم أفراد المجتمع. والذي نسعى من خلاله أن يكون لنا في هيئة المكتبات ولمنظومة الثقافة بشكل عام أثر كبير. وأعتقد أن المنظومة الثقافية كلها نجحت في ذلك. يمكن أن أعطيك مثلاً بسيطاً لذلك. اليوم، نحن نتكلم عن الأكلات الشعبية السعودية، والتي أصبحت حاضرة في أغلب المناسبات. وكل هذا خلفه جهود هيئة فنون الطهي. اليوم، لو سألت عن أشهر الأكلات الشعبية في حائل، ستجد الإجابة. وهذا ينسحب على جميع الأكلات الشعبية في مناطق المملكة. وكل هذا يكرس الهوية الثقافية السعودية والارتباط بها، وإعادة إحياء هذا التراث العريض والممتد لمئات السنين. أعتقد أنه نجاح كبير لمنظومة الثقافة.

مشاريع توثيق الثقافة السعودية

*وماذا عن إسهام بيوت الثقافة في تكامل جهود وزارة الثقافة لتوثيق التراث المحلي وحفظ الثقافة السعودية؟

-هناك مشاريع كثيرة تعمل عليها الوزارة تهدف في مجملها لتوثق الثقافة السعودية، وحفظ الأرشيف الثقافي السعودي، وتعزيز الهوية الوطنية. وهذه الجهود تشمل التشريعات والسياسات. كتواجد الأعمال السعودية، سواء كانت فنون بصرية أو حتى حرف يدوية، في الفنادق وفي المطارات والميادين العامة، أعتقد أن هذه جزء من الصورة التي تعمل الوزارة على رسمها. كلنا نستمتع اليوم برؤية الفنون في الأماكن العامة، حتى أنواع الخطوط نجدها في الشوارع والكباري والأنفاق. أيضاً، تفاعل المملكة مع الأيام العالمية أخذ طابعاً مختلفاً. اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف، اليوم العالمي للحرف اليدوي، اليوم العالمي للأزياء. المملكة أصبحت بالفعل مساهمة في الثقافة العالمية. ولاننسى الأعوام الثقافية السعودية وما يصاحبها من تفعيلات وبرامج وأنشطة.

التراث الثقافي المحلي للمناطق

*هل البيوت معنية بإبراز التراث الثقافي المحلي، خاصةً فيما يتعلق بالمؤلفين الذين لم ينالوا نصيباً من الاهتمام؟

-هذا الموضوع محل اهتمامنا بالفعل. اليوم، واحد ادوار بيوت الثقافة في المحافظة وابراز تاريخ وثقافة المجتمع. في بيوت الثقافة قسم خاص بمؤلفات أبناء المنطقة. وتقدم انشطة وبرامج عن تاريخ المجتمع سواء باستضافة الشخصيات الثقافية أو المؤثرين، وتقديم ورش وبرامج في الحرف اليدوية للمجتمع. وخلال الفترة الماضية ساهمت معنا عدد من الشخصيات في تفعيلات بيوت الثقافة، ونتطلع للمزيد بالشراكة مع المؤسسات والافراد في اثراء تجربة الزائر وتعظيم أثر بيوت الثقافة.

بيت الثقافة بحائل سينظم سبعمائة فعالية

*ما هي رؤيتك لدور المجتمع المحلي ووسائل الإعلام في تعزيز نجاح بيوت الثقافة؟

-مشروع بيوت الثقافة هو مشروع الجميع والكل مساهم في نجاحه هيئة المكتبات، المؤسسات الحكومية والخاصة والغير ربحية والافراد. نجاح بيت الثقافة في حائل والمفتتح حديثاً في الربع الأول من 2025 يحقق نجاحات ملموسة حيث بلغ عدد زواره أكثر من 20 ألفا، وقدم فيه أكثر من 200 نشاط بحضور تجاوز السبعة الاف. ساهم في ادارة اعماله أكثر من 80 متطوع ومتطوعة بإجمالي عدد ساعات تطوع بلغت أكثر من 1500 ساعة عمل تطوعية. جميع هذه الانشطة والبرامج واتاحة الوصول للمعرفة سينعكس اقتصادياً واجتماعياً على المنطقة.

الملف

ناقد وروائي وأكاديمي ترأّس معهد العالم العربي في باريس لست سنوات..

معجب الزهراني: الرؤية وضعت الثقافة على خارطة التحوّل... لكن التحديات ما زالت قائمة

القرى تموت ببطء.. لكن الجبال تظل حليفة الحياة.

أعد الملف والحوار: صادق الشعلان

يُعد الدكتور معجب الزهراني واحدًا من أبرز الأدباء والمفكرين السعوديين، وقد أثرى المشهد الثقافي بكتاباته النقدية وترجماته وإسهاماته الأكاديمية، وترك بصمته في مجلات ثقافية مرموقة ومؤسسات فكرية داخل المملكة وخارجها، وصولاً إلى إدارته لمعهد العالم العربي في باريس، الذي تولى رئاسته لست سنوات.

ولد الزهراني في منطقة الباحة في العام الميلادي 1954، ودرس اللغة العربية في جامعة الملك سعود، قبل أن يحصل على الدكتوراه في الأدب العام والمقارن من جامعة السوربون في باريس. وقد تنقل بين مجالات العمل الأكاديمي، والتحرير الثقافي، والكتابة الإبداعية، فكان عضوًا مؤسسًا أو محررًا في مجلات مثل «دراسات شرقية»، و«قوافل»، و«النص الجديد»، كما ترجم عددًا من النصوص المهمة عن الفرنسية، من أبرزها «اللغة العربية كنز فرنسا» لجاك لانغ.

له عدة مؤلفات من بينها رواية «رقص»، وسيرته الذاتية «سيرة الوقت»، وكتاب «مقاربات حوارية» الذي فاز بجائزة كتاب العام من نادي الرياض الأدبي عام 2012، إضافة إلى كتابه «مكتب على السين»، فضلاً عن كتابين أصدرهما بالفرنسية.

في هذا الحوار الخاص مع «شرفات»، يتأمل الدكتور معجب تجربته الممتدة بين ضفاف السين ومنحدرات قريته في الباحة، ويتحدث عن الغربة بوصفها تجربة أعادت نحت روحه على مهل، وعن العودة بوصفها راحة مستحقة بعد رحلة طويلة من التعلم والعمل. يرى الزهراني أن الثقافة السعودية تمر بتحول كبير في ظل الرؤية، لكنه يؤكد أن التقاليد القديمة لا تزال تملك مفاتيح التأثير، وأن هناك حاجة دائمة لمراجعة موقع المثقف ودوره.

ينشر هذا الحوار ضمن ملف خاص، يتضمن شهادات من أصدقاء وكتّاب، إلى جانب شهادة كُتبت من داخل عائلته، وقّعتها ابنته، لتضيء الجانب الحميمي من حياة رجل عاش في قلب العواصم، وظلّ يحمل داخله دهشة الريف وسكينته:

الأجواء الهادئة تليق بالمحطات الأخيرة.

*تنقلت بين مجتمعات مختلفة نوعا ما: مجتمع الباحة، مجتمع الرياض، مجتمع جدة، بالإضافة الى باريس لمرتين. بالتأكيد كانت هناك فروق بين هذه المجتمعات. ما تأثير هذه التنقلات عليك وجدانا وإبداعا وفكرا؟

-الوعي هو في بعض تعريفاته إدراك الفروق والاختلافات، وبهدف الفهم أولاً ثم التدخل للتغيير والتطوير تالياً، ولا حكم هنا حين نقول من هذا المنظور إن مجتمعاتنا العربية ومثيلاتها عانت شروط التخلف طوال قرون فيما كانت المجتمعات الغربية تراكم المنجزات الحضارية التي رسمت مصير العالم الحديث كله.

ومن يتنكر لمعطيات الواقع وشروط التاريخ سيظل يدور في حلقة مفرغة لا جهد يوفر ولا عملًا ينجز ولا رهانًا يكسب، وكما ألمحت اليه أنفًا، نحن اليوم في بداية مرحلة

الوعي الجاد والعمل الأكثر جدية لتجاوزها، وهذا في يقيني هو الرهان الوطني والحضاري الهام الذي يخوضه الجميع من رأس الهرم حتى قاعدته، وربما لأول مرة في تاريخنا المحلي.

وبما أن مشقات الرهان عادة ما تكون بقدر غاياته، فلا مناص من العمل الشاق المتصل الخلاق، ومعه شيء من الصمت عن خطابات المديح والهجاء والتنمية المستدامة ليست نزهة مريحة أو مباراة رياضية جذابة، بل تحول تاريخي حققه آخرون قبلنا ولا شيء يمنعنا من تحقيقه.

الريف الجبلي الأخضر ينادي

*لطالما ارتبطت القرية بالسكينة والألفة، وظل الحنين إليها قائمًا رغم الهجرة المتزايدة نحو المدن، فهل ترى أن عودة المحب إلى قريته اليوم تفتقد شيئًا من اكتمالها، في ظل هذا الغياب البشري المتصاعد؟

-في كلمة العودة ذاتها عنصر الاجابة الأهم، فلكل رحلة بداية ووسط ونهاية تشبه البداية ولا تتطابق معها في شيء، ثم إن مدننا تعرف كل مساوئ المدن الكبيرة الحديثة، لكنها لا تعرف أو تعترف بشيء من محاسنها، ولذا لا تغري أمثالي بالبقاء فيها، والريف الجبلي الأخضر ينادي ويرحب بالغائبين من أهله وبكل الغرباء أيضا.

الحنين لا يحضر كثيرًا هنا، ولقد عبرت في نهاية سيرة الوقت عن الوعي بأنني لن أكون أنا بعد هذه السباحة الطويلة في النهر، وإن قرى الطفولة ماتت، وبيوت الذاكرة هجرها أهلها، لكن الجبال والوديان والأشجار تظل حليفة الحياة، وكل من يبحث عن ظلال وارفة وأجواء هادئة تليق بالمحطات الأخيرة.

لم أغادر باريس قط

*عشت في باريس نحو عقد من الزمن بين الدراسة والعمل، كيف تنظر اليوم إلى تلك التجربة الطويلة؟ كيف تقيمها الآن؟

-رحلة التعلم والعمل لم تكن قاسية عليّ ولا بخيلة معي، وأقولها لأن تجربة الدراسة والعمل والحياة الثرية الحرة في باريس على مدى عشر سنوات طالبًا ، ثم سنة أستاذًا زائرًا في جامعة السوربون العريقة، وأخيرًا ست سنوات مديرًا عامًا لمعهد العالم العربي هي الهدية الأجمل التي لا يتلقاها إلا ذو حظ عال عظيم، ومع أنني كتبت عن هذه التجربة الاستثنائية في رقص ثم في سيرة الوقت ومكتب على السين، إلا أن ما تبقى هو الأكثر والأجمل، ولا مبالغة حين أقول إنني كثيرا ما أشعر ، حتى وأنا في القرية

> مشهدنا الثقافي متجدد- لكنه هش وغير مطمئن بعد
>
> لم أعد كما كنت بعد هذه السباحة الطويلة في النهر
>
> الغربة أعادت نحت روحي على مهل
> تجربة باريس كانت الهدية الأجمل في حياتي
>
> لم أكن «داعية» في الغرب.. بل باحثًا عن الجمال والحرية
>
> أهديت «سيرة الوقت» لأحد الأقارب، فأعادها إلي قائلا: «خليها مستورة»!

، أنني لم أغادر قط باريس، ومن يسكن مدينة النهر والكتب النادرة على ضفتيه، مدينة الجمال والحرية والتجارب الغنية المتجددة ، مدينة المتاحف العريقة والمسارح النشطة والحدائق الأنيقة لا يمكن أن يبرأ من غواياتها الفاتنة، ولي أن أزعم ، فوق ذلك ، أن تناوب البعد عنها والعودة إليها يبرر لي القول بأنها وعاشقها الغريب الأليف أصبحا كينونة واحدة.

رحلات التعلم والعمل

*بالنظر الى تجربتك الثقافية الحافلة التي خضتها على مدى السنوات الطويلة الماضية والتي تنوعت بين التدريس الجامعي والعمل الأكاديمي والثقافي، والدراسات النقدية، والكتابة الإبداعية والصحفية، وأيضا ادارة معهد العالم العربي في باريس، ما هي أبرز المحطات التي أسهمت في تشكيل شخصيتكِ الثقافية والأدبية؟ وكيف تنظر إلى هذه الرحلة الحافلة اليوم وأنت تستعيد ملامحها بعد كل هذه السنوات؟

-هذه قضية توقفت عندها مطولًا في سيرة الوقت ولذا أختزل فأقول إن رحلات التعلم والعمل هي الناظم الأساس لتجربة حياتي، فمغادرة القرية الصغيرة الهادئة إلى مدينة الرياض الكبيرة الغريبة الصاخبة الجافة كانت صدمة العمر الأولى حقا.

لكن الثمرة النوعية جاءت فوق ما توقعت وأجمل مما انتظرت، لأن السفر إلى باريس والعيش فيها عشر سنوات متصلة هي التجربة التي أعادت صياغة وعيي وذوقي ومجمل سلوكياتي إلى هذه اللحظة، فقد كنت أدرس وأعمل وأترحل داخل فرنسا وعموم أوروبا وكلي توق لمعاني الحرية والسعادة والجمال وهي تتجلى وتتحقق كجزء من تجربة العيش اليومي، خاصة وأن جيلي لم يعرف تلك البرمجة الغبية التي تخوف المبتعث من الآخر الكافر المنحط، بل وتغريه بالتحول الى داعية يتوهم ويصدق أن مهمته ليست التعلم، بل هداية الآخر لجنته.

وهكذا اتخذت العودة الى الرياض في ذروة المد الصحوي شكلاً من أشكال رد بعض الدَّين للجامعة الأم والوطن الأب وذلك بممارسة التعليم والبحث المعرفي من جهة والتصدي لطاعون التطرف والجهل والعنف بكل الوسائل وفي مختلف المقامات، والمؤكد أنني أسهمت مع غيري بما تيسر في تنمية ما نسميه خطاب التحديث والتنوير. وهذه مسؤولية كل مثقف في كل

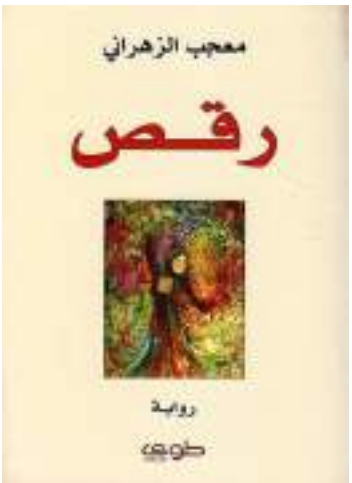

بلداننا كما يقول محمد أركون وعبد الله العروي وأمثالهما، ولا زلت أحاول وفي سياق « الرؤية » التي فتحت أبواب الأمل على آفاقها، ولا أظنها إلا ثمرة طيبة للوعي الذي شاركنا في بثه وتكريسه لأكثر من ثلاثة عقود.

التحول إلى الذات الفردية المختلفة

* يُقال إن سيرة الوقت سردٌ لبعض حياة معجب الزهراني، اختيرت تفاصيلها بعناية للتعبير عن رؤى ومواقف معينة، فيما رآها آخرون كسرًا لقوالب السير الذاتية وخروجًا مقصودًا عما اعتدناه من تحفظها. ما تعليقك؟

-السيرة الذاتية تكسير متصل لمرايا الزمن وشظاياه أملاً في اعادة استكشاف تلك الذات التي لا نرى منها سوى السطح ولا نعرف عنها سوى القليل البخيل، وكل كتابة كهذه إما أن تخضع فيها مخزونات الذاكرة الماضية لسلطة الوعي الراهن أو أنها ستأتي استرجاعات توثيقية غثة باردة تزيد الذات الفردية العادية جهلاً بذاتها الانسانية العميقة الملتبسة. حاولت في سيرة وقتي أن أتقصى سيرورة التشكل التي حولتني من ذات اجتماعية عادية إلى ذات فردية مختلفة، بل ومعارضة لقرينتها العادية. ونظراً لكونها ولدت في باريس، كما هي حال رقص، فقد تنفست هواء تلك « الحرية الشهية الواعية» منذ عباراتها الأولى حتى خواتيمها. من هنا حضرت فيها خطابات مهملة أو مقموعة في غيرها، وأعني خطابات الجسد الطبيعي الرغبوي، والفكر النقدي الشكاك المتسائل، والروح القلقة التواقة إلى ما يروي عطشها الوجودي الإنساني المتجدد دونما تفكير في سلطة المتلقي أيا كان. ولا أدعي انني ذهبت الى الأقاصي لأن مراجعات ما قبل النشر تضمنت العديد من أشكال الجرح والتعديل دون شك. ولي أن أزعم أن نص الذات المختلف الصادم هذا لم يقرأ ويحاور بعد كما يفترض لأنه فضح شيئاً من المستورات وانتهك بعض المحرمات الممنوعات. ذات يوم قدمت الهدية الى أحد الأقرباء / الأصدقاء فأعادها إلي اليوم التالي وهو يقول بمزيج حرج وممازحة «يبدو أنك ما كتبت كل هذا «الخزا» لنا، وأنصحك تخليها مستورة في مكتبتك «. ولو كنا في زمن تلك الغفلة العنيفة الجاهلة لربما حدث ما هو أسوأ في ظني!

*كونك قارئًا وناقدًا، في رأيك لماذا الأعمال القديمة تبقى أكثر من غيرها؟

-لعله قانون الزمن الذي يمر ويدمر كل شيء، ما عدا تلك الأعمال الجليلة الجميلة التي تزداد هيبة وفتنة واشعاعاً مع الوقت،

لأن زمنها الحقيقي هو المستقبل وحده.

مشهدنا الثقافي متسع لكنه هش

* بوصفك أحد المتابعين للشأن الثقافي وما يشهده من حراك لافت ومحفز، من منجزات ثقافية وتنظيم فعاليات ومناسبات متنوعة. كيف ترى تفاعل الجهات المعنية والأسماء الثقافية مع هذا المشهد وما يُطرح فيه من موضوعات؟

-متابعتي للنشاط الثقافي الوطني جيدة، لكنها ليست متعمقة، والسبب هو الترحال الذي تكرر حتى ألفته، وكذلك التحولات الجذرية المتوالية التي طرأت على البشرية كلها وحولت الكائن إلى متفرج لا يدرك كل ما يرى ويسمع.

من هنا فلي أن أقول إن مشهدنا الثقافي متسع متغير متجدد لكنه لا يزال هشاً غير متناسق أو خلاق بما يكفي للاطمئنان عليه وعلى الفاعلين فيه، ولكي نتفهم الحكم فلنا أن نتخيل أن فنون الموسيقى والمسرح والسينما والاستعراضات الاحتفالية الكبيرة لم يرحب بها إلا منذ سنوات.

حقبة جديدة في حياتنا

*هل يمكن لمن انطلق من فكر تقليدي أن يقود حراكا اجتماعيا متنورا بفعالية؟

-لم أفهم السؤال جيدًا، بل وأجد فيه أثرًا لصوت مكتوم يلمّح دون أن يصرّح، ومع ذلك أقول إنه لا حصانة للفكر التنويري في المجتمعات العربية لان الثقافات السائدة فيها لا تزال تقليدية عتيقة لا تتقبل الفكر الحديث والعلوم الحديثة والفنون الحديثة إلا بصعوبة كبيرة وربية أكبر، ومع أن استراتيجية « الرؤية » الطموحة الواعدة دشنت حقبة جديدة في حياتنا وثقافتنا، فنحن لا نزال حبيسي عديد الإشكاليات القديمة المتوارثة، مثلنا مثل جيراننا في جغرافية الشقاء المحيطة بنا، وفكر التوحش المعادي للمرأة ولكل مختلف عن الذات في العرق والعقيدة قد يحد من سرعته وسطوته لكنه لا يزول ، إن زال ، إلا على مدى أجيال .

سهرة باريسية أنيقة

*تقيم سفارات وقنصليات أجنبية فعاليات ثقافية تحظى باهتمام دبلوماسي وثقافي متنوع، كيف تقيم مثل هذه المناسبات في بناء جسور التعاون الآخر، ما هي الأماني والتطلعات التي تحمل حيالها؟

-ذكرت في سيرتي أنني كنت أشارك من حين لآخر في تلك الأنشطة، وبخاصة في الملحقية الثقافية

الفرنسية التي كانت متنفساً لطرح ما يتعذر التطرق له في الجامعة أو في نادي الرياض الأدبي أو في المجالس الثقافية المعتبرة آنذاك. وما كنت أدعى للحديث عن قضايا الفكر الفلسفي أو المرأة السينما وغيرها من الفنون الحديثة وأتردد أو أخضع لتلك المحاذير والمخاوف الوهمية التي لا يليق بأستاذ جامعي، وبأي مثقف واعٍ أن يخضع لها. وهل يليق بشخص مثلي أن يرفض فعالية ثقافية جادة تعقبها سهرة باريسية أنيقة في حقبة العنف والجفاف تلك؟!

مزرعة الشجر ومزرعة الكتب

*ما الذي يشغلك اليوم أكثر: العمل النقدي أم الكتابة الإبداعية؟ أم أن الاستمتاع بالجلوس في أحضان القرية قد استهلك وقتك؟ ما هي المشاريع الجديدة التي تعمل عليها في هذا الفترة؟

-يمضي وقتي بين مزرعة الشجر ومزرعة الكتب والترحل الممتع بين جبال السروات ووديانها غالب الوقت، وتلك الفضاءات المجهولة التي تنادي هذا الغريب الأليف لاستكشافها، أما الناظم العميق لكل قول أو فعل وسفر أو مقام فيظل معرفيًا فكريًا جماليًا في العمق، وللمتقاعد أن يخفف على قلبه وعقله وجسده ما استطاع.

مواصلة الترحال

*بعد هذه الرحلة الطويلة، ما الذي ذهب وما الذي بقي، وما الذي تأمل في تحقيقه ككاتب ضمن الحراك الثقافي المتنامي في المملكة حاليا؟

-لن اخضع لإغواءات التذكر فأنشد: ذهب الذين أحبهم... وبقيت مثل السيف فردا، فما ذهب مضى وسيبتعد كل لحظة أكثر وأبعد. والرهان النبيل الحقيقي لكل إنسان حيّ واع يظل هو ذاته في العمق؛ مواصلة الترحال وراء معاني الوجود الأصيل الجميل النبيل التي طالما راودته وأقنعته بجدوى الحياة في الحياة ذاتها، لا قبل ولا بعد.

الحداثة لا تدخل مجتمعاتنا إلا بريبة كبيرة

المثقف العربي لا يزال مطالبًا بمواجهة فكر التوحش

أعيش بين مزرعة الشجر ومزرعة الكتب.. وأتنقل بين الجبال

الوعي يبدأ بإدراك الفروق.. والرهان الحقيقي هو التنمية الصامتة

الأعمال العظيمة لا تعيش في ماضيها بل في مستقبلها

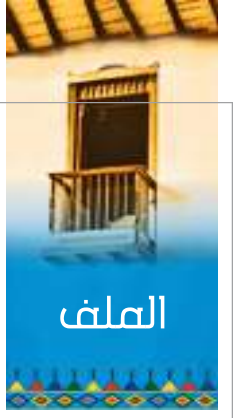

شهـــادات

من "السوربون" الى "سمرقند":

حكاية أبٍ فتح لنا أبواب العالم.

د. آمال معجب الزهراني

حين طُلِب مني أن أعطي رأياً عن والدي الدكتور معجب سعيد الزهراني في هذا المقام لم أُصَبْ بحيرة، لعل من أدلى برأي أو مقال عنه، قاموا به في الغالب بجودة وجدارة عالية ولا يزالون. وهؤلاء المثمنون لروّاد الفكر والبحث والإبداع في المملكة العربية السعودية قاموا بالإشادة بمن ساهم منذ عشرات السنين حتى الآن في خلخلة النمطيّات والأفكار الدخيلة وحرصوا على إعلاء الوعي العام والمرونة الفكرية والإثراء الثقافي. ولا يخفى على الجميع أن تفعيل أفكار ومشاريع رؤية 2030 لسمو ولي العهد الأميرمحمد بن سلمان تحت قيادة الملك سلمان بن عبد العزيز حفظهما الله ، شكل لوالدي ولكثير من مثقفي البلد من الجيل السابق فرحاً وفخراً وحقق حلمهم لهذا الوطن الحبيب ومجتمعه.

وفي هذا المقام سأدلي بشهادتي عن والدي من زاوية أخرى. زاوية حميمية امتنانية لما يشكّل لي ولأسرتنا الصغيرة وهو جانب لا يعرفه الجمهور عن الدكتور معجب الإنسان كأب وزوج ورب اسرة. سأعذر من يظن أن شهادة البنت عن أبيها فرويدية ومن يظن أن تعلقي بوالدي مجرد انعكاس لصورة تبالغت أبعادها حباً، أو أنها مجرد فكرة ذاتية بعيدة عن الموضوعية. سأعذر ذلك حتماً لأنه لا يخلو من الصحة، لكن الأصح أيضاً أنها حقيقة عشتها ولا أزال وليكن الرأي الأخير في تقييم هذه الشهادة من نصيب قارئها مهما اختلفت نُظُم استقباله.

سأبدأ من نعومة أظافري حينما كان والدي يحضر رسالة الدكتوراة بجامعة السوربون في باريس. بدأ والدي بفتح مدارك والدتي، تلك المرأة الجميلة جداً في كل شيء لا سيّما في نقائها الريفي، فلم يقم بحصرها كمرافقة أو ربة منزل وأم. حرص على دفعها لتعلم اللغة الفرنسية ودعمها في كل شيء إلى أن حصلت على شهادة عالية في التربية والطفولة. فتح أبي مداركها ومداركنا أنا وأختي حيث إنه يعرف أن دهشة والدتي بهذا العالم الجديد لا تقل عن اندهاش الطفل الذي يكتشف ويغامر لينمو وينضج. فتح أبي لأمنا ولنا بحور الثقافة بتنوعها فهو من ذهب بنا إلى دار الأوبرا لحضور كارمِن لـ "جورج بيزيه" والناي السحري لـ "موزارت" ولرؤية أهم عروض الباليه ككسّارة البندق و بحيرة البجع لـ" تشايكوفسكي" وأخذنا لحفلة جارة القمر فيروز في الثمانينات ولا زلت أدين له بافتتاني بالموسيقار والمسرحي زياد الرحباني الذي اشتهر بالنقد السياسي والاجتماعي الساخر والعبثي في أغانيه ومسرحياته.

كما كان أبي متذوقاً رفيعاً للفن التشكيلي وأدخل هذا الحب والاهتمام لنا جميعاً فهو يزور المتاحف والمعارض الفنية أينما كان، ويقتني ما اتسع له اقتناؤه، ولديه وَلَهٌ بالحركة الانطباعية في الفن وبعض اللوحات الواقعية لا سيّما لوحة لاقطات السنابل لـ "فرانسوا ميّه" ولم نسكن أي بيت دون تزيينه بما اقتناه فناً.

علّمنا أبي الوقوف مع العدالة والقيم الكبرى فكان يحملني على كتفيه في معظم مظاهرات باريس لنصرة القضية الفلسطينية وشعبها وأيضاً لتحرير نيلسون مانديلا وغيرها من القضايا الهامة العادلة آنذاك.

أبي حنونٌ ودودٌ، يعلّم دون توجيه مباشر ويعطينا دروس الحياة دون تلقين أو ثُقل ويسعى كمثالٍ لنا دون ضغوط. يتمتع أبي بثقة نفس عالية وبنا كذلك ولا يسيء الظن ولم يلبس يوماً ثوب الرقيب علينا. هو شخص شغوف بالعمل ومثابر كبير على نظام حياة متوازن

* دفع أمي لتعلم اللغة الفرنسية إلى أن حصلت على شهادة عالية في التربية والطفولة.

* أخي توفيق مؤلف موسيقى إلكترونية وأختي نرجس لديها موهبة عالية في التصوير وأنا فنانة تشكيلية.

* علّمنا الوقوف مع العدالة وكان يحملني على كتفيه في مظاهرات باريس لنصرة القضية الفلسطينية

بيـن الفكـر والعقـل وصحة البـدن. وبهذه الطريقـة الهادئـة والنموذج الرقيق أشـعل فينـا حـب القـراءة والفنون فأختـي نرجس تكتـب (حتـى وإن لـم تنشـر بعـد)، ولديها موهبة عالية في التصوير وأنا فنانة تشكيلية جانب تخصصاتي الأخرى وأخي توفيق مؤلف موسيقى إلكترونية جانب عمله.

ومنـذ نعومـة أظافرنـا وأبـي يقـرأ، فقرأنا بفضله. قرأت أختي في سـن التاسـعة فقط كثيـراً مجلـدات "أسـاطير شـعبية من قلب جزيـرة العرب" للعلّامة القديـر "عبد الكريم الجهيمان". وبعد عودتنا إلى المملكة العربية السـعودية في سنة 1989م أصبح أبي أستاذاً في جامعة الملك سعود وعملت بشق الأنفس علـى إتقان لغتنا العربيـة التي حرص والديّ معاً على تأسيسي فيها بتسجيلي في مدرسة عراقية رائدة بباريـس آنذاك بنظام المنازل. وحينما تمكنت مـن لغة الضاد، دخلتُ مكتبة والـدي الغنية بالرياض في الثانية عشـر من عمـري. كانت هذه المكتبة الثرية التي حرص والدي على جلبها من فرنسا تغريني بزخمها. وقعـت على رواية سـمرقند لأميـن معلوف وفُتنتُ بالمقتطف فـي ظهر الرواية فقرأتها بنهـم ووله ولم أعـد أتوقف عن اسـتعارة الكتـب من هذه المكتبة من فلسـفة وفنون وتاريخ ونقد وأدب عالمي وعربي وروحانيات إسلامية وغيرها. بفضله قرأنا غسان كنفاني ومحمـود درويش وخليـل جبـران وإبراهيم الكوني وعبدالرحمـن منيف وغازي القصيبي ونجيـب محفـوظ ونـزار قباني ولكـن أيضاً بودلير وتولسـتوي وغارسـيا ماركيز ونيرودا وبالطبع رواد الفسـلفة الإغريقية والإسلامية وغيرهم الكثيرين.

يمتاز أبي أيضاً بشجاعة كبيرة واتساق كامل بيـن ما يقـول ويكتـب ويفعـل، ففي زمن الثمانينـات إلـى بداية الألفيـن ميلادية كان بعض مثقفـي البلد يكتبون مـا لا يطبقون إطلاقا على أنفسـهم وزوجاتهـم وأبنائهم. أبي وفيٌ لقيمه العقلية والروحية والجسدية، وعلمنا ألا نخوض الحروب والمعارك الصغيرة ونسـتغني عنها بما هو أعلـى وأجدى. وعلى ذلـك كبرنا بأجنحـة تتجاوز الأفـق المتعارف عليه آنذاك.

أبي أبٌ بمعنى ما تحمله الكلمة من المسؤولية والاحتـواء والمحبـة وترك الأثـر، وأصبح بعد أن كبرنـا صديقاً مسـانداً ورفيق درب حميمٍ خفيف يشـعُّ بإيجابية نادرة مع عمقٍ وسـلام كبير في التعاطي معنا ومع الحياة.

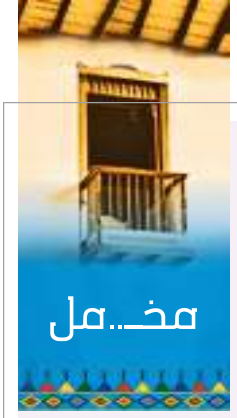

رواية.. وسينما

أسماء العبيد

لم يكن مفاجأة أن رواية (ابنة ليليت) للكاتب السعودي (أحمد السماري) قد ظهرت في قائمة الأعمال الروائية المرشـحة من قبـل وزارة الثقافـة لتحويلها إلى عمل سـينمائي.. فمنذ قراءتي الأولـى لها أدركت أنني أمام عمل جدير بأن ترى أحداثه أمامك في شاشة .

إن طبيعة الأعمال الروائية التي اعتدنا عليها كانت تركز على وصف الشخصيات أو الغوص عميقا في المشاعر التي تصنعها الحبكات، أما مع روايات السـماري فالأمر مختلفا.. أنت أمام رواية بسـيطة البنـاء لكنك محاصر بطوفـان من الأحـداث والمواقف.. تبـدأ الرواية قارئا مسترخيا وتتنهيها وكأنك قد قطعت مئات الأميال ركضا خلـف أحداث غير متوقعة.. ثمة مولد خلف السـطور لا يسـمح لك بالراحة ولا التقاط الأنفاس.. وكأنك مطارد في كل صفحة؛ عدا أنها ليست أحداثا عشوائية وضعت بقصد الإثارة فكل موقف يحمل معه أدواته باحترافية عظيمة سواء كانت تاريخية أو اجتماعية أو حتى علمية متخصصـة وحتى بطل الرواية نفسـه يتحول هو الآخر بكل تلقائية إلى أداة من أدوات صنع الرواية ويبدو جزءا من المشهد لا صانعا له.

ولعـل أهم ما صنع هـذه التوليفة هـو إحاطة الكاتب بالتفاصيل التي يكتب عنها سواء كانت في حديثه عن التقنيات الطبية والأنظمـة والقوانين التي تحكم دول أخرى.. أو في حديثه عن أدوات العزف ونوتات الغناء. هذا الخط الروائي المميز الذي يقدم لك كل المكونات من شـخوص وأزمنة وأماكن في طبق مختلط لمسته فـي روايته (ابنـة ليليت) كما وجدته أيضـا في روايته (قنطرة) هو ما يجعل الرواية تترشح للتحويل إلى فيلم سـينمائي يعرض لك الحياة كما هـي.. حيث لا بطولة حقيقية لغير القدر.

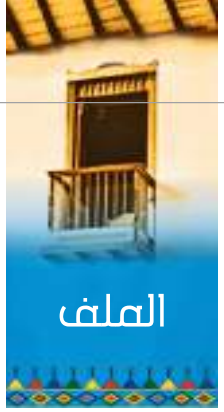

شهـــادات

رقص لاسم الوردة وسيرة وقت خارج المكان.

أ.د. معجب العدواني

أتصفح حاليًا أعمال ندوة مصغرة اهتمت بمناقشة المنجز السردي في المملكة، عُقدت في نادي الطائف الأدبي قبل أكثر من ثلاثة عقود، وشارك فيها عدد من الباحثين، ومع أهمية تلك الأوراق المقدمة يُلحظ استمرار الأسماء المشاركة في الكتابة النقدية، وعبور معجب الزهراني إلى دائرة الكتابة الإبداعية؛ فكتب رواية "رقص"، ثم أضاف سيرة ذاتية "سيرة الوقت"، وأصدر سيرة أخرى "مكتب على السين" عن عمله في معهد العالم العربي، وأحسب أن ذلك الانتقال وإن بدا منفصلًا عن النقد، إلا أن له ما يسوغه في تفاعل الجانب النقدي مع الجانب الإبداعي، وكلاهما كتابة تسعى إلى الإفادة من الأخرى، لكنه تمكن من الإفادة منها بجعلها مرنة وقابلة للتطوير، وأصبحت حروفه مداخل إبداعية تستدعي التوقف، لقد سعى إلى أن يؤثث سرده ما عجز النقد عن تأسيسه، وبما أن السرد يمثل تجسيدًا حيًا للأفكار وفقًا للناقدة ريتا فلسكي فقد كانت روايته ومن ثم سيرته المجزأة إلى جزئين عرضًا مبسطًا لما أراده من أفكار، بعد أن أضحت كتابة الرواية حديقة للمفاهيم، وهو في هذا ليس مبتدعًا بل سبقه كثير من المبدعين الأكاديميين عربيًا وغربيًا، ذلك ما أدركته ليندا هتشيون التي وصفت روايات الأكاديمي الإيطالي إمبيرتو إيكو بكونها آلات سردية تُجسِّد دراميًا عمليات التأويل، التي نظّر لها بوصفه دارسًا سيميائيًا؛ فكانت أعمال إيكو محاكاة سردية لأفكاره النظرية، ومثل ذلك يتخلق السؤال عن إمكان درس "رقص" بوصفها ميلًا إلى آلة السرد لتمثيل فكرة الحوارية، التي دافع عنها كثيرًا، فتجلت تطبيقًا حيًا لذلك المفهوم.

وباستشهادنا بحضور إدوارد سعيد في النظرية وتأثيره، ونجاحه في كتابة سيرته "خارج المكان"، التي اجتازت حدود السيرة الذاتية إلى حقل الفعل الثقافي، تنبثق أسئلة حية عن تلك العلاقات: هل يرتدي ما كتبه الزهراني سيريًا تلك المظلة التي صنعها سعيد؟ وهل كانت سيرته استلهامًا رمزيًا للأفكار المجردة؟ لقد حملت الكتابة لديه ملامح من ذلك كله، فجمعت بين أسلوب تأملي وحيوية مشعة، وتوجت بشغف روائي وسيري متأثر بخلفيته الأكاديمية أولًا، وبموقعه المراوح بين حضارتين ثانيًا، ما أتاح له الاقتراب من جمهور أوسع، وحرية أكبر، وقناعة بأن السرد يمثل محراب إيمانه، وبوصلة قرائه لفهم العالم.

"المُؤْنْسَن" و"المُؤْنْسَن" معجب الزهراني.

علي فايع الألمعي

أعترف ابتداء أنّ الفضل لمعرفتي بالدكتور معجب الزهراني يعود للصحافة الثقافية التي كانت تنشر العديد من الكتابات والأخبار والتغطيات عن الفعاليات التي يشارك فيها الزهراني، كنت واحدًا من المهتمين بهذه الصفحات والملاحق الثقافية.

هذه المعرفة تطوّرت مع الوقت لأقرأ كتبه، وشدّتني المقدمة التي كتبها في الجزء الرابع من موسوعة الأدب السعودي الحديث عن القصة القصيرة في السعودية.

قرأت المقدمة وكانت باهرة بالنسبة لي، يكفي أنها كانت السبب الرئيس في أن يكون اسم معجب الزهراني واحدًا من الأسماء الثقافية التي بدأت أتتبع ما تكتب باهتمام بالغ، قرأت فيما بعد كتابه (مقاربات حوارية) الذي صدر في 2012 م وفاز هذا الكتاب بجائزة كتاب العام من نادي الرياض الأدبي، ولكون هذا الفوز توافق مع افتتاحنا لمجلس ألمع الثقافي في محافظة رجال ألمع فقد كان الكتاب واحدًا من الكتب التي ناقشناها في المجلس في السنة الأولى من افتتاحه واستضفنا وقتها الدكتور معجب الزهراني في اتصال هاتفي.

امتد هذا الرباط الثقافي، فقرأت الزهراني روائيًا في (رقص) وقرأته كاتب سيرة في كتابه (سيرة الوقت ... حياة فرد ... حكاية جيل) وقرأته في كتاب (مكتب على السين) وفي كلا الكتابين تتقاطع روح الزهراني ما بين باريس الملهمة في الكتابة، والسعودية التي تشعل الذاكرة، وتعضدها بكل هذه المواقف والأحداث.

لم يكن الفضل في معرفة معجب الزهراني (الإنسان والأكاديمي) للكتاب وحده، بل كان لشبكات التواصل الاجتماعي فيما بعد دور في هذه المعرفة، فقد كان الزهراني واحدًا من الناشطين في هذه الشبكات، بالتوجيه تارة والمؤازرة أخرى، وكان لنقداته وتعليقاته دور كبير في تبسيط العديد من المشكلات والهموم وحتى الطموحات قبل أن يَتأنسن ويُؤْنْسَن بالطبيعة والجمال، فلا تقرؤه إلا زارعًا أو حاصدًا، ولا تلحظه إلاّ معمّرًا للأرض، وداعيًا إلى العيش بسلام تحت ظلال الأشجار في مسقط رأسه في مدينة الباحة!

وبعيدًا عن الكتب التي قرأتها للزهراني، والصور التي شاهدتها له، فقد سعدت بمعرفته عن قرب، وتجوّلت معه في مدينة أبها في العام 1437هـ إذ كان الزهراني واحدًا من المثقفين الذين حلّوا ضيوفًا على مجلس ألمع الثقافي في ليلة تأبين الكاتب الراحل محمد بن علي البريدي.

كان من حظي أن رافقته في جولة في مدينة أبها، عرفت فيها ومن خلالها معجب الزهراني الإنسان بعد أن عرفت الأكاديمي والمثقف قبل ذلك بسنوات، فكبر في عينيّ.

ذهبنا معًا إلى سوق الثلاثاء في وسط مدينة أبها، ومشينا على أقدامنا في أحياء أبها القديمة، كان لطيفًا مع الكبير والصغير، سائلاً ومتسائلاً، وعاشقًا، كان لديه حنين طاغ للأماكن، فلا ينسى أين سكن ومع من مشى في هذه المدينة، وإلى من جلس، وكثيرًا ما كان يستوقفني في زقاق حيّ قديم أو شارع ليسأل عن فندق صغير أو شقة سكن فيها ذات زمن مع صديق أو جلس فيها مع أديب!

اليوم وبعد سنوات أكتب بأنني كنت ومازلت سعيدًا بهذا الإنسان قبل المثقف، وأنا أتعرّف على الجانب الآخر في حياة معجب الزهراني، حياة يعيشها بوجه واحد مضيء، وطبيعة إنسانية يعيشها ولا يتصنعها.

سمرقند وطشقند وما بينهما

رحلة على طريق الحرير القديم.

محمد الدميني

عندما يطالع المرء خارطة دول آسيا الوسطى، ويتأمل في كثافة الروابط التاريخية والثقافية التي تجمع محيطنا العربي والإسلامي بها يتألم، لكون تلك الخارطة نائية عن أفقنا السياسي، وعن مشتركاتنا الاقتصادية، ولا تقع ضمن وجهاتنا السياحية إلا من خلال مبادرات فردية ضئيلة الحجم والتأثير. «أوزبكستان» استقلت عام ١٩٩١م وهي تحتضن عددا من أهم المدن العريقة، والأمل أن تتجدد شراكاتنا وتتقاطع مصالحنا معها.

التقيت بالشاعر والمترجم الأوزبكي «عزام عبيدوف» لأول مرة، على هامش مهرجان القاهرة للكتاب في يناير الماضي. تبادلنا تحيّات خافتة وسريعة، كما هي مناسبات مهرجانات الكتب العربية، ثم افترقنا في ردهات المعرض الكبير الممتلئ بالزوار، ودور النشر، وقاعات الندوات، والفعاليات التي تبدأ ظهراً ولا تنتهي قبل التاسعة مساءً. وأختصر القول هنا بأن لا معرض عربي يزخر بالحيوية والحماس والتنوع والصخب كما هو معرض القاهرة، أدركت هذا منذ مطلع الكتابة أوائل الثمانينيات ولم يتغير انطباعي حتى هذه اللحظة.

بعد أقل من شهر، وصلتني دعوة من عبيدوف، مدير مبادرة ثقافية تسمى ""UzLAB، للمشاركة في أيام استكشافية وأدبية عبر أوزبكستان، تمتد لأسبوعين. ولأن الدعوة لم تكن من جهة ثقافية رسمية، بل يطغى عليها الجانب الشخصي، فقد تبادلت معه رسائل مفصلة عن طبيعة المهمة، وعن المدن والمعالم التاريخية التي سنزورها، وعن الأماكن التي سنلقي فيها قصائدنا.

اتضح سريعاً أن إقامة الضيوف القادمين من دول عديدة ستكون في منزله، ومنازل أصدقائه من الشعراء والمسرحيين والمترجمين، وأنهم ملتزمون بمتطلبات الضيافة، فيما يتوجّب على الضيوف شراء تذاكرهم، وتحمّل هدايا السفر ومفاجآته أحياناً..!. أما باقي المشاركين في الرحلة فهم: محسنة أردا (تركيا)، وإيرينا كوبالد (أستراليا)، وكييو بيش هاو (فيتنام)، وبويان أنجيلوف (بلغاريا)، وأتيلا ف. بالازس (رومانيا)، وهنريتا سوموجي (سلوفاكيا)، وشاقنام إركمن (تركيا)، وجورما كاستينن (فنلندا)، وكوبانشبيك مامارايموف (قيرغيزستان)، ومهر الدين أوتيجنوف (كازاخستان) ورحيلا صدّيق (أوزبكستان).

لا توجد رحلات مباشرة من الدمام إلى طشقند، عاصمة أوزبكستان، ولذا فلا بد من التوقف في دبي، وإن طال السفر. وهكذا توجّب أن نتنقّل من صالة سفرٍ إلى أخرى في مطار دبي المترامي الأطراف لأكثر من ساعة، لنجد أنفسنا وقد حشرنا في الطائرة المغادرة إلى طشقند.

استقبلنا صديقنا في المطار، حوالي الثالثة صباحاً. وكنت محظوظاً بالإقامة في منزله أنا، وكاتبة روائية تركية هي تشاغنام إركمن، قبل أن تنضم إلينا الكاتبة البلغارية ماريا فيليبوفا هاجي بعد يومين التي سنكتشف أنها قد زارت أوزبكستان مراراً وكتبت كتاباً أفردته لتاريخ ومعالم هذا

زيارة الى مدرسة الفنون في نامانغان

البلد.

بما أننا أقمنا في ضاحية قريبة من مطار طشقند، فلم نشعر بإيقاع المدينة الجارف كثيراً، لكننا ونحن نعبر إلى قلب المدينة لنستقلّ قطارها الأرضي، شهدنا الحشود الخارجة من أعمالها، أو في طريقها للتسوق أو النزهة.

"طشقند" مدينة تاريخية عريقة، كانت إحدى المحطات الواقعة على طريق الحرير القديم، ولا زالت بعض معالمها القديمة حاضرة. ولولا أن زلزالاً مدمراً ضرب هذه المدينة عام ١٩٦٦م، لاحتفظت هذه المدينة بكل خزائنها الأثرية والعمرانية الفائقة الجمال وزخمها من المساجد والقصور والقلاع. ورغم جراحها، فإنها تعدّ المدينة الأكبر في وسط آسيا بكثافة سكانية تقترب من ثلاثة ملايين نسمة.

الدميني في قراءة شعرية أمام الشاعر الأوزبكي علي شير نوائي

ونحن نتجوّل بين محطات المترو الأرضية، يقول لنا مرافقنا إن ذلك الزلزال قد دفع المهندسين السوفييت، حين كانت أوزبكستان جزءاً من الاتحاد السوفيتي، إلى تأسيس شبكة مترو متينة وشاملة، تربط بين أطراف المدينة، وسهّلت الحياة اليومية للناس، وجرى تصميمها على نمط مترو موسكو الشهير. لكن ما يخلب نظر الزائر هي المجسّمات والجداريات الفنية التي كسَت جدران تلك المحطات، بينها تماثيل مصغرة لجنكيز خان، وتيمورلنك، ورائد الفضاء غاغارين، والشاعر علي شير نوائي، فضلاً عن الأعمدة الرخامية، والأرضيات المطعّمة بالزخارف.

مدارس العلم والفن

"مدرسة كولكيداش" هي واحدة من معالم طشقند، وهي مدرسة علوم إسلامية بُنيت في القرن السادس عشر من الآجر الطيني والخزف، وزُيّنت بوابتها العالية بتصاميم السيراميك والآيات القرآنية، ومنحتها المنمنمات لمسة الفخامة والزهو. وعندما نعبر البوابة المهيبة، نجد الفصول الدراسية على الجانبين من الطابق الأرضي، وكان الطلاب يدرسون فيها علوم القرآن والفلسفة والأدب والتاريخ والجغرافيا والحساب والفلك والرياضيات، أما غرف الطابق الثاني فقد خُصصت لسكن الطلاب. وقد ضرب زلزال هذه المدرسة في القرن الماضي، وبقيت مهدّمة حتى أُعيد بناؤها في منتصف القرن العشرين. لكن هذه المدرسة وأمثالها على طول أراضي ما وراء النهر القديمة كانت شاهدة على عظمة الفكر الإسلامي وسعة أفقه وتنوّعه، فقد أنتجت قائمة من العلماء والمحدّثين والمخترعين الذين أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية، مثل: ابن سينا، والبيروني، والخوارزمي، والبخاري والترمذي وغيرهم الكثير.

شاعر الأوزبك الأعظم

في الحدائق العامة في طشقند، وجدنا احتفالاً صامتاً بوجوه ثقافية أوزبكية مجسّمة وملهمة، بينهم: عبدالله أفلوني وعبدالحميد شولبون وعبدالله قادري وحامد علمجون، ومجسم يمثل أمّاً وأباً يحمون أبناءهم من هول زلزال طشقند، وموسيقيون أعدموا لمقاومتهم الهيمنة السوفيتية أواسط القرن الماضي، وشخصيات أخرى.

لكن الشخصية الأكثر إلهاماً وتبجيلاً هي للشاعر "علي شير نوائي"، الذي يعد أباً للأدب الأوزبكي. أغلبنا لم يعرف عن أسطورته وآثاره إلا حين بدأنا جولة التعرف على رموز المدينة وتاريخها، فوجدنا له مجسماً بارزاً وسامقاً وسط تلك الحديقة، ووجدنا أغلب زوارها يقفون إجلالاً له، ويقرأون بعض حكمه وأشعاره المنقوشة ثم يمضون.

زيارة الى مصنع السيراميك في ريشتون

نوائي شاعر وعالم وفنان ورجل دولة، واعتبر في منطقة إقامته شخصية ملهمة تنتمي إلى عصر النهضة الذي أنجب ليوناردو دافنشي. وهو متعدد المشارب فقد خاض في العلوم والفلسفة والفن والميدان الاجتماعي، وعمل على مساندة المواهب من الرسامين والشعراء والمعماريين والمؤرخين. وُلد في "هرات" الأفغانية اليوم، لكنه أرسى في هذه المدينة، خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر، دعائم ثقافة إنسانية جديدة، فازدهرت في المدنية الأفكار الفلسفية المتقدمة والعلوم والفنون.

كتب نوائي ملاحم عديدة، أشهرها: "فرهاد وشيرين"، و"ليلى والمجنون"، بعضها بالعربية وأخرى بالفارسية والهندية. أثناء زيارتنا لتمثاله الضخم هطل المطر فاحتمينا بمظلته الرخامية العالية. قرأنا بعض أشعاره، ثم غادرنا الحديقة. يقول في قصيدته "ليلى والمجنون":

«بسَط العنكبوت خيوطه الطويلة
ليستر العاشقين
نامتِ الهوام في البراري
سكَنتِ الوحوش
ولم تعد تأبه بفرائسها
وكفّتِ الحيوانات الصغيرة عن العواء
تراجعت قوى الطبيعة
وغدت فجأة هادئة"

لم تَنحصر طاقات هذا الشاعر "نوائي" في المضمار الأدبي والفني والفكري فقط، بل تمكّن بفضل أحواله المادية الميسّرة من بناء أكثر من ٣٧٠ جامعاً ومدرسة ومكتبة، ومن تأهيل القوافل على طرق خراسان القديمة. واليوم هناك منطقة تقع في الوسط الشمالي لأوزبكستان أطلق عليها اسمه: و"منطقة نوائي"، هذه ذات اقتصاد يعتمد على التنقيب عن الغاز والبترول والمعادن النفيسة كالذهب، الذي جعل أوزبكستان التاسعة عالمياً في إنتاجه، وهو ما شكّل جاذباً استثمارياً للشركات الأجنبية.

سمرقند الساحرة

أعتقد أن سحر هذه المدينة، وعمقها التاريخي ومعالمها السامقة، تكفي لكي يشدّ السائح رحاله إليها، ليقيم قليلاً ويملأ ناظريه وروحه بتلك الأعاجيب الفنية المدهشة، ويسترجع في الوقت ذاته سير القادة والرحالة والقوافل التي سارت على درب سمرقند.

بعض فصول تاريخها دامٍ ومدمّر، فقد تعرّضت للغزوات والتدمير والنهب، وبين أقسى الحملات كانت حملة جنكيز خان وجنوده المغول الذين أحرقوا بخارى وسمرقند وجاراتها ثم غادروا. ويروي الرحالة ابن بطوطة، الذي زار سمرقند عام ١٣٣٣م، أنها "مدينة من غير أسوار ولا أبواب، قلاعها وقصورها مدمّرة، لكنها واحدة من أكبر وأجمل مدن العالم".

في قلب سمرقند الحديثة، التي تعج بالمركبات وسكان المدينة والسائحين، قطعنا بطاقات الدخول ودلفنا عبر البوابة إلى ساحة راجستان الواسعة،

مجسم تيمور لنك في أحد ميادين طشقند

ما أن نتوسط الساحة حتى نكون أمام ثلاث بوابات ضخمة: أولها "مدرسة أولوغ بيك"، وهو حفيد تيمورلنك وأول من بنى مرصداً في العالم الإسلامي فوق هضبة خارج سمرقند، وثانيها تيلا كاري التي استغرق بناؤها ٢٥ عاماً لتكتمل عام ١٦٦٠م، أما الثالثة فهي "مدرسة شير دور"، وتسمى أيضاً "مدرسة الأسود"، وقد بُنيت في القرن السابع عشر الميلادي. وحول هذه الساحة هناك "جامع بيبي خانم"، الذي بُني ليكون الجامع الأكبر في وسط آسيا، ثم "مقبرة شاه زنده" بقبابها وبلاطها الفيروزي، التي تعود إلى القرن الرابع عشر. لا يمكن سرد تلك المعالم الكبيرة والصغيرة بين مدارس ومساجد ومقابر وأضرحة وجداريات وأقواس كلها تنطق بسحر الفن الإسلامي، بألوانه المتناغمة، وببلاطه المتعدد الأشكال، وبرسوماته الشجرية والزهرية.

ولكن حين يقعد الزائر على الدرج المطل على ساحة ريجستان، ويرى البوابات الشاهقة التي تعانق السماء، يشعر للحظة وكأنه يسبح في الأزمان السالفة التي مرت على هذه المدنية الخالدة. هناك تكامل نادر بين الألوان السماوية وبين فن المنمنمات الذي ترعرع في هذه المنطقة من العالم، وهناك التلاقح الفريد الذي دمج الأساليب الفنية الفارسية بالفنون الهندية والأوروبية ومناطق حوض تركيا القديمة. هذه التفاعلات التي توطدت خلال عصور أسفرت عن تحف معمارية تتوّجها الآيات القرآنية التي كتبت بأجمل الخطوط العربية وبقيت حتى اليوم عناصر إبهار

- مدرسة كولكيداش كانت شاهدة على عظمة الفكر الإسلامي وسعة أفقه وتنوّعه

- الشخصية الأكثر إلهاماً وتبجيلاً في طشقند هي للشاعر "علي شير نوائي"، الذي يعد أباً للأدب الأوزبكي

- شاعر الأوزبك الأعظم تمكّن من بناء أكثر من 370 جامعاً ومدرسة ومكتبة

- في سمرقند تكامل نادر بين الألوان السماوية وبين فن المنمنمات

إبداعي لكل زائر.

خلال الرحلة زرنا مصنعاً للسيراميك في ريشتون، شرق أوزبكستان، وهناك تجولنا في المصنع الذي يضم أجمل التحف والقطع والأواني والمصنوعات المهورة بأنامل صانعيها من الشباب والشابات الذين حافظوا على هذا الفن الذي يمكننا مشاهدته في الواجهات والبوابات الإسلامية التي أدهشتنا في طشقند وسمرقند. قيل لنا أن الطين الأحمر المحلي الذي تميزت به ريشتون والذي يستخدم في المصنعات الخزفية هو ما يجعل هذه المدينة الصغيرة واحدة من أشهر معالم أوزبكستان.

لو نهض "تيمورلنك" من الموت

لم ندرس عن تيمورلنك سوى أنه كان قائداً دموياً باطشاً بكل الأمصار التي مرت عليها جحافله، ويقال أن طباعه لا تفترق كثيراً عن وحشية جنكيز خان لكنه عاش يحلم باستعادة دولة الأخير.

تنتصب مجسمات تيمورلنك في عدد من الميادين، أولها كان في حديقة ضخمة في قلب طشقند، ويجري الحديث عنه بين الأوزبك كفاتح عظيم استطاع أن يعيد بناء المدن التي تم تدميرها على طريق الحرير، والتاريخ يدوّن أنه أقام منارات من جماجم سكان بغداد وحلب وأصفهان وتكريت ودلهي، لكنه يذكر أن الفتوحات التي صنعها من سور الصين إلى البحر المتوسط قد أغرته بأن يشرع في بناء مدن إسلامية ترتبط باسمه، وأولها سمرقند التي استقدم لها أهم البنّائين والنحاتين والخطاطين من كل البلاد التي فتحها من الشام وفارس والهند وتركستان وبلاد النهرين وأذربيجان وتركيا. وهكذا غدا جزءاً من جمال وسحر سمرقند وغيرها من المدن خليط من الهويات العربية والفارسية والتركية والهندية، وهو ما شكّل الفسيفساء الباذخة التي نراها في سمرقند اليوم.

كان تيمورلنك أعرجاً، ويقال إنه كان يُخفي عرجه هذا، إلا أن بعثة روسية زارت عام ١٩٤١م قبره في سمرقند، ولدى فحص هيكله العظمي تأكدت هذه العاهة، ووجدوا كتابة منقوشة على تابوته تقول: "عندما أنهضُ من الموت، سوف يرتعد العالم كله".

بين مدن طشقند وسمرقند ونامانغان وأنديجان وجيزاك كانت الجولة ثرية، لكنها متعبة أحياناً لرداءة الطرق ولقلة الرحلات بالقطار إلى تلك المدن وما بينها، وأزمة الطرق هذه تنعكس على شكل حوادث مؤلمة، وتجعل الزائر يعيش في قلق دائم.

ألقينا أشعارنا في معاهد حكومية، ومعاهد فنية، ومراكز لغات انجليزية، وألقى شعراء أوزبكيين قصائدهم أيضاً. أستقبلنا الطلاب

قراءة شعرية وسط ساحة ريجيستان في سمرقند

والطالبات في تلك المعاهد بالأغاني والرقصات الأوزبكية التقليدية، وبسطوا أمامنا الموائد الحافلة بأطايب المأكولات المعروفة، وهي في أغلبها وجبات نعرفها في الخليج، وهناك أصناف لم نراها إلا على موائدهم. الضيافة الأوزبكية المعروفة كانت محمّلة بدفء يندر أن تجده لدى الأمم الأخرى، وهو تعامل إنساني يسمو بالروح، ويخلو من أية تفرقة دينية أو قومية أو مذهبية.

عزام عبيدوف والذين معه

لا يكتمل هذا السرد دون الحديث عن مضيّفنا "عبيدوف" وأهله. لم يكن سهلاً علىّ أن أسكن في منزل مضيفنا، لكن الجو العائلي والمودة الغامرة التي لقيناها من زوجته، وأبنائه الثلاثة كانا كافيين لنقضي معهم أيام هذه الرحلة النادرة.

عزام، شاعر ومترجم من الأوزبكية إلى الإنجليزية وبالعكس، يعمل بمهارة عالية، ويدير وقته بحكمة وصبر نادرين. تولى كل احتياجاتنا اللوجستية بما فيها الأسفار والتنقلات، إضافة إلى دوره كمرشد ثقافي ويجيب على أسئلتنا المجهدة حول ما نشاهده من معالم ومواقع وآثار وأسواق ومتاحف بأريحية وعزيمة صادقة، وبحبّ لا ينفد لأرض أوزبكستان وخزائنها الفريدة، وهو حبّ أهْرقه في قصيدته: "أنا أوزبكستان".

لولا عزيمة "عزام عبيدوف" الصلبة، وصلاته الواسعة بأدباء وفنانين من دول العالم لم يكن لنا من حظ لاكتشاف هذه البلاد وأهلها الطيبين وتاريخها الممتد إلى خمسة قرون قبل الميلاد.

* الصور بعدسة كاتب المقال.

> -بعثة روسية زارت قبر تيمور لنك في سمرقند ووجدوا كتابة منقوشة على تابوته: «عندما أنهضُ من الموت، سوف يرتعد العالم كله».
>
> -الضيافة الأوزبكية تخلو من أية تفرقة دينية أو قومية أو مذهبية
>
> -عزام، شاعر ومترجم أوزبكي، يعمل بمهارة عالية، ويدير وقته بحكمة وصبر نادرين

مدرسة كولكيداش في طشقند

ثعالب وعرب.

قصة: فرانز كافكا

ترجمة: د. سعد البازعي

كنا نخيّم في واحة. كان رفاقي نائمين. عربي طويل أبيض مر بالقرب مني. كان يتفقد الجمال وهو في طريقه لمرقده.

ألقيت بنفسي على العشب. أردت أن أنام. لم أستطع. نباح ثعلب من بعيد – جلست مرة أخرى. ما كان بعيداً جداً صار فجأة بالقرب مني. حشد من الثعالب يجيش حولي، أعينهم تبرق بلون ذهبي منطفئ، أجساد نحيلة تتحرك بسرعة، بصورة متسقة، كما لو كانوا تحت سيطرة سوط.

جاء أحدهم من خلفي، دفع بنفسه تحت ذراعي، ملتصقاً بي، كما لو كان يريد أن يتدفأ بي، ثم قفز أمامي وتكلم، عينه في عيني.

«أنا الثعلب الأكبر سناً في هذه المنطقة. يسعدني أنه مازال بإمكاني الترحيب بك هنا. لقد كدت أيأس، ذلك أننا ننتظرك منذ أمد طويل جداً. انتظرت أمي، وأمها، وكل أمهاتهم، امتداداً إلى أم جميع الثعالب. صدقني!»

قلت: «يدهشني ذلك»، وقد نسيت أن أشعل كومة الحطب التي كانت جاهزة لإبعاد الثعالب بدخانها. «أنا مندهش جداً لسماع ذلك. لقد أتيت من أقاصي الشمال فقط بالصدفة وأنا في منتصف رحلة قصيرة. ماذا تريد إذاً، أيها الثعلب؟»

اقتربت الثعالب كما لو أنها تشجعت بهذا الحوار الذي كان ربما أكثر لطفاً، لتقرب حلقتها أكثر مني، وهي تلهث بشدة.

«نعرف»، قال أكبرهم سناً، «أنك أتيت من الشمال. يكمن أملنا في تلك النقطة بالذات. في الشمال ثمة طريقة لفهم الأشياء لا يجدها المرء هنا بين العرب. تعرف أنه نتيجة لغطرستهم الباردة لا يمكن للمرء أن يجد لديهم أي قدر من الذكاء. إنهم يقتلون الحيوانات لأكلها، ولا يبالون بعظامها البالية».

قلت: «لا تتحدث بصوت عالٍ، فهناك عرب ينامون بالقرب».

«أنت غريب فعلاً» قال الثعلب. «لو لم تكن كذلك لعرفت أنه طوال تاريخ العالم لم يكن أي ثعلب يخشى العرب. هل علينا أن نخافهم؟ ألا يكفي من سوء الطالع أننا ملقى بنا بين هؤلاء الناس؟».

قلت: «ربما – قد يكون ذلك. لست في موقع من يحكم على أشياء بعيدة عني إلى هذا الحد. يبدو أنه صراع قديم جداً – ربما يكون في الدم ولذا فقد تكون نهايته دموية».

قال الثعلب المسن: «أنت شديد الذكاء». ثم بدأوا كلهم يلهثون، أنفاسهم تعلو وتتسارع، مع أنهم لم يتحركوا. بدأت رائحة تتسرب من فكوكهم – رائحة تحملتها فقط بالضغط على أسناني. «أنت ذكي جداً. ما قلته يتوافق مع مبدئنا القديم. لذا فسنأخذ دمهم، وينتهي الصراع».

«أوه» قلت، بصورة أكثر حدة مما قصدت، «سيدافعون عن أنفسهم. سينهمر عليكم الرصاص من بنادقهم».

قال: «لم تفهمنا. إنها سمة من سمات البشر التي لم تختف، حتى في أقاصي الشمال. لسنا بصدد قتلهم. لن يكون في النيل ماء يكفي لطهارتنا. إن مجرد رؤية أجسادهم الحية تجعلنا نولي الأدبار حالاً بحثاً عن هواء أكثر نقاءً باتجاه الصحراء التي اتخذنا لهذا السبب ذاته وطناً لنا».

أنزلت كل الثعالب المحيطة بنا رؤوسها بين سيقانها الأمامية ونظفتها ببراثنها، وكان المزيد منها قد جاء من بعيد. كان كما لو أنها أرادت أن تخفي أنفة كانت مزعجة جدا إلى حد أنني فضلت لو أنني قفزت بعيداً وهربت من دائرتها.

«إذاً ما الذي تريدون فعله؟» سألت. أردت أن أقف لكنني لم أستطع. كان اثنان من الحيوانات الفتية يمسكان بي بقوة من الخلف وفكوكها تعض على معطفي وقميصي. كان علي أن أظل جالساً. «إنهم يمسكون بذيل قميصك»، قال كبيرهم جاداً ليشرح لي: «دلالة على الاحترام». صرخت: «عليهم أن يتركوني»، قلت ذلك متحركاً ما بين كبيرهم وصغارهم. «سيفعلون بالتأكيد»، قال الكبير، «إن كان ذلك ما تريد. لكن الأمر يحتاج بعض الوقت لأنهم، كما هي عادتنا، غرسوا أنيابهم عميقاً وعليهم أن يدعوا فكوكهم ترتخي تدريجياً. في هذه الأثناء اسمع طلبنا». قلت: «تصرفكم لا يجعلني حريصاً على القبول بما تطلبون». قال: «لا تجعلنا ندفع ثمن تصرفنا الأخرق»، وفي هذه اللحظة وللمرة الأولى أضفى على صوته الطبيعي نغمة الشكوى لتعينه. «إننا حيوانات ضعيفة – لا نملك سوى أنيابنا. فلعمل أي شيء نريده – طيباً كان أو سيئاً – ليس هناك ما نستعين به سوى أنيابنا». «إذا ماذا تريدون؟» سألت وقد اطمأننت قليلاً.

صرخ «يا سيدي» وكانت الثعالب الأخرى تعوي. بدا لي ذلك أبعد ما يكون عن النغم الشجي. «عليك يا سيدي أن تنهي الخصومة التي تقسم العالم إلى قسمين. وصف أجدادنا رجلاً مثلك بوصفه الذي سيحقق ذلك. علينا أن نتحرر من العرب – ليكون لنا هواء نتنفسه، نظرةً إلى الأفق خالية من العرب، فلا يكون صراخ شياه ذبحها عربي، لكي يموت كل حيوان بسلام فيترك دون إزعاج فنقوم نحن بامتصاصه حتى العظم. النظافة – ذلك ما نريد – لا شيء سوى النظافة». كانوا في تلك اللحظة يبكون وينتحبون. «كيف يمكنك تحمل ما يحدث في العالم، أنت يا ذا القلب النبيل والأحشاء الحلوة؟ قذر بياضهم، وقذر سوادهم، لحاهم كريهة، النظر إلى أطراف أعينهم يجعل الواحد منا يبصق، ولو رفعوا أذرعهم فستنفتح جهنم من آباطهم. لذلك السبب يا سيدي، لذلك السبب، يا سيدي العزيز، وبمساعدة يديك القادرتين على كل شيء، بمساعدة يديك كلتيهما، عليك أن تستعمل هذا المقص لتذكيهم». حرك رأسه فجاء أحد الثعالب استجابة لذلك حاملاً على نابه مقص خياطة صغير يغطيه صدى قديم.

«إذاً هو المقص أخيراً – ليتوقف كل شيء!» صرخ العربي قائد قافلتنا الذي زحف باتجاهنا مع الريح وأومأ بسوطه الكبير.

هربت الثعالب بسرعة، لكنها بقيت على مسافة متكومة على بعضها، حيوانات كثيرة متلاصقة ومتوترة بحيث بدت كما لو كانت في زريبة صغيرة وفوانيس جاك تتقافز من حولها.

«حتى أنت يا سيدي رأيت وسمعت إذاً هذا المشهد» قال العربي ضاحكاً بذلك القدر من البهجة الذي سمح به ما في عرقه العربي من تحفظ. سألته: «إذاً أنت تعرف ما تريد هذه الحيوانات». قال: «بالطبع أعرف يا سيدي. ذلك معروف لدى الجميع – طالما هناك عرب، فإن هذا المقص يتجول في الصحاري وسيتجول معنا طالما وجدنا. إنه يُعطى لكل أوروبي لكي ينجز المهمة الكبيرة؛ كل أوروبي هو بالضبط من يرونه المؤهل لإنجاز المهمة. لدى هذه الحيوانات أمل سخيف. إنها حيوانات غبية حقاً. وذلك هو ما يجعلنا مغرمين بها. إنها كلابنا، كلابنا التي تفوق ما لديكم. الآن انظر ما سيحدث. مات جمل أثناء الليل وأعددت الترتيبات لإحضاره إلى هنا».

جاء أربعة أشخاص يحملون الجثة الثقيلة وألقوها أمامنا مباشرة. وبمجرد إلقائها رفعت الثعالب أصواتها. زحف كل منها إلى الأمام، تحك بأجسادها الأرض، كما لو كانت تُسحب بحبل لا يقاوم. نسوا العرب، نسوا كراهيتهم. وجود جسد ميت برائحة كريهة قوية مسح تماماً كل شيء وسحرهم. كان أحدهم قد تعلق برقبة الجمل وبالعضة الأولى وجد الشريان. ومثل مضخة هادرة صغيرة تسعى بتصميم لا يجاريه سوى يأسه إلى إطفاء نار مستعرة، كل عضلة من جسده تُجر وتُعقف في مكانها. ثم ها هم جميعاً هناك عاكفين على الجثة في تكوم ضخم يسعون في ذات الاتجاه.

بعد ذلك ضرب القائد بسوطه الحاد حولهم جميعاً وبقوة. رفعوا رؤوسهم، يكادون يفقدون الوعي من شدة النشوة، ونظروا إلى العربي واقفاً أمامهم، وقد بدأوا يشعرون بالسوط يضرب أنوفهم. قفزوا بعيداً هاربين. لكن دماء الجمل كانت قد تدفقت بركاً تبعث برائحتها الكريهة بينما الجسد ممزق وموزع في عدة أماكن. لم يستطيعوا المقاومة فعادوا. رفع القائد سوطه مرة أخرى فأمسكت بذراعه. قال: «أنت محق يا سيدي. سنتركهم لمهمتهم. وفضلاً عن ذلك حان وقت الرحيل. لقد رأيتهم. مخلوقات عجيبة، أليس كذلك؟ ولكم يكرهوننا!»

عبدالله الخطيب في «تقرير فكري»..

الذات على حافة الآخر.

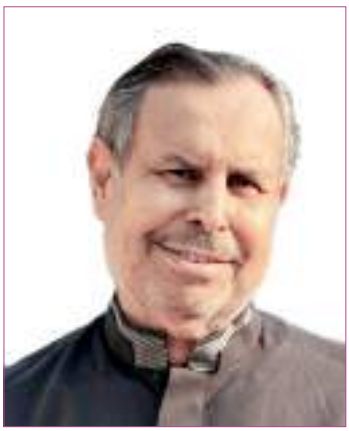

محمد العباس

ببصيرة شاب حائلي يتلمس طريقه في فضاء باريس الثقافي الهائل قرأ إعلانًا عن محاضرة لعالم الاجتماع الشهير بيير بورديو بعنوان (الهيمنة والإذعان). ولأن معرفته بمكانة بورديو آنذاك كانت مجرد معرفة عابرة تعجب من كثرة الطرق من قبل زملائه في مكتبة الكلية حول أهمية حضور المحاضرة. حتى عندما توجه إلى الجامعة واجه ازدحامًا أكثر من المعهود. ولم يكن يتصور أن كل ذلك الازدحام من أجل محاضرة بورديو. وفي الوقت الذي كان يمني نفسه بالدخول إلى القاعة والجلوس على أقرب كرسي تفاجأ بأن بينه وبين الصالة مسافات، ولن يتمكن من الاستماع إلى المحاضرة إلا عبر سماعات خارجية توزعت بكثافة خارج الصالة، وقد احتشد حولها طلاب تحملوا مشقة الوصول. حيث شكل هذا المشهد له صدمة غيرت حساباته وفرضت عليه إعادة النظر في مرجعيته الثقافية. فقد أوحى له ذلك المشهد بأن المعرفة تتشيد على قاعدة الحب "حب المعرفة أحد أهم شروط تحصيلها". كما دون خلال استماعه للمحاضرة مصطلحًا تردد كثيرًا، وهو مصطلح "رأس المال الرمزي" دون أن يفهمه. ولم يكن يعلم حينها أنه كان يدون واحدًا من أهم مصطلحات علم الاجتماع في العصر الحديث.

ليس سيرة ذاتية. وليس كتابًا معرفيًا. بل هو خارج إطار التجنيس. هذا بعض ما يثيره عبدالله الخطيب حول كتابه (في تشكلات الذات ورفض مانحي الدروس- تقرير فكري). وأرى الكتاب سيرة وعي بالذات من خلال التماس بالآخر. وذلك عبر رحلته إلى فرنسا كطالب مبتعث، ثم كموفد للعمل لتعزيز الحضور المعرفي والثقافي ما بين المملكة وفرنسا، خلال ثلاثة عشر عامًا. فهو ابن جيل الأجوبة المفروضة التي قررتها (الصحوة) خارج فضاء الاختلاف. حيث كان الخطاب الصحوي يجاهد لترحيل "المجتمع مبكرًا برمته إلى الآخرة" متناسيًا الماضي وكذلك الحاضر الذي يستوجب "تشييد علاقة سليمة مع العلم والمعرفة والثقافة والانتاج بكل تجلياته".

ولهذا السبب بالتحديد يؤكد على أن خشيته من الماضي أشد من خشيته من المستقبل. بما يختزنه الماضي من براكين خامدة. وذلك من منطلق النظر "بعين الإجلال إلى ذاكرة المجتمعات". وبمقتضى التحذير من "سوء مقاربة الذاكرة التاريخية للمجتمعات". حيث يؤسس نظرته لكل تلك الصيرورة "على محك المسألة الأخلاقية". التي تمثل جوهر كل المعالجات في تقريره الفكري. فالرغبة في هدم المعيار الأخلاقي المتأتي -بتصوره- من بعض التوجهات الفكرية والأيديولوجية، هو السبب في الخسائر البشرية الفادحة. إذ يتكئ في هذا الصدد على معالجات تودورف الأخلاقية، المؤكدة على حتمية الفعل الأخلاقي، وشموله للمجموعات الإنسانية برمتها. إلى جانب ضرورة التصريح بالمسألة الأخلاقية. مع الأخذ بالاعتبار أهمية التفريق ما بين إيجابية الأخلاق، والأخلاقية كفعل سلبي.

وإذ يقر بمديونيته للآخر، يستدعي اللحظة التي رفع فيها أرنولد ميونيك مستشار الرئيس الفرنسي للشؤون العلمية صورة ابن سينا أمام جمع علمي طبي كبير (سعودي/فرنسي) بموجب دعوة وجهها إليه باسم الملحقية الثقافية السعودية، مخاطبًا الأطباء السعوديين "لستم غرباء عن الطب والمعرفة. نشعر بالمديونية لكم عبر هذه القامة العلمية والطبية: إبن سينا". ليؤكد أولًا على القيمة التبادلية مع الآخر. ثم على الوقائع والمواقف التي حدثت له مع "أساتذة اللامتوقع" الذين جعلوه يتعرف على هويته ويتمسك بها في الوقت الذي يضع الآخر في مدار الاكتشاف والتحاور. فهو بقدر ما كان يمثل المملكة ويعتز بما تؤديه وزارة التعليم العالي، وما تنجزه على مستوى الشراكات، كان يؤسس علاقته الذاتية بالآخر. وهو ما يعني أن تقريره الفكري ليس نتاج قراءة مجردة، بل هو نتيجة لخبرة وتجربة في التعامل المباشر والمنفتح مع الآخر. أو بمعنى أدق هو صيغة (بينصية) تفسر الواقع من خلال خزين الفكر والعكس، أي إسقاط الأفكار على الوقائع.

والأكيد أن (برنارد قارده) أستاذه في الدراسات العليا في جامعة (روان) هو الشخصية الأهم في تكوين شخصيته المعرفية، من خلال عبارته الامتنانية "رحلتي مع قارده محطة كبيرة في حياتي". حيث أسهب في التعريف به سواءً عن أخلاقه وطريقة استقباله، أو بقبوله دارسًا للسانيات (تحليل الخطاب). وكذلك بالحديث عن مكانته المعرفية في فرنسا. وبالتأكيد على قيمة التوازن في شخصيته التي جمع فيها الجانبين: المعرفي والإنساني. فهو الذي بدد ارتباكاته وقلقه حول قدراته اللغوية. والأهم أنه هيأه للتعامل مع "الوجود الجديد". والانفكاك من "صحوة لم تترك فيه أحدًا إلا وحاولت شده بعنف إلى التمركز حول الذات، بناءً على مقولات تتخذ فيها موقفًا متحمسًا، بل إقصائيًا من الآخر في أغلب الأحيان". إذ كانت دروسه وإشاراته بمثابة علامات تستهويه ويهتدي بها كباحث إلى الخوض فيما يرغب بموجب قيم المعرفة، ومن دون إكراهات خارجية. إلى أن تعرف عبر قارده على "الأخلاقيات اللغوية" التي تشكل العنوان الأبرز لشخصيته. حيث أصدر قبل سنوات كتابه اللافت (في الأخلاقيات اللغوية-مقاربات نظرية وتطبيقية).

باريـــس ذات الجمال المائي المتدفق، بالنســـبة لعبدالله الخطيـــب "غير الباريســـيين". فهـــي مدينة تجمع المتناقضات "فيها أجمل الأحياء وأقبحها. تحوي أجمل الشوارع وأقذرها. تسكنها أجمل الشخصيات الفكرية وأحقرها على الإطلاق". هكذا صقلته التجربة ليميز ما بين باريس والباريسيين "فمفتاح العلاقة الجيدة مع معظم الباريسيين أن تتظاهر بالغطرسة عليهم ليعترفوا بوجودك". أما فرنسا ذاتها "فهي بيت خبرة عريق في العنصرية وممارساتها في الماضي والحاضر". كما ذهب " المجتمع الفرنسي ووقائع الحيـــاة اليومية بكلمة (عربي) إلى مناطق لا يمكن أن يتصورها من لم يعش في فرنسا" لدرجة أن العربي يضطر إلى تغيير اسمه حتى لا يتعرض للاضطهاد والتمييز العنصري. وقد عالج ذلك التمادي العنصري بتعمق في فصل بعنوان (أغاب-العربي في فرنسا). هنا تكمن المفارقة، فمن أراد أن يرتوي من باريس الآسرة " فالمعاني طاغية، باذخة، تصنع الكاتب، تستر عيوبه، حتى لو كانت أدواته بسيطة، إذ أنه غالبًا ما يكون لمـــا يكتب نوع من الوجاهة، لأنه يكتب باريس". أما المكان الذي تتجسد فيه كل صفات باريس فهو المقهى بتعدد ألوانه وأنساقه "المقهى في باريس وكر، ارشيف، وموطن سام لكثير من الخطابات الإنسانية الحاسمة، والمؤامرات". وإن كان تغنيه بباريس الثقافة لا يخلو من نبرة رثائية التي باتت تعاني من ضمور ثقافي محتم بمهبات الحمى الاستهلاكية التي تمكنت من إغلاق المكتبات لتكثير صالونات الحلاقة ومختلف صرعات اللحظة. أما الفصل الذي يتجادل على مســـاحة واسعة مع عنوان الكتاب (رفض مانحي الدروس) فهو فصل بعنوان (مفكرون جدًا ومنحطون جدًا) الذي يتحدث فيه عن مجموعة (الثمانستينيين). أي شباب ثورة مايو 1968 م، الذين صاروا فيما بعد طليعة فكرية مثل فوكو وسارتر ودولوز ومازنف وبارت. حيث يقر بمأزق شخصي أخلاقي عميق إزاء فكرهم مقابل ممارساتهم "بقدر ما أشعر بمديونية فكرية أساسية وإنسانية لمجموعة من هؤلاء المفكريـــن إلا أنني في الوقت نفسه أشعر برفض شديد لممارسات هؤلاء المفكرين والأدباء على المستوى الأخلاقي من زوايا محددة". بالنظر إلى تموضعه داخل النسق الأخلاقي الذي يؤمن به. فهو مع القول "من منا لم يستفد من فوكو؟". فهو الفيلسوف الذي فرض خطابه على كل الباحثين. وله فضل كبير في "نصوص مؤسسة شكلت منعطفًا في حقولها". وهو المناضل في القضايا الإنسانية. ولكن ثمة فوكو آخر، لا أخلاقي، منحط، يصوّت على عدم تجريم ممارسة الجنس مع الأطفال القصر. وهو "داعية كبير ومحرض على أن اللذة تولد من شطب كل القيود الأخلاقية". وفي هذا الصدد يستدعي الخطيب شهادة الشاب هيرفي جيبيير، صديق فوكو، الذي مارس عليه ساديته ومازوخيته الجنسية. وذلك من خلال روايته (صديقي الذي لم ينقذ حياتي). حيث مات بعد موت فوكو بفترة قصيرة بمرض الأيدز، كضحية من ضحايا مبدأ اللذة الفوكوية. ولذلك سمح لنفسه بكتابة مصيره عبر رواية موجعة "إنني أكتب موتي".

هناك قضية أخرى تتحرك في ذات المدار الأخلاقي وهي قصة الأديبة والمخرجة الفرنسية فانيسا سبرينغورا، التي أصدرت كتابًا بعنوان (برضاء الجميع) أحدث هزة في الأوساط الأدبية والفكرية الفرنسية. وقد تحدثت فيه عن تفاصيل علاقتها بالكاتب الفرنسي الشـــهير غابرييل مازنف عندما كانت في الثالثة عشر من عمرها فيما كان عمره يتجاوز الخمسين. باعتباره أحد أقطاب (الثمانستينيين). حيث استدرجها عبر آليات مكر ثقافية استخدم فيها أدواته الفكرية والمنهجية للإيقاع بها والسيطرة عليها. فهو أحد أنصار "ممارسة اللذة بلا حدود". كما تبنت خطابًا يدين أولئك المفكرين المتواطئين على فكرة تجويز التحرش الجنسي بالأطفال. وهنا يصف الخطيب كتابها بأنه "كتاب مستفز، ومقزز، ومرهق جدًا على المستوى الإنساني" انطلاقًا من نظرته الجوهرية للمسألة الأخلاقية. إذ يدين سلطة المثقف القادر على النجاة من المحاسبة. وينبه إلى خطورة المثقفين المصابين برهاب الأخلاق، الذين يرون أنفســـهم فوق المساءلة القانونية والأخلاقية.

هكذا كانـــت رحلته في عمق المجتمع والثقافة الفرنسية. خصوصًا فيما يتعلق بحرية التعبير. حيث اختزن تمثلات غير مختبرة حول الفن والأدب الفكر، إلى أن بدأت تلك الصور المموهة تتكشف أمامه من خلال خبرات واقعية. فعندما التقى صديقه (سمير) الذي يحضر دراسته العليا حول الأديب الفرنسي الشهير (سيلين). ومن خلاله تعـــرف على الصعوبات التي يعانيها نتيجة ذلك الخيار الأدبي. على اعتبار أن سيلين من المحرمات في فرنسا نظرًا لاتهامه باللاسامية. لدرجة أن مقترح وزير الثقافة الفرنســـي فريدريك ميتران بتكريم قامة أدبية عظيمة مثل سيلين ووجه بالرفض والتوبيخ كإعلان صريح لانهيار المعايير وانطفاء حرية التعبير. وهو الأمر الذي تكرر مع الكاهن (بيير) الذي كان يوصـــف بأنه "أكثر شخصية محبوبة في فرنسا". بالنظر إلى حضوره الإنساني واهتمامه الدائم بالمهمشين، إلى أن أعلن تأييده لأطروحة المفكر الفرنسي روجيه غارودي (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية). وحينها فُتحت النار عليه.

كل تلك الآراء والقضايا عالجها عبدالله الخطيب بدراية بحثية لافتة. وبمقاربات ثقافية فاحصة. وهذ هو ما يفسر حضور صوته بقوة في كتاب مزدحم بالمعلومات والأسماء والمواقف والاستشهادات التي تحيل مجتمعة إلى تموضعاته الأخلاقية والمعرفية. كمـــا يعكس قدرته على التعاطي كمثقف مع منتجات الآخر التي تبدأ بحالة من التعرف على تلك المنتجات وربما الانبهار بها، ثم استيعابها كقيم فكرية، وصولًا إلـــى التمكُّن من الرد عليها أو محـــاورة منتجيها عبر ذات لا تنفي مديونيتها للآخر، وفي الآن نفسه تعطي لنفسها الحق في مساءلته أخلاقيًا في المقام الأول، والتعليق على مكتسباته الفكرية من موقع العارف.

السرد والإيديولوجيا والتاريخ

محمد الحرز

قد تنقذ الدراسات السردية واجتهادات روادها في شتى حقول العلوم الإنسانية المختلفة الحدث التاريخي من سلطة الإيديولوجيا ومناهجها ومدارسها المختلفة، والتي ما فتئت تجرّب نظرياتها بما يخدم توجهاتها وأهدافها، فمرة كان الهدف الأسمى هو الانتصار للنزعة الإنسانية بعدما شهدت عصور النهضة الأوروبية ميلا للإعلاء من شأن الإنسان بالضد من النزعة اللاهوتية التي كانت سائدة في ذلك العصر. لكن انتهى هذا الهدف الأسمى لتفسير التاريخ إلى نظرة مثالية تمجد في جوهرها الطبقة البرجوازية السياسية القريبة من السلطة.

ومرة أخرى، مع التطور والتقدم الصناعي برز العقل بوصفه العامل المقدس الذي يفسر ليس التاريخ فقط، وإنما كل ماله علاقة بالإنسان والمعرفة، وأصبح المؤرخ العقلاني يحط من قيمة اللاهوتي ويعلي من شأن الفلسفي. لكنهم في كل الأحوال كانوا بلاغيين أكثر من كونهم مؤرخين محترفين في الدرس التاريخي مثل فولتير.

ثم جاءت مرحلة ما بعد الثورة الفرنسية التي انقسمت أوروبا حولها انقساما عاموديا، بالخصوص في ألمانيا، نتجت عنه أفكار حدّية بين مؤيد للحرية كشعار لهذه الثورة وبين معارض بسبب ما أحدثته من دمار وحروب.

هنا برز بعض الفلاسفة والمؤرخين (فيما يسمون بالرومنطيقيين) من طبقة النبلاء كهيردر وفخته وغوته الذين شيدوا معمارهم على استعادة المرحلة الإقطاعية في التاريخ اليوناني والإغريقي والحنين إليها، وركزوا على الفن والمجتمع والاقتصاد والثقافة. وكانت لغتهم شعرية ساحرة حين يتطرقون إلى أحداث سياسية معينة، ظنا منهم أنهم سوف يجذبون القارئ إلى هذا الحدث أو ذاك بهذه اللغة.

وكلما تقدمنا في الزمن إلى العصر الحديث رأينا كيف كانت الدراسات حول التاريخ تخضع للمد والجزر في تطور المعرفة من جهة، وفي اختبار أفكار هذا التطور على الناس والمجتمع وردود أفعالهم وبالتالي الأحداث التي ترتبط بهم من جهة أخرى.

فالأفكار التاريخانية حول النظرة للتاريخ لم تكن سوى رد فعل طبيعي على طغيان النظرة العلموية الوضعية للتاريخ نفسه.

وبالقدر نفسه يمكن الإشارة إلى علاقة الماركسية بالتاريخ التي أعلت كما نعلم بالعامل الاقتصادي في قراءتها له وركزت على الطبقة الكادحة كمحرك لعجلته.

ولا يمكن إغفال التوجه البنيوي الذي حكم النظرة إلى التاريخ في الخمسينات والستينات، والبداية كانت من اللغة، وذلك في تحييد شامل للواقع وفصل تام عن الأحداث.

يمكن أن استمر في هذه المقالة في سرد الكثير من سرعة التحولات التي طالت دراسة التاريخ في المجتمع الغربي على يد مؤرخيها وفلاسفتها ومثقفيها ومدارسها إلى وقتنا الحاضر؛ لأعطي دليلا على أن التغيرات المادية الكبرى التي تحدث للمجتمعات، يتبعها تغير كبير في الذهنيات، وهذا الجدل بينهما، رغم ما يثيره من صراعات، يظل سمة إيجابية للفكر والمعرفة.

لكن المشكلة القائمة في المعرفة التاريخية لا تخلو من ثغرات إذا اطمأن المؤرخ إلى أفكاره ونتائجه إلى الحد الذي يفضي به إلى اليقين الإيديولوجي المطلق.

وإذا كان ديدن كل خطاب عن التاريخ لا يمكن أن يتخلص من هذه الإشكالية، رغم ادعائه خلاف ذلك، إلا الدراسات السردية قد تقلص هذه الإشكالية ولا تلقيها، لأنها بكل بساطة تنظر إلى أحداث التاريخ كقصص مسرودة من وجهات نظر مختلفة، والراوي العليم فيها هو التاريخ نفسه وليس المؤلف.

ورؤية كهذا للتاريخ لا تخلو من موقف إيديولوجي بالطبع. لكن ثمة فرق كبير بين موقف وآخر بين موقف يستمد قيمته من معطيات وجهات النظر نفسها، وبين من يستمدها من مقولات أوسياقات خارج وجهات النظر أو السرد برمته كما هو حال علاقتنا بتاريخنا العربي وبماضينا على وجه الخصوص. وكلمة (الإنقاذ) التي وردت بالمقدمة أعني فيها هذا الماضي تحديدا. وإذا كانت أروقة الجامعات الغربية تصنع باحثين جادين حول السرد التاريخي إذ لا تخلو دراساتهم ومقارباتهم لتاريخ الإسلام سواء كان المبكر أو المتأخر من نتائج جديرة بالتأمل والمساءلة بعيدا عن مسألة الارتياب والشك التي أنتجها الخطاب الاستشراقي، فإن الباحثين العرب وإن كانت هناك جهود ملموسة منهم. لكن نحن بحاجة إلى جهود أكثر وبالخصوص داخل أروقة جامعاتنا وتخصصاتها وقد تكون جامعات المغرب العربي أكثر تطورا من هذا الجانب.

"السالفة" وأوليّة السرد السعودي.

د. شتيوي الغيثي*

حظي الشعر بمكانة مركزية في التاريخ الأدبي العربي، حتى بدا للبعض أن الثقافة العربية هي ثقافة شعرية بامتياز، بينما ظل السرد يُنظر إليه بوصفه فنّاً ثانوياً. لكن هذا التصور يتجاهل حقيقة أن السرد، بشقيه المكتوب والشفاهي، كان حاضراً بقوة في التكوين الثقافي العربي، وإن لم يحظَ بنفس القدر من الاهتمام النقدي.

في السياق السعودي، وعلى الرغم من تأخر ظهور السرد المكتوب مقارنة بالشعر، إلا أن الأشكال السردية الشفاهية كانت حاضرة بقوة، ويمكن القول بأنها شكّلت الأساس الذي انبنت عليه لاحقاً الكتابات السردية الحديثة.

وتبرز "السالفة" كواحدة من أهم التجليات السردية الشفاهية، ليس فقط بوصفها حكاية تروى، ولكن كظاهرة ثقافية متكاملة تحمل في طياتها رؤى المجتمع وقيمه وذاكرته الجمعية.

ولعل اشتقاق كلمة "السالفة" من الجذري اللغوي: (س ل ف) يحيل على الماضي والسلف، والأجيال السابقة، وهي تعني أيضاً، في الاستخدام الشعبي، القصة أو الحكاية التي تُروى عن الماضي، سواء أكانت أحداثاً واقعية أم أسطورية. لكنها لا تقتصر على مجرد سرد الوقائع، وإنّما تعمل على إعادة تشكيل الماضي عبر الحكي، مما يجعلها وسيلة لربط الحاضر بالماضي، ولإنتاج وعي جمعي مشترك.

وإذا كانت الحكاية الشعبية في بعض الثقافات تُروى للتسلية أو العبرة، فإن "السالفة" في المجتمع السعودي تتجاوز ذلك إلى كونها آليةً لصياغة الهوية حيث تُستحضر من خلالها قيم مثل الكرم والشجاعة والمروءة، أو تُناقش تجارب إنسانية عميقة مثل الفقد والحب والانكسار.

وتختلف "السالفة" عن الأشكال السردية الكلاسيكية في أنها لا تخضع لبنية ثابتة، بل تتسم بـالعفوية والتفاعلية حيث يعتمد سردها على العلاقة بين الراوي والمستمعين، فالسارد لا يكتفي بسرد الأحداث، ولكن يؤدّيها عبر نبرات صوته، وإيماءاته، وحتى تفاعله مع ردود أفعال الحضور. وهذا ما يجعل "السالفة" ضرباً من السرد الأدائي الذي يعيد إنتاج الحكاية في كل مرة تُروى فيها، مما يمنحها مرونةً وديناميكيةً لا نجدها في السرد المكتوب.

كما أن "السالفة" لا تنفصل عن سياقها الثقافي، فهي تُروى في المجالس، والأسواق، والمناسبات الاجتماعية، مما يجعلها جزءاً من النسيج اليومي للحياة، وبهذا المعنى، فهي طقسٌ حكائي ثقافي - إذا صحّ الوصف- يعيد إنتاج المعنى والقيمة في كل مرة يُعاد فيها سردها. وربما تُعدّ "السالفة" وسيلةً لنقل المعارف التاريخية والاجتماعية بين الأجيال، فتعمل كأرشيف شفاهي يحفظ سير الشخصيات البطولية، والأحداث المهمة، وحتى الحِكَم والأمثال، ومن خلالها، يتم ترسيخ المنظومة القيمية للمجتمع، سواء عبر تمجيد الفضائل أو نقد الانحرافات الأخلاقية أو عرض التجارب الإنسانية المختلفة.

وفي رأيي يمكن اعتبار "السالفة" النواة الأولى للسرد السعودي المكتوب حيث استلهم العديد من الكتّاب أساليبها وموضوعاتها في أعمالهم الأدبية. ففي القصة القصيرة والرواية السعودية، نجد تأثير السالفة واضحاً في المخيال الشعبي الجنوبي في روايات عبده خال أو الاعتماد الكلي على التكوين السردي الصحراوي بكل أساطيره كما عند عواض العصيمي، أو الحكايات الشعبية حول العقيلات ورحلاتهم كما في بعض روايات محمد المزيني، أو استثمار الموروث الحكائي النجدي كما في بعض روايات يوسف المحيميد وبعض روايات بدرية البشر وغيرهم.

وهنا تبدو "السالفة" بشكلها السردي ليست مجرد تراث شفاهي، وإنما نظام ثقافي متكامل يربط بين الماضي والحاضر، بين الفردي والجمعي، بين القصة والهوية. ودراستها لا تقتصر على مجال الأدب الشعبي فحسب، ولكن يمكن أن تمتد إلى فهم آليات تشكيل الوعي، وصياغة الذاكرة، وإنتاج المعنى في المجتمع السعودي. وفي عصر الرقمنة، حيث تتراجع الأشكال الشفاهية لصالح الوسائط الحديثة، تظل "السالفة" إرثاً حياً يستحق التوثيق والدراسة، كجزء أصيل من الماضي من جهة، وكإمكانيةٍ إبداعيةٍ من جهة ثانية، يمكن للكتّاب السعوديين استثمارها في صياغة سرديات جديدة، تجمع بين الأصالة والموروث والأساليب الروائية الحديثة.

*كاتب وأديب وأكاديمي سعودي

«غيوم امرأة استثنائية» لـ«أحمد الدويحي»:

جسد بين ضوءين .

عواض العصيمي

في رواية أحمد الدويحـــي «غيوم امرأة اســـتثنائية» (عن دار جداول 2013) يمثل الشخصية الرئيسة (فيصل) نمطاً من الرجال الذين جاوزوا مرحلة الكهولة بسنين، وعلى رغم ذلك لازمهم ضوء الحياة على الصورة التي تعكسها وقدة أبناء الثلاثين. صحيح أنه أخلد به جسده إلى الراحة والسكون، لكنه خلود اضطراري نشأ رغماً عنه بسبب الأمراض والعلل الصحية. فالعمر، إذ يحصد المزيد من السنين، دون تردد، إنما يقوم بذلك على طريقة المغامرين الذين يجازفون بحياتهم على رغم اضمحلال فرص النجاة. ذلك أن الفرصة السيئة التي تنتظرهم، إن تراجعوا، تكمن في فشل فكرة المغامرة ذاتها ومن ثم تفشل طريقة العيش برمتها، وعندئذٍ يمتنع وصفهـــم بالمغامرين. العمر لديه إقدام «السايبورغ» في اتجاهه الوحيد الذي لا يحيد عنه، وهذا النمط من الشخصيات الخيالية المخترعة سينمائياً جاءت في فيلم "المبيد" الذي أخرج نسخته الأولى جيمس كاميرون عام 1984 ويتمحور إقدامه على الفعل في أنه مبرمج على تنفيذ ما كلف به حتى النهاية، ولو أدى ذلك إلى القضاء عليه شخصياً، وهذا ما حدث بحسب القصة في خاتمة الفيلم. إن جاز التشبيه، العمر من هذا المنظور "سايبورغ" زمني ليس أمامه خيارات أخرى مثل التوقف التكتيكي موقتاً أو إعادة ترتيب بعض الأحداث وقفاً للحاجة إليها في زمن ما. وفي صورة أخف وطأة، وأقرب إلى التصور الإنساني، يمتلك العمر جرأة إطفائي يحاول مكافحة النيران المندلعة من حوله، مع فارق أن الإطفائي يناور النار بما أوتي من خبرة لينجو منها قبل أن تقضي عليه، وهذا ما لا يتاح للعمر بالنظر إلى ارتباطه الوثيق بالإنسان الذي يعيشه، بالجسد الذي يتأثر به، والصدمات التي تتشكل فيه وتؤثر فيه وتلونه بألوان التعب والشيخوخة والهرم والوحدة. المزيد من العمر يعني المزيد من الخسائر للجسد، وما الهرم في شفقه الأحمر الذاوي إلا خلاصة القصة المفضية إلى هذه النهاية، لا خيار آخر لأولئك الذين يبلغون هذه المرحلة من العمر. الأمراض، العطالة العضوية، الآلام المبرحة، القصور الحيوي في بعض الأجهزة، وعلى رغم ذلك يتقدم العمر ويمضي بجسارة كبيرة إلى حافته ومن أضيق نقطة ينتهي. أدرك فيصل من دون اعتراض حقيقة المطرقة الزمنية وأثرها العميق في الكتلة البيولوجية التي تحمله «وبقي جسده العاجز مطروحاً على رصيف الحياة».

ولذلك لم يجادل في هذه المشـــكلة بل عايشها، وإن مرغماً، بالتغاضي عنها تارة، وبتعاطي الأدوية التي تجعلها محتملة تارة أخرى. غير أنه من قبيل التعويض وتخطي الأزمة، انتضى هبة الحلم الكامنة فيه فانطلق

بخياله إلى ما هو أبعد من فيصل المأسور في جسده، انطلق بفيصل آخر يحلم ويشـــتاق ويهفو بكل قوته إلى انعتاق أبدي، ما أمكن، من قيده البيولوجي. ووجد إضافة إلى هبة الحلم، هبة تقنية مذهلة توافق انعتاقات ليلية يحلم بها وهي مواقع التواصل الاجتماعي ونوافذ الدردشـــة الخاصة، فكانت بمثابة طريقة جديدة في اختراق الحلقة الراكدة التي أوثقته إلى نمطه القار بنوعيه الجسدي والاجتماعي. وكانت المصل الذي حقنه بنفسه في نصفه «الآخر الحالم الذاهب إلى المستقبل»، نصفه المترحل الذي «يركب العربة الأخرى إلى المستقبل، يتأمل، ويحلل، ويسأل، يقرأ المستقبل الذي انتظره طويلاً». هكذا بحيلة هزلية فلق نوى الكينونة المتشكلة من المادة والروح فأزاح إحداهما عن الأخرى منتضياً النصف الأقل كلفة في «مساريه» التواصلية على مساحة كبيرة من الشبكة العنكبوتية. فيصل، إذاً، بعثر الحالة التصالحية الرخوة التي كانت سائدة بين جسده وأشواقه، أو بين جسده وضوء الحياة الذي يمسك به، بعثرها بقوة، لكنه لم يفرط في استخداماتها التالية. ركب منها حياة افتراضية تتغذى بها ومنها عاطفته وخياله وقلبه.

ركب منها حوارات شتى عبر الإنترنت، أهمها وأخلصها إليه حواراته الليلية مع الاسم الرمزي «ليلى»، التي راحت تطبع حياته بطابع عاطفي إدماني يكشف الكثير عن حياة الاثنين، ليس فحسب على الصعيد الرومانسي الذي يحدق به العجز واللا أمل من كل صوب، وإنما أيضاً على صعد اجتماعية وثقافية وسياسية وأكاديمية وما إلى ذلك. وكأنما كانت «ليلى» في العالم الافتراضي مجرد انعكاس طيفي لا يعد بتجســـدٍ ما في حالته النتية، وهي بهذا التمثل تكون أقرب إلى «قطع غيار» تسد نقصاً في جهاز المتعة الهـــش عند فيصل، كأنما هي غارات ذئبية تتسع وتضيق في خلوات متتابعة لقطع الطريق على عودة الجسد إلى امتلاك الحقيقة التي لا مفر منها على أية حال، أن تكون له القيادة في تشكيل اللعبة التي طالما خشي منها، أن يكون هو المكافأة البخسة التي تنتظره في نهاية الرحلة الحلميـــة، وحينئذٍ لن تكون هناك قيمة لانقسامه المزعوم بين مادة

وروح. ولتكن بين حبسة جسدية ورغائب متمردة على الأفول الجسدي، فهذه أيضاً يخشى فيصل أن تسطو خاتمتها على حلمه أو على نصفه المسافر إلى المستقبل لفائدة نصفه المرتكس إلى الحاضر. فهناك دوماً هذا الخوف من الواقع الملجئ إلى الامتثال لحقائقه الصعبة في نهاية المطاف، وما الحلم إلا أصغر من جناح طائر في وسط حريق متفاقم، إن خفق باتجاه الحريق زاده استعاراً، أما إن رفرف محاولاً الابتعاد فإن ضآلته تمنعه من الاطمئنان لفكرة النجاة. تتسع الرواية لأكثر من هذه الومضة بالتأكيد، ويتسع أفق فيصل لأكثر من فضاء، فهو إلى جانب ما ذكرنا أعلاه، تغتني شخصيته بحكائية ملحوظة، ففي كل امتياح سردي عن شخوص ثانويين نجده يفتح مساراً حكائياً سيال الحضور، لكنه لا يطيل التوقد فيه، بل يوقفه عند نقطة ليست ببعيدة عن المفتتح، وتتوالى دوائر الفضاءات الحكائية الهامشية على هذا النسق، ما يصقل وجه الحكاء الأصيل في هذه الشخصية لكنها تمارس عليه قمعاً ربما استدعته سياقات اللحظة الاجتماعية وحساسية ما هو وراء المكتوب. ولعل أحد خيوط الضعف في رفع الحالة التعبيرية إلى مستوى جمالي أكبر هو حياكة اللغة بصورة تقريرية في كثير من المشاهد، هناك شح في أخذ القارئ الجمالي إلى اللغة الأدبية العالية والخيال المحلق من جهة، وتشذيب النص وتهذيبه من جهة أخرى. هناك أيضاً، الشخصية الأخرى، بندر الذي يتشابه مع فيصل في بعض الوجوه، وهو شخصية لها انديا حاتهـــا اللافتة في النص، ما يضعها في محل تساؤل من وجهة نظري حول ما إن كانت هذه الشـــخصية كتبت لتكون موازية للشخصية الرئيسة في نص آخر مستقل عن هذا النص لكنها لسبب ما أدمجت معه في كتلة واحدة، وذلك قد يستدعي سؤال لماذا المماثلة وليس الاختلاف هي الخيار المقترح، أم أن الشخصية الظل هي ما اقترحه الحضور المركزي المكثف للشخصية الرئيسة بحيث تبدي ألوانها الاجتماعية والثقافية دون مزاحمة تذكر. الرواية بالنسبة إلى زمن نشأتها تختلج بعدد من القضايا والهموم الآنية في أشكال متنوعة، سياسية، ثقافية، اجتماعية، وتذكر وقائع لم يمضِ على حدوثها سوى أشهر قليلة بالنظر إلى تاريخ صدور الرواية، ما يكفي لنعتها بالرواية الطازجة في وقتها، إن جاز النعت.

«ترف الانكفاء» لـ وائل حفظي:

رواية بلا أسماء لزمن بلا حميميّة.

معانى شعبانى*

هذه الرواية ليست مجرد سرد للأحداث، بل هي مرثية وجودية تتجسد فيها مرارة العزلة بكل أبعادها. إنها رواية ذلك الألم المطلق، التائه في صحراء مشاعره، الذي لا يملك سوى نفسه وقرّاءه الذين يرافقونه في رحلة العزلة المظلمة. هذه الرواية لا تملك سوانا - نحن القرّاء - الأكثر عزلة منها. تتجنب الرواية عمداً الزخارف النمطية لمعظم الروايات الشرق أوسطية التي تعتمد على المشاعر الرومانسية، والإثارة الجنسية، أو العلاقات العاطفية المحرّمة وغير المحرّمة، أو الخطاب السياسي المباشر. حتى عندما تتحدث عن السياسة، لا تنطلق من منظور عام، بل من سياسة الجسد المنهك، سياسة الذات التي تختبئ في زوايا الغرف المظلمة لتحتمي من قسوة العالم. هنا يتحول "البطل" إلى كيان مجرد، شبح يطفو فوق النص حاملاً معه أسئلة الوجود التي لا إجابة لها. إلغاء الهوية ليس هروباً من الواقع، بل تأكيد على أن العزلة الحديثة تمحو الحدود بين الأفراد، وتحول المعاناة إلى لغة مشتركة بين من فقدوا بوصلتهم الانتمائية.

العزلة في هذه الرواية ليست مجرد جدار يحاصر الشخصيات، بل هي نسيج وجودي يتخلل الذات والعالم، ويعيد تعريف علاقة الإنسان بكل ما حوله. الرواية، رغم إيجازها، تقدم سرداً مكثفاً يتحرك في مساحات ضيقة، مكتوباً بمهارة تذكرنا بأن الأدب الحقيقي لا يحتاج إلى ألف صفحة ليهز أعماق القارئ. كما أن حجمها المفرط لا يثقل على القارئ. شخصيات العمل قليلة العدد، مما يمنع أي تشتيت أو التباس، خاصةً أنها تخلو حتى من الأسماء، فتبدو كأشباح تتحرك في فضاء السرد بلا هوية محددة.

الشخصيات كرموز وجودية

ليس من واجب القارئ أو الناقد كشف "أسرار" النص الأدبي - لذا من الأفضل أن يحتفظ القارئ والناقد بتفسيره للرواية لنفسه وأصدقائه المقربين دون أن يعلنه كحقيقة مطلقة. مع ذلك، بما أن هذه الرواية لا تزعجك بالتفكير لأن الكاتب جلس يفكر طويلاً وقدم لك خلاصة أفكاره العميقة، يمكن استثنائياً تحليل أسباب بعض أحداث الرواية أو طرح تفسيرات لها.(1) الشخصيات هنا -بلا أسماء - ترفض أن تكون ألغازاً تحتاج لحل. إنها كيانات مفتوحة، أشبه بمرايا تعكس كل من يمر أمامها. غياب الأسماء والأمكنة والأزمنة المحددة ليس نقصاً، بل هو جوهر الرؤية الفنية للرواية. لا تقدم الرواية "شخصيات" بالمعنى التقليدي، بل تقدم حالات إنسانية مجردة، كأنها رسومات على جدارية وجودية كبيرة. القارئ هنا ليس مطالباً بفك شفراتها، بل بالتعرف على ذاته في شظاياها.

لماذا تخلو الشخصيات من الأسماء؟

الاسم هو أول علامات الهوية، لكن الرواية ترفض منح شخصياتها هذه الهدية. كأن الكاتب يقول: "ما الفائدة من اسم في عالم لم يعد يرى فيك إلا رقماً؟". الشخصيات هنا أشبه بأشباح تائهة في مدينة مزدحمة. هذا التجريد يدفع القارئ ليرى نفسه في كل شخصية، أو ليرى في كل شخصية شظية من ذاته المحطمة. شخصيات الرواية بلا أسماء، لكنها ليست غريبة عنا. هي مرآة لنا، أو ربما نحن ذواتنا في لحظات هشاشتنا. هذه الشخصيات المجردة من الهوية ليست ضعفاً في السرد، بل هي استعارة خفية لما آل إليه الإنسان الحديث: كائناً مختزلاً إلى ظل بلا ملامح، رقماً في نظام لا يعترف إلا بالضجيج.

أتعرفهم؟ إنهم أنت!

الشخصيات ليست مجهولة لأنها ضعيفة التكوين، بل لأنها متعمدة الضبابية. في عالم هذه الرواية، تصبح العزلة هوية بديلة عن الأسماء. الشخصيات لا تحتاج لأسماء لأنها تختبئ خلف أوصافها: "الرجل الذي يعيش وحيداً"، "المرأة التي تبكي ليلاً"، "الرجل البدين صاحب المبنى". هذه الأوصاف ليست سوى أقنعة لما لا نجرؤ على تسميته: خوفنا من أن نختزل إلى مجرد أسماء بلا مضمون.

هم استعارة لجيل فقد القدرة على تعريف نفسه خارج إطار "اللا انتماء". البطل الذي يفقد حنان أمه فجأة، الرجل العجوز الذي يثير تعاطف القارئ لأنه فيه أباً أو جداً أو عماً أو جاراً مسناً لكننا لا نعرف شيئاً عن حياته... لا نرى فيه سوى نظرة أمل خائبة واستسلام. زوجة الرجل العجوز.. الطبيبة.. المالك السمين.. الزميل غير اللطيف.. هكذا هم. بلا أسماء ولا هوية. يعيشون فيك، أو تعيش فيهم؟ تلمس الرواية بفظاظة واقعية: نعرفهم جيداً لأنهم جزء منا.

من الشخصية إلى الرمز: حين يصبح الفرد قضية جماعية

كما ذكرت سابقاً، جميل في هذه الرواية أنها تمنحك جرأة الرمزية، وما أروع ذلك للقارئ الذي يعيد القراءة مرات!

تتحول الشخصيات المجهولة إلى رموز لأمراض العصر:

- البطل الذي يفقد أمه: رمز لجيل مقطوع الجذور يعيش في فراغ عاطفي. غضب، عزلة، حزن وعدم انتماء. عذاب الضمير لعدم الشعور بالذنب والهروب من كل شيء إلى حيث لا مفر.

- الشاب المنكفئ على ذاته: يعكس أزمة التواصل في عصر الشبكات الاجتماعية.

- الرجل العجوز: شاهد على صراع الأجيال بين تراث ينهار ومستقبل لا يرحم.

لماذا نشعر أننا نعرفهم؟

لأن الرواية لا تصنع شخصيات، بل تستعير وجوهاً من واقعنا. عندما تقرأ عن "الذي يختبئ في غرفته"، لا يمكنك إلا أن تتذكر صديقك، ابنك، أو حتى نفسك. يلعب الكاتب لعبة ذكية: يجرد الشخصيات من تفاصيلها لتصبح أرشيفاً مفتوحاً نملؤه بأوجاعنا نحن.

في هذا المنعطف الوجودي، ينكمش الإنسان على ذاته كحلزون، عاجزاً عن العودة إلى حِمى الأحشاء الأمومية التي لم تعد مأوى له، وعاجزاً عن امتلاك النضج الكافي لمواجهة العالم الذي ينهش أحلامه. يصبح الانكفاء "مهارة" للبقاء، لكنها مهارة مسمومة: فالعزلة التي تبدو "نعمة" مؤقتة للهروب من ضجيج الواقع، تتحول تدريجياً إلى نقمة تخنقه باسم الحماية.

تشير الرواية إلى مفارقة مأساوية: كلما ازداد التمتع بهذه "النعمة الوهمية"، اشتدت الحاجة إلى الحميمية الإنسانية التي لا تعوض.

هذا التحول من "الكائن الاجتماعي" إلى "الكائن الحلزوني" ليس سقوطاً أخلاقياً، بل نتيجة حتمية لنظام عالمي ينتج العزلة كسلعة استهلاكية. الرواية لا تنتقد الفرد، بل تكشف عن آلية خفية تدفعه لتبني العزلة كخيار وحيد، ثم تعاقبه على هذا الاختيار.

العزلة التي تروج كـ"ملاذ آمن" في زمن الضوضاء الافتراضية، تتحول في النهاية إلى سجن ذاتي تزين جدرانه أوهام الحرية.

العزلة كمرآة لهشاشة الإنسان الحديث

العزلة التي تروج كـ"ملاذ آمن" في زمن الضوضاء الافتراضية، تتحول في النهاية إلى سجن ذاتي تزين جدرانه أوهام الحرية.

الرواية ليست مجرد سرد للأحداث، بل هي مرثية وجودية تتجسد فيها مرارة الوحدة بكل أبعادها. هذه الرواية هي رواية ذلك الألم المطلق، الضائع في صحراء مشاعره، الذي لا يملك سوى نفسه وقرائه، قراء يرافقونه في رحلته المظلمة نحو العزلة.

تتجنب الرواية عمداً الزخارف النمطية لروايات الشرق الأوسط التي تركز على الإثارة الجنسية، أو العلاقات العاطفية المحرمة أو غير المحرمة، أو الخطاب السياسي المباشر. حتى عندما تتحدث عن السياسة، لا تتناولها من منظور عام، بل تتحدث عن سياسة الجسد المنهك، سياسة الهوية التي تختبئ في زوايا الغرف المظلمة هرباً من عنف العالم.

العلاقات الإنسانية تتحول إلى أشلاء ممزقة

الحب – الذي يكاد يكون غائباً أصلاً في الرواية – يشبه طقساً فاشلاً للخلاص، والإشارة إلى الجنس ليست بدافع الفضول أو الشهوة أو كسر المحظورات والعادات. ليست مجرد محاولة خشنة لكسر جدار الوحدة. حتى السياسة تختزل إلى مجرد صراع فردي ضد أنظمة التحكم الخفية.

بل تتسلل حتى إلى أحلامه. الرواية لا تقدم حلاً، بل تكشف عن جرح نازف في جسد إنسان هذا العصر: كائن يولد من رحم الوحدة، يعيش في متاهاتها، ويموت دون أن يسمع أحد صرخته...

هذه الرواية ليست رواية للإجابة، بل لتطرح أسئلة وجودية على جروح عصرنا: هل الوحدة اختيار أم قدر؟ هل نفتخر بها أم نخجل منها؟ هل أن يفخر الإنسان بعزلته ويرى نفسه أفضل من الآخرين أمر يستحق الإعجاب؟ أم أن الاندماج في المجتمعات السطحية هو الحل اليوم؟ أم لا هذا ولا ذاك؟ لا الاختباء ولا الظهور

المفرط والدائم. هل يمكن أن تكون العزلة شكلاً من أشكال المقاومة؟ تجيب الرواية بسؤال مرير: ماذا لو كانت الوحدة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها الإنسان في عالم أشبه بغرفة مقفلة؟ عالم يُتحكم به من الخارج، بينما نحن نحمل المفتاح الوهمي له.
برواية مكثفة خالية من الحشو، تصور الرواية مفارقة عصرنا: كلما ازداد العالم اتصالاً، تقلصت مساحتنا الداخلية حتى صرنا نعيش في جزر معزولة، نحدق ببعضنا من خلف شاشات حوّلت الصداقة إلى مشهد عابر. هذا العالم يبيعك العزلة، يمجدها، يمنحك شعوراً بالتميز والاختلاف، ثم حين تقع فيها، يشخصك علم النفس التسويقي على أنك معيب ويبيعك منتجاته.
ترفض الرواية الثنائية التقليدية (عالم الداخل/عالم الخارج) وتكشف كيف تعددت طبقات الوحدة في عصر الشبكات الاجتماعية: "الخارج" يتسلل إلى أعماق "الداخل" عبر شاشات تحمل رعب العالم، و"الداخل" ينفجر في الفضاء الرقمي كصرخة بلا رد. الوحدة هنا ليست انفصالاً، بل وعي مرير بتشابك واقعين: واقع ملموس يخنقك، وواقع افتراضي يزيف التحرر.
لا تدين الرواية الوحدة، بل تغوص في تناقضاتها. تتحول الشخصية الرئيسية (التي تفقد فجأة حنان الأمومة والأبوة والأخوة) إلى كائن هش، كالدخان الذي يتلاشى بلا أثر. هذا التحول ليس مجرد تطور درامي، بل استعارة لجيل يعيش في فراغ بين ماضٍ منفصل وحاضر لا يُحتمل. الوحدة هنا ليست اختياراً، بل نتيجة حتمية لعالم يدفعك إلى العزلة كي تهرب من ضجيجه، ثم يعاقبك عليها!
العالم الخارجي" (الشبكات الاجتماعية، الأنظمة الاقتصادية) لم يعد فضاء منفصلاً، بل اخترق خصوصية الوحدة وأصبح جزءاً من كياننا الداخلي. حتى السياسة لم تعد خطاباً عاماً، بل صراعاً داخلياً مع آليات التحكم الخفية. تذكرنا الكاتبة أن السلطة اليوم ليست فقط في يد الحكومات، بل في يد كل من يمسك شاشة صغيرة يدير من خلالها عالمك.
مفارقة التحرر: هل الوحدة مقاومة أم استسلام؟
تطرح الرواية سؤالاً محورياً: هل يمكن أن تكون الوحدة شكلاً من أشكال التمرد؟ الجواب المرير هو: في عالم يُتحكم بكل شيء، حتى بأحلامنا، ربما تكون الوحدة آخر أسلحة الضعفاء. لكنه سلاح ذو حدين: قد يحررك للحظة، ثم يقتلك ببطء.
لماذا نقرأ هذه الرواية؟
"ترف الإنكفاء" ليست رواية عادية، بل جرح مؤلم لا يراه الجميع. هذه الرواية مرآة للقارئ يرى فيها انعكاس خيباته، وحيرة جيل يبحث عن المعنى في عالم وهمي. الكتابة لا تقدم وعوداً ولا تمهد طرقاً، بل تفتح نافذة على غرفة مظلمة نعيش فيها جميعاً... ربما لا نجد فيها نوراً، لكننا على الأقل ندرك أننا لسنا وحدنا.
رواية "ترف الإنكفاء" لوائل الحفظي رحلة عميقة إلى أعماق النفس البشرية في العصر الحديث، حيث تتحول الوحدة إلى مرآة تعكس كل تناقضاتنا وآلامنا. هذا الكتاب ليس مجرد قصة عن المنعزلين، بل تشريح دقيق لذلك الشعور الغريب الذي يحيط بنا جميعاً رغم حصار العالم لنا.

العجوز في الرواية

ليس العجوز في الرواية مجرد شخصية مسنة، بل رمز لكل الحكمة المنسية في زمننا السريع. هو ككتاب قيم مختبئ تحت الغبار في مكتبة لا يزورها أحد. حكمته لم تعد ذات قيمة في عالم يقدس السرعة والبساطة. وفي هذا الصراع بين الأجيال، نرى أن الشباب لم يعودوا قادرين على التعلم من خبرات الكبار، والكبار فقدوا القدرة على فهم لغة الجيل الجديد. الأكثر إثارة للقلق هو كيف تحولت الوحدة نفسها في عالمنا الحديث إلى سلعة. نشتري أجهزة تزيد عزلتنا، ثم نشتري تطبيقات تعدنا بالتواصل! ندفع المال لنعزل أنفسنا، ثم ندفع المال لنشعر بوحدة أقل. إنها حلقة مفرغة يجسدها الكاتب بمهارة من خلال حياة شخصياته.
في النهاية، "ترف الإنكفاء" ليست مجرد رواية عن الوحدة، بل مرآة تعكس شرخاً عميقاً في روح عصرنا. تظهر الرواية كيف أن التقدم التكنولوجي الهائل لم يقابله تقدم مماثل في علاقاتنا الإنسانية. الكاتب لا يقدم حلولاً جاهزة، لكنه يفتح أعيننا على جرح نازف في جسد الإنسانية – جرح اسمه الوحدة الحديثة.
هذه الرواية صرخة في عالم فقد القدرة على السمع، محاولة لقول ما لا يُقال في زمن الكلام الفارغ. تذكرنا الرواية أن الإنسان، رغم كل التقدم، ما زال كائناً يحتاج إلى الحب والفهم والانتماء. ولا تقدم تكنولوجي سيحل أبداً مكان دفء العلاقات الإنسانية الحقيقية.
(1) "نظرية "موت المؤلف" (رولان بارت) تقول إن معنى النص لا يحدده الكاتب الأصلي، بل يخلقه القارئ من خلال تفاعله مع النص. وبالتالي، فإن أي تفسير للنص ليس سوى قراءة من بين قراءات محتملة، وليس حقيقة مطلقة.عبارة "الرواية لا تعطيك جهد التفكير" تشير إلى أن الكاتب قد قدم أفكاره بشكل مركز ومكثف، مما يقلل الحاجة إلى التخمين أو البحث عن معان خفية."الاستثناء" هنا يعني أنه رغم استقلالية النص الأدبي (حسب نظرية بارت)، يمكن مناقشة أسباب الأحداث لأن الكاتب نفسه قد قدم إجابات جاهزة تقريباً.

*كاتبة ومترجمة إيرانية.

@YAMANAHMAG

الرواية الأخيرة لـ «أحمد السماري»:

أسطورة "ليليت" تظهر مجددا على الطريقة السعودية.

أسيل سقلاوي

ترجعُ ليليت الأسطورة إلى أصولٍ تاريخيةٍ قديمة، فتظهرُ على هيئة امرأةٍ متمردةً على الرجال وسلطتهم الذكورية، وتسعى دومًا إلى الانتصار للأنثى، وإثبات ذاتها وأناها. كانت سابقًا تعبّر عن القوة الكونية للخلود الأنثوي، ولاحقًا تجلّت في انبعاثات عدة في النصوص الأدبية، فجاءت رمزًا صريحًا للأنثى الرافضة لسلطة الأخ أو الأب أو المجتمع، تلجأ تارةً إلى إزاحة الرجال من طريقها، وإظهار القدرة والقوة والتفوق عليهم تارةً أخرى، فتعلنُ بشكلٍ قاطعٍ مساواتها مع آدم الرجل. وقد أشار الكاتب في مقدمة الرواية إلى بعض الميثولوجيات القديمة والأساطير التي صوّرت ليليت بنسخٍ مختلفة، لكنّه رفع الستار كي يرينا شخصية المرأة الطموح التي تشكّل مصدر قلق للمجتمع الـذكـوري، وتُظهر تناقضات الصورة الأنثوية بين ليليت وحوّاء.

ولليليت الكاتب هنا، تتمظهر في شخصية الدكتورة جـواهـر الـمـرأة التي ظُلمت من قبل إخوتها الرجال، وحُرمت هي وأمها من الحصول على حقهما كاملًا من ميراث والدها الثري، فقررت الهجرة إلى أمريكا ليس طمعًا بالحصول على المزيد من المال، بل طلبًا للمجد والخلود، فلمعتْ كلؤلؤةٍ متوهّجة في الطب، وكانت مثالًا يحتذى به في العلم والإنسانية، وهذا ما أكّده الأستاذ عبد اللطيف بن إبراهيم العجاجي حين قـال: "الهجرة ليست اختيار الجميع، الهجرة فقط للأقوياء"، نعم جواهر القوية البطلة، ابنة ليليت بل ليليت بنسختها السعودية، التي تتطلع دومًا للأفضل، تشعر دومًا أنها لم تنل السعادة الكاملة التي كانت تنشدها ولـن تنالها، وستظل بنظرها ناقصة مهما فعلت، وهذا بحد ذاته حافز إيجابي وحقيقي، ومؤشر عافية نحو تحقيق الذات بصورة مثالية.

ليسَ غريبًا أن يأتي العنوان: "ابنة ليليت" بدلًا من "ليليت"، صحيح أن الكاتب في هذه الرواية أراد لجواهر أن تكون صوتًا عربيًا لليليت الأسطورة، لكننا لا نغفل أنه لجأ أيضًا إلى استخدام صوتين أنثويين في عملية السرد الروائي، تمثل الأول في صوت جواهر، والثاني بصوت ابنتها ميلا التي أخذت تتناوب وإياها على سرد أحداث وتفاصيل الرواية، وإن كانت بصورة متفاوتة، فتتجسدُ ليليت بنظري في شخصية جواهر، وابنة ليليت في شخصية ابنة جواهر التي لم ترَ أمّها، ولكنها فتنت بما عرفته عنها حتى وإن جاء ذلك متأخرًا، والتي بلا أدنى شك ستتخذ من أمها رمزًا للتمرد وعلامة فارقة بين النساء. فجواهر التي تنحدرُ من أب سعودي وأم هندية، وابنتها التي تعود أصولها إلى أب مكسيكي وأم سعودية، كلاهما تبدآن الصراع على الهوية بين الثقافات والحضارات، فيبرعُ الكاتب في الانتقال بين الشخصيات بما يناسب العمل السردي وكذلك في الأحداث بشكل ممتع يبعد القارئ عن الرتابة، ويشعره بتشويقٍ يدفعه إلى المتابعة من أجل معرفة ماذا سيحدث بعد هذا وذاك.

وأستعيرُ عبارةً لفتتني في هذه الرواية على لسان جواهر حين قالت: "نحبُ حياة البسطاء حين نشعرُ بالتعاسة، ولكننا حين نعيش نطمحُ إلى مستوى الأغنياء"، كانت جواهر رغم امتلاكها للمال والمنصب والجاه والنسب تعيش حياة البسطاء لأنها تشعر بالوحدة رغم وجود مئات الناس من حولها، وحرمانها من رؤية ابنتها جعلها تواجه القدر والظلم مرتين، فهي لم تعش بين أهلٍ وعائلة، ولم تتمتع بحياة أسرية هانئة، ولا حياة زوجية ناجحة رغم كل ما وصلت إليه من تفوق في الطب والعمل الإنساني، لكنها كانت تعوّض هذا الحرمان بالنهوض دومًا بعد كل انكسار لتكون أقوى من قبل، لتقول أنـا هنا، أنا موجودة، أنا على قيد الحياة، أنا العنقاء التي تنهض من تحت الرماد، لتحلّق من جديد بعد أن قصّوا جناحيها، فتؤسس لمشاريع إنسانية واستثمارية تعود عليها بالمنفعة والمراكز والمال، كي تخصصه لاحقًا لمستقبل ابنتها.

جواهر التي تتحول حياتها من الرياض إلى نيويورك، ثم لوس أنجلوس ويتحول معها اسمها من جواهر إلى جورجيت، تعيشُ أزمة الهوية بصورةٍ دائمة، حتى بعد عودتها إلى الرياض في نهاية المطاف، ورغم كل نجاحاتها الباهرة، إلا أنها لم تنجح في العودة إلى جواهر، أي إلى أصولها السعودية، عادت بجوازها الأمريكي لتقول لإخوتها الذين حاولوا تحطيمها في الماضي "أنا لا أريدكم"، ولا أريدُ الانتماء إليكم، ولا أريدُ أموالكم التي حرمتموني إياها، فقد وجـدتُ ذاتـي خارج المكان والزمان، خارج المجتمعات والثقافات والحضارات، وجـدتُ ذاتـي في النجاح الذي حققته، وفي الاسم الذي صنعته بدموعي وحرماني وانكساري، عدتُ إلى ترابٍ يحتضنني بعيدًا عن لوني وشكلي ومستواي.

أما المفارقة التي صنعها الكاتب في هذه الرواية، فهي أنّه ختمها بصورة غير متوقعة، فأسدلَ الستار على خاتمة مثالية برزت في تصالح جواهر مع إخوتها، وعودتها إلى البيت القديم، ولقائها مع أمها وابنتها بعد سنواتٍ طويلة من الانتظار، وأوهمنا بأننا أمام مشهدٍ مُنتَظَر لنتفاجأ بعد هذه الخاتمة بمكالمة هاتفية تتلقاها ابنة جواهر من خالها الذي يخبرها بوفاة أمها جواهر قبل أن تلتقي بها، ونكتشف بعد هذه المكالمة أن العقل الباطني لجواهر أبى حتى اللحظات الأخيرة من حياتها إلا أن يكونَ متمردًا على الظروف، فخلق بذهنها أحلامًا لطالما تمنّت أن تحققها، حتى وإن وقف الزمان بوجهها.

أختم مع عبارة لخّصها أمين جائزة الملك فيصل العالمية للطب، والتي حصلت عليها الدكتورة جواهر حين قـال: "مجد الأفـراد لا يصنعه الـجـاه والنسب والـحـسـب، وإنما تصنعه أعمالهم العظيمة الهادفة إلى خدمة عقيدتهم وخير أمّتهم وبلادهم والإنسانية كلها"، نعم استطاعت جواهر أن تكون مفخرة لكل النساء السعوديات، فلم ينقصها حسبٌ أو نسب أو مال، ولكنها نظرت إلى ما هو أهم، وكرّست حياتها في سبيل الإنسانية.

إن رواية "ابنة ليليت" للكاتب السعودي أحمد السماري والصادرة عن منشورات راميناـ لندن، تعكس ثقافة واسعة وغنية للكاتب، ولا شك أن هذه الثقافة ظهرت في مواطن عدة، فبرع في الطب والمحاماة والاستثمار والتاريخ والشعر وهذا ما رأيناه حاضرًا في شخصيات الرواية وتسلسل أحداثها، فنحنُ أمام عمل روائي متكامل يستحق القراءة والحفاوة.

«طريق الحاج» لعمرو العامري:

ملحمة البحث عن الذات والوجود.

فاطمة عبدالله الدوسري*

حملني عنوان رواية «طريق الحاج» للروائي عمرو العامري للغوص في بنيتها والتحليق داخل فضائها السردي الممتع في قراءة تأملية لواقعية سحرية مثيرة، تصاعد في أحداث الرواية يتوازى مع سير الخط الزمني في توافق جيد وربط رائع وتوثيق متسلسل للأحداث.

الجملة الأولى في الرواية بعد العنوان «أعتقد أن عمر السبعين ملائم جدا لأن يموت الإنسان» استهلال يستفز القارئ لاستقصائها والبحث فيما ورائها فمنذ البداية نجح الكاتب في توظيف لغته العالية الجودة في السرد والتوصيف.

انتصب خليل الأول في طريق الحاج وأخذ يتلمس الطريق والأماكن التي يمر بها حتى اختار المكان الذي رآه مناسبا للاستقرار، وضع الأساس عندما اقتسم له قطعة أرض امتدت ليطلق عليها اسم القاسمية، ثم حفر بئر أطلق عليها الناس الخليلية نسبة إليه، بينما أطلق عليه السكان الأصليين اسم خليل الشامي لأنه قدم عليهم من شمال ديارهم، خليل الأول الذي وضع بذرة التغيير حين ارتحل بعائلته الصغيرة في قرار لا رجعة فيه، انتزع جذوره من أعماقها ليغرسها في مكان غريب عليها، ما لبثت حتى امتصت الصدمة وعادت للنمو من جديد، هذا الخليل الذي تحمل المشاق منذ أن كان في قبيلته وبين أفراد عشيرته، ظل حس المسؤولية يطارده في مختلف مراحل حياته.

ولعلني أقفز بين السطور وأتجاوز خليل الأول لأصل إلى عمق الحكاية عندما وصف الراوي حالة علي بعد حواره مع أخيه عرار: « وعندما لم يجد نقطة يلتقيان فيها تركه وانشغل بتدبير شؤون حياته وشعر أنهم لم يفقدوا عرار يوم غادر، بل فقدوه بعد أن عاد».

إشارة إلى التحول الكبير في حياة عرار الذي لن ينسجم مع حياة كانت، لأنه عاش حياة أخرى وتلبس فكر آخر ولا يقلب الموازين في حياة الإنسان إلا التغيير الفكري، يقول الفيلسوف اليوناني هيراقليس: «التغيير بحد ذاته أبدي ودائم لا يموت» وعزز الألماني شوبنهارو هذه المقولة بقوله: «ليس البقاء للأقوى، أو الأذكى، إنما للأكثر تكيفا مع التغيير».

وهذه المقولة هي الثيمة الأساسية التي قرأتها بين سطور الرواية، حيث الإنسان المتحول والقادر على التكيف مع التغيير، وقولبة أفكاره وإعادة صياغتها بناء على الاتجاهات والتحديات الحتمية التي يواجهها، هذه الزحزحة الفكرية التي تعبر عن الإرادة الحرة التي تقود صاحبها إلى العمل والسعي الدؤوب للوصول إلى نقطة جديدة، التحول الذي يدهشنا في كل مرة نكتشف فيها شيئا مختلفا.

أما رحمة زوجة خليل الأول التي تحملت معه المشاق، وأعانته وكانت خير سند له، حتى لو لم تكن راضية عن بعض قراراته، مع سرعة فهمها لبعض المؤشرات في عدم رغبة زوجها العودة لديارهم الأولى، والتي تجلت في شراء البندقية، هنا ثبت لديها أن ليس لديه نية عودة قريبة، وهكذا أعدت نفسها لتقبل مشوار حياتها الزوجية بالرضا والقناعة، وقامت بزراعة شجرة حنا وريحان.

استطاع عمرو العامري أن يحفر في ذاكرة من قرأ رواية طريق الحاج نقاط مؤثرة لا يمكن نسيانها، واستخدامه لتقنية الوصف الجذابة والتعبير عن الحالة الإنسانية المتطورة بالفعل.

رغم تعدد الشخصيات داخل الرواية والانتقالات المكانية والزمانية، إلا أن ترابطها لم يتأثر أو يختل، فقد أعطى كل شخصية تفاصيلها كاملة مما يمتع القارئ ويتيح له تجسيدها في ذهنه ليتماهى مع كل شخصية ويتعمق في الأحداث أكثر.

استطاع العامري أن يجمع المتناقضات لتمضي المواقف والأحداث بسلاسة، يواجهنا صخب وعجاج السنين، تفاعل الإنسان مع الإنسان، الرفض والقبول، وصراع الحياة في ذروته وهدوئه، ونفوس لا ترضى بما هو متاح وتبحث عن المجهول الذي تريده ولا تعرف سمته.

في طريق الحاج الشاعرية الساكنة في الأعماق، والتي تدور مع دورة الحياة الصامتة، مع «توالي النهار والليل وتشابه الأيام» وألم الفقد الذي ربما يحضر في الوجود أكثر منه في الغياب.

قدرة الكاتب على تشكيل الأحداث وتسلسلها باختصار الوقت للوصول لنتائج التفاعل الإنساني، والاكتفاء بقفزات منظمة للحدث للوصول للغاية، التنقل في متوالية انسيابية تمر عبر زمن طويل في ومضات زمنية قصيرة، عبارة عن إضاءات على المحتوى في حديث موجز.

وفاة خليل الأول، زهايمر رحمة، تضحية حالية، ومروءة الشيخ طحان، حلم عقيل وطموح طامي، هزيمة عائشة عندما كبرت وبانت معالمها، وشذرة حب في قلبها أزهرت ثم ذبلت، صراع علي وعرار، ومسفرة التي وقفت شامخة وسط الجحود والإهمال من قبل زوجها عرار وتفضيله عليها من تقل عنها عقلا وثقلا، وقرارها بالانسحاب من حياته، واكتفائها بالتلذذ بانتصارها في تربية أبنائها، رمل ورماد، ونفوس كادحة، وتساؤلات تحاصرك بعد الانتهاء من قراءتها، فالحياة لا تعطيك كل شيء.

رواية دسمة حافلة بالكثير من الأحداث والمنعطفات والانتقالات الزمكانية، وغوص في هوية الإنسان ومدى تكيفه مع المكان.

اعتمد الكاتب في تحريك الأحداث داخل الرواية على الراوي العليم، يدير المواقف بين الشخصيات بذكاء شديد وأحيانا مع الانسجام والحماس يتدخل في استشراف ما سيحدث في المستقبل؛ «ولو أنهم قرأوا الغيب لشاهدوا أن مصيرهم الاغتراب، لكن كل واحد بطريقته».

في رواية «طريق الحاج» الكثير من الثنائيات المتناقضة؛ حلم رحمة بالعودة، استقرار علي واغتراب عرار عقل طامي المتضخم بالمعرفة وحياة عائشة الفارغة إلا من خيالات تلاعبها بلا هوية.

عندما يصغر المألوف في فضاء اللامألوف وتتعدد مساراته، وتعصف الأفكار الجديدة بالأحلام المؤجلة، والتحول وسط شمولية الحياة، وتعدد المهام.

قراءة عجلى لرواية زاخرة بالمعطيات الكثيرة، التي شكلت هويتها، تستحق الدراسة والتمحيص، والخلاصة أن الإنسان مهما حاول أن يغير العالم وانشغل عن نفسه لابد أن يعاوده الحنين للجذور، للعتبة الأولى وإن طمرتها السنين، للأصالة حتى يرتد مرة أخرى كالسهم إلى الأمام.

*قاصة وروائية- سفيرة جمعية الأدب بالرياض

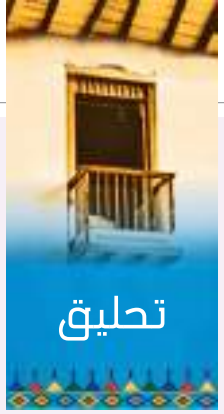

تحليق

ترسانة الحياة.

فوزية الشنبري

اليمامة
@YAMAMAHMAG

حسرة ما تتعاظم في ذواتنا منذ عصر التنوير وحتى وقتنا الحالي، ويتوسع شق الخلاف بين العلم والإنسانية، هذا الخلاف الذي بات عصيا على أي مصالحة مزعومة وخاصة أن العلم يحقق إنجازات مدهشة وسريعة في سباق لا يمكن إلا أن تُهزم فيه البشرية وتنهش جسد الإنسانية. والمفارقة أن هذا العلم جاء لخدمة الإنسان. لكن الواقع من حولنا يصرخ بكل الأصوات والأدوات التي صنعها البشر: بأننا مهزومون وماضون نحو التلاشي والمحو. وكأن الإنسان ليس أكثر من عجلة صغيرة في آلة ضخمة، تُدار بحسب الخطط التكنولوجية وليس كما توهمنا أنه العكس.

التضخم العلمي هذا الذي يختطف الإنسانية بأبشع صورة ويختزل فطرة الفرد ومشاعره إلى عمليات قياسات إشعاعية وأرقام فيزيائية، ويذوب الفرد في مجتمع عبارة عن شريحة تعبث بها خوارزميات لا ضمير لها.

كل محاولات التقدم التي نجحت وصفقنا لها فشلت في جعلنا نعيش عيشة سوية هادئة متزنة خالية من العنف والتفكك والأمراض النفسية والحروب التي لا نهاية لها مع كل هذا الاستعراض للتقنية، إلى حد الاستهانة المباشرة بعقلية الإنسان وغرائزه الطبيعية وفطرته النقية بالذكاء الاصطناعي الذي حرمنا نعمة التفكير والبحث والروبوتات الفاشلة بدعوى المتعة.

لا بارك الله في هذا العلم الذي يحط من قيمة الإنسان حتى صرنا لا نعرف الصدق من الكذب ولا نعرف ما دورنا في الحياة.

أعرف انه كلام مكرر ومطروق من عدة جهات ولست بصدد التعميم أو التخصيص ولا لنقاش بعض وليس ولكن.

الحسرة أعظم من الفائدة، والمشهد يتنامى بشكل يومي وبائس ولابد من لفظه بكل الطرق الممكنة سواء بالكتابة عنه أو حتى تكرار نبذه لأنفسنا وأمام كل من يذوب في مغبتها وظلمتها من أحبابنا ونحن نشاهد فقط.

الشعر من لغةٍ إلى أخرى:

خضرةٌ وارفةٌ تلمعُ في الزمن.

عبدالمحسن يوسف

1

من الكتب الجميلة التي قرأتُها، ديوانٌ بعنوان " مدن الآخرين "، يضمُّ عددًا من القصائد المنتخبة لسبعة عشر شاعرًا من شعراء العالم.. قام بانتقائها وترجمتها الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي، وصدر الديوان عن " منشورات الخازندار " بجدة.. هذه القصائد لا يجمع بينها سوى الموضوع الذي تناولته وهو: المدينة. والمدينة كما يرى حجازي في مقدمته للديوان: " ليست مجرد موضوع، إنها عالم، أو هي العالم؛ لأنها العصر، عرفنا فيه السعادة أم عرفنا الشقاء "، ويرى حجازي أيضًا أن " الإنسان المعاصر نباتٌ أطلعته المدينة "، ويضيف: " المدينة هي اللذائذ المرعبة والجحيم عند بودلير ، وهي الأرض اليباب عند إليوت.. وفي سلطة المال التي تسحق بساطةَ الإنسان ونبله وجماله في أفلام شارلي شابلن "، ويقول حجازي: " من هنا تتحول المدينة في الآداب والفنون المعاصرة من مجرد موضوع مشترك إلى عالم مشترك ".

الشعراء الذين ترجم لهم حجازي وانتقى قصائدهم التي احتواها هذا الديوان الجميل الأنيق هم : بودلير ، وأبوليير ، وأراجون ، وسان جون بيرس ، وجمال الدين بن الشيخ ، وجان كلارانس لامبير ، وكفافيس ، وأونغاريتي ، ولوركا، وباوند ، وإيليوت ، ومایاكوفسكي ، ومندستام ، وجويل دي روزييه ، وأوكتافيو باز ، وجورج تراكل ..قصائد هذا الديوان جميلة وعميقة، أضْفَتْ عليها ترجمةُ حجازي - بوصفه شاعرًا - جمالًا أخاذًا..

2

كلما عدتُ إلى ديوان " منارات " للشاعر الفرنسي سان جون بيرس - هذا الذي ترجمه الشاعر أدونيس وصدر عن دار " المدى " بدمشق - أسرتني عذوبته.. كما أسرني الحديث عن البحر والأشرعة والسفن والكتابة والمرأة والعشق.." البحر الذي يحفر فينا مهاويه الرملية ، ويحدثنا عن رمالٍ أخرى " / " البحر المتعدد والنقيض، العنف والوداعة / البحر الذي يستحق أن نحييه تحيةً يبقى ذكرها طويلًا كذكرى قلبٍ يستريح " / .. هنا الحديث عن السفن يأسر الروح حيث " المجد في الأشرعة " ، إذ " ليس هناك طمأنينةٌ أكبر مما هي في سفينةِ الحب " ، وحيث " السفينة التي تحمل امرأةً ، ليست أبدًا سفينةً يهجرها رجل " ، هنا أيضًا سان جون بيرس " الحامل عبء الكتابة " يمجّدُ الكتابة ، بيد أنه لا يكفُّ عن القول : " تهددني القصيدةُ الكبيرةُ " ، ممتدحًا امرأةً يضيؤها عطرُها هكذا : " يا امرأةً ، يا حُمّى صِيغَتْ امرأةً "، فيما لا ينسى مشهدَ العشق الذي

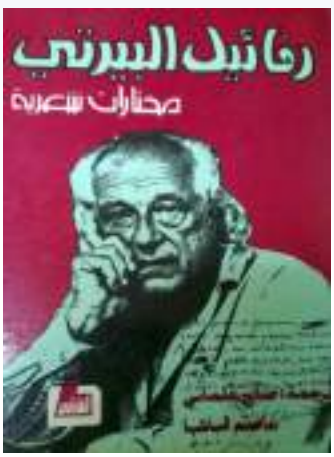

لا يترمَّدُ ، حيث في اللحظةِ الدافئةِ " يبدو العاشـق والعاشقةُ كحشدٍ من القساةِ أو كحشدٍ من الكواكب".

3

في مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر عثرتُ على كتاب شعريٍّ ضخمٍ [465 صفحة] ، الكتابُ بعنوان " هكذا هي الوردة "، وهو حقًا بديعٌ، يحتفي بنصوصٍ مختارةٍ بعنايةٍ تغطّي " قرنًا من الشعر الإسباني الحديث " ، ترجمها عن الإسبانية وقدَّمَ لها الدكتور عبدالهادي سعدون الذي سبق أن أصدر عن دار " أزمنة " في عَمَّان مختاراتٍ فاتنةً تضمُّ مئةَ نَصٍّ من " الشعر الإسباني الجديد ".. كتبتُ عنها بحبر القلب إضاءةً وارفةً قبل ثلاث سنوات، وظهرتْ للنور في كتابي " حدائق الآخرين ".. هنا في هذا الكتاب الضخم منحني الرائع عبدالهادي سعدون أجنحةً كثيرةً؛ كي أحلّقَ عاليًا.. هنا حيثُ يمتدُّ هذا الأفقُ الشاسعُ من القصائد أجدُني مبللًا بالشعر والعشق والحدائق. هنا حقًا يتألقُ جمالٌ فارهٌ، كُلّما لمستُهُ يضوعُ العبقُ بين أصابعي، وكلما قرأتُهُ يفوحُ العطرُ في ثيابي.

4

الشاعرة البريطانية سارة ماغواير " ليستْ شاعرةَ لغةٍ " ، وإنما هي " شاعرةُ حياةٍ مكشوفة " تتجلى بها " علاقةُ الشعر الأولى بالحياة وشؤونها " - كما قال سعدي يوسف الذي ترجم لها مختاراتٍ فاتنةً بعنوان " حليبٌ مُراق " ..ترجمة سعدي هذه تأتي كما قال " بسبب القيمة الحقيقية لشعرها " ..سارة هي أولُ كاتبة يرسلها المجلس الثقافي البريطاني إلى فلسطين واليمن ، ولقد كتبَتْ عن البلدين نصوصًا جميلةً فاحَ منها فلُّ اليمن وياسمينُ فلسطين..وهي أيضًا عملتْ بدأبٍ على تقديم الشعراء العرب إلى الجمهور البريطاني ، وأذكر في هذا السياق ترجمتها لقصائد الصديق الشاعر غسان زقطان وقصائد الشاعر الكبير محمود درويش.

5

" خطوات ، ظلال ، أيام ، وحدود " عنوان مختارات فاتنة للشاعر الألماني ميشائيل كروغر " صدرت عن " المدى " بدمشق ، ترجمها بلغة جميلة نجم والي ، وراجعها فؤاد رفقة الذي سبق أن ترجم نصوصًا رائعة للشاعر الألماني الكبير هولدرلن ..كروغر سبق له أن زار اليمن ، وله صداقات عربية جيدة ، ومن أهم أصدقائه مترجم المختارات نجم والي والشاعر فؤاد رفقة الذي راجع المختارات ورحل قبل أن تصدر في كتاب .. في

المقدمة التي كتبها الشـاعر كروغر نفسه أعربَ عن سعادته بهذا الإنجاز الرائع قائلًا : " إنه لشرفٌ كبيرٌ لي أن تُقرأ قصائدي الآن بالعربية ، اللغـة الأكثر قدمًا من الألمانية والتي حافظَتْ على قدرها العتيق رغم التحديث ".

6

أنفقتُ ليلةً كاملةً في ظلال الشعر ..قرأت ديوان " قصائد مختارة " للشاعر الروسي يوسف برودسكي ـ الحاصل على جائزة نوبل في الأدب العام 1987 - راقت لي كثيرًا تلك القصائد المختارة التي اصطفاها وترجمها عن الروسـية المبدع برهان شاوي ، وراجعها الشاعر الكبير سـعدي يوسف ..لقد راقت لي مرثيته الكبرى عن الشاعر الإنجليزي الغنائي " جون دون " الذي حين رقد " من حوله رقدت الأشـياءُ كلها " ، لقد " رقد السـباتُ " نفسه ، و " الجيادُ رقدتْ ، إنها تعدو في النوم " ، إنه جون دون الذي يقيم " مأتمًا في أعالي السـماء " ، إنه الشاعر الذي خلق بإبداعه " أفكارًا ومشاعرَ ثقيلةً مثل قيد " ..كما راق لي حديثه عن الحب : " الحب الجسدي مثل واجب المغنية / بينما الحب الروحي هو وليمةُ الكاهـن " ..وفي نص رائع بعنوان " أفعال " طربت لهذا المقطع الفاتن : " كل صباح تذهب الأفعال إلى العمل / تقوم بمزج الملاط ونقل الحجارة / لكنها عند بناء المدينة لا تبني مدينةً / وإنما تقوم بنصب تمثالٍ لوحشتها " ..ولقد طربتُ أكثر حين قرأتُ له هذه الومضة الشعرية الرائعة " نحن نحيا مدفونين في أجسادنا " .. في نهاية الديوان أدهشني حديث برودسكي عن الشاعرة الكبيرة آنا أخماتوفا أجراه الصحفي والمؤرخ الموسيقي فلكوف ، يقول فيه " نبرة واحدةٌ من صوت أخماتوفا تهزك من الأعماق ، التفاتةٌ واحدةٌ من رأسها كافيةٌ لتجعلك ثملًا " ...المختارات صادرة عن دار المدى بدمشق ..

7

كلما عطشتُ للشعر الصافي أردُ هذا النبعَ: " مختارات لرفائيل ألبيرتـي "..أكسـرُ حِدَّةَ العطش ، وأشـعرُ بعدها أن في فمي ربيعًا يتبرّج ، وأن خضرةً وارفةً تتسكّعُ في القلب. رفائيل - كما وصفـه بابلو نيرودا - " كائنٌ ناجٍ من المـوت ، أُعِدَّتْ له ألفُ ميتةٍ لقتل الشـعر فيه ، لكنَّ الشـعرَ لم يَمُتْ ، فللشعر أرواحُ القطّةِ السبع " ، ويضيف : " الشعر يخرج من كل تلك الحوادث بوجهٍ نظيفٍ وابتسـامةٍ من أرز وقلـبٍ مجبولٍ من نار الأعناب وهدير الموج "..إن لشـعر البيرتي كما لـوردة حمراء متفتحة في الشـتاء بمعجزة ، وإن أغاني إسبانيا الأساسية تنصهرُ في كأسه ، لقد ابتدعَ الأغاني التي نَمَتْ لها أجنحة ، فراحت تحلق فوق كل أرض ، الشعر من غير هذه المزية يرنُّ ولكنه لا يغني ، وألبيرتي غنّى دائمًا.

8

في ديوان " الصوت والحجر " للشـاعر الفرنسـي إيف بونفوا ، (اختار النصوص وترجمها الشـاعر التونسي محمد بن صالح ـ صاحـب ديوان " أنتِ كالزهرة لا تبصرين ") تحضرُ الطبيعةُ بكامل زينتها ، تحضرُ الذاكرةُ بكامل تجلياتها ، الحدائقُ والنساء ، المدن والأقمار ، النوافذ و المطر ، الضحك والدموع ، انطفاءات الموت وإشراقة الحياة ، الضوء الذي يسيلُ والظلال التي تتبرج ، إنهـا قصائد تقطرُ شـعرًا رغم أنف المقولـة التي ترى أن " الترجمة خيانة " ..الديوان جاء في 400 صفحة ، وهو صادر عن " آفاق للنشر والتوزيع " و "منشورات الجمل ".

9

في ليلةٍ هادئةٍ ، قضيتُ وقتًا ممتعًا في قراءة ديوان " الكرسي " للشاعر الكردي الكبير شيركو بيكه س ، هذا الشاعر كما يصف نفسه " عتيقٌ في المدينة ، مجنونٌ كالريح " ، و" أحيانًا يستحيل شعرًا ثملًا في حانة " ، في هذا الديوان يتحدث شيركو عن " كرسـي حالمٍ مرتبك ، حزين آنَ يصفنُ ، وكأنه غيمةٌ صغيرةٌ معذبة " ، عن ضبابٍ يدخن سيجارةً تلو أخرى ، عن امرأةٍ في نعومة الماء ، مسـتلهمًا حياة الناس عبر حكاية شعرية ترسم وجوهًا لحياة مفعمة بالحب والجمال والعذاب .. الديوان نص طويل مفتوح ، قام بترجمته عن الكردية سامي داود ، وصدر عن " المدى " بدمشق ...

10

في العام 1991 ، قرأتُ ترجمةً جميلةً لقصائد مختارة من الشاعر المدهش قسـطنطين كفافيس - اليونانـي الذي عاش في الإسـكندرية ـ أنجزها نعيم عطية عن اليونانية مباشرةً وهذه مزيّةٌ كبيـرة ..في أحد معارض الكتـاب بالرياض عثرتُ على طبعـةٍ ثانيةٍ لهذه المختارات التـي ترجمها عطية صادرة عن " المركـز القومي للترجمـة ". الجديد هنا هو إن هذه الطبعـة الأنيقة تحتوي على نصوصٍ أخرى لم تكنْ موجودةً في الطبعة الأولى، كما تحتوي على رسـوم -" بورتريهات "- للشاعر بريشة عدد من الفنانين التشكيليين العالميين ، بالإضافة إلى دراسة طويلة عميقة عن كفافيس وقصائده وحياته.

بقي أن أقول إن الشاعر الكبير سعدي يوسف ترجم مختاراتٍ مدهشةً لكفافيس ، كما ترجم الشاعر الكبير صلاح عبدالصبور مختاراتٍ أخرى له ، وقام الصديق الراحل رفعت سلام بترجمة الأعمال الشعرية الكاملة ، كذلك ترجم الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي عددًا من قصائد كفافي أذكر منها جيدًا قصيدة " المدينة " التي وردت في كتابه الجميل " مدن الآخرين " ..لكنّ جميع هذه الترجمات لم تكن عن اليونانية مباشـرةً كما فعل عطية ، وإنما عن لغةٍ ثانيةٍ وسيطة.

أخيرًا أشير إلى أن عددًا من قصائد " شاعر الإسكندرية " تألقتْ ، وعاشَـتْ عميقًا في الزمن ، بوصفِهـا " علاماتٍ " بارزةً في سياق الشـعر العالمي وفي فضاءِ الإبداع الذي كُتِبَ له الخلود ، إذْ ظلَّـتْ تعبقُ في الأفق كأجمل عطر ، وظلّتْ تتجدّدُ مع كلِّ قـراءةٍ لها كما لو أنها تنتمي إلى سـلالةِ الأنهار ، مثل : " في انتظار البرابرة " ، " إيثاكا " ، " المدينة " ...الخ.

11

نهضَتْ السيدة العراقية الرائعة وصال العلاق بترجمة " مختارات شعرية " للشاعر الأمريكي الأسود أي .أثيلبرت ميلر ، ولقد آثرَتْ أن يكون عنوان الديوان هكذا : " في الليل ، كلنا شعراء سود " ، وهو نص قصير مدهش لهذا الشاعر المبدع ..قراءة هذا الديوان الجميل تشـبه نزهةً باذخةً في حديقةٍ فارهة ...ومنذ الإهداء المقتضـب الذي كتبه ميلر إلى المترجمة " وصال " نعثر على ماسة الجمال مشعةً خصوصًا في مقولته التي أدارت رأسي : " الحبُ لا يضيعُ أبدًا عند ترجمته " .. إنك وأنت تقرأ هذه القصائد المختارة بعناية يُخَيّلُ إليك أنّ القصيدةَ " امرأةٌ تتمشّى ملتفةً بغموضهـا الخاص " ، كما أنـك ترى على بياض الورق تلك الأصابع " التي كتبتْ هذه النصوص وقد " سالَ منها الدمع " ، وتبصرُ كذلك الحُبَّ ناصعًا " يتأرجحُ كالأشجار " ، وتحسُّ إذّاك بأنّ في قلبكَ تتوهجُ شمسٌ عالية ..كما تطاردك صورة الثلج الشاسع ، صورةُ ذلك " البياض الذي لا آخر له ، كرسائل ملقاةٍ دونما أغلفة " ...لتجد نفسـك في ختـام هذه النزهة الفارهة متلبسًا بسؤالٍ تقتطفه من فم الشاعر كما لو أنك بادرتَ بقطف وردة ، هكذا : " لماذا يلتبسُ عليّ الأمرُ فأخلطُ بين وحشةِ المنديل المُلقى علـى المائدة وقلبي ؟ " أخيرًا ، هـذه المختارات العذبة صادرة عن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) ...

في تأويلِ ما تخفَّى.

نجوى العتيبي

أينتزِعُنا البيتُ نهايةَ الأسبوع؟
تحبطُني الطُرقاتُ التي تقودنا لذوينا لا إلينا. تعبرُ طريقًا، وأعبرُ آخَرَ، ولا نلتقي إلا في تعب أو شكوى، كأنَّ الوجهة معلَّقةٌ بلا وصول.
اغترابُنا حقيقي، ليس لحظيّا وهو يهدر الوقت على الإسفلت، ويُباعِدُ بين ما نعرفه من الوجوه والأمكنة... يصطنعُ ذكرياتٍ خاصة بأمكنة لا تعنينا، نخلص في مجاملاتنا لها حدَّ اكتسابها طبعًا غريبا، وننخرط في عدّ الأيام لأقرب إجازة، ثم ننهمر دونها طيلة العام. ولا كاميرات ترصد ما تنزفه الروح على خطوط الذهاب والعودة.
هو اغترابٌ بلونِ ملحٍ تقاذفتْهُ أرواحُ بحارٍ وكائنات وقصص مشوّشة، وبطعم صحراء تدفن الكلمات في الحلق، ولا تُودِعُ في المصافحات إلا فراغات يملؤها الكلامُ الشائع، حتى تسفُّها من الذاكرة ساعاتٌ قليلة فقط. هذه حياتي في اغترابي الحقيقي، أقضيها بكلمات لا تخصني، بل لا يخصني سوى ما أكتبه وفاءً لعقلي أو مخيلتي... أو تلك الكلمات التي أكتبها لك. واغترابك ليس بعيداً عنه حتما. تتعدد الأشكال والروح واحدة، حكمة الطين والروح أزلية، سنتشابه رغما عنا، وسيشبهني كل مغترب بطريقة ما. بينما صوتك وحده على طريقي فاصلٌ في كتاب اغترابي، لا يشبه شيئا، دخلَ وقتي، ثم قطعه، ونفى الغربة عن أجزاء كثيرة منه... طاردَهَا بمهارة سائق مراوغ بعد أن ضلَّلني الطريقُ بصوته، فشقَّت عليّ العودة إليَّ كأنني مفقودة. قبلك؛ كان صوت الطريق يقبع في رأسي لأسابيع، أضع رأسي على نافذة السيارة مرارا، وأطرقها بإلحاح ينسخ نفسه، أطرقها بيأس ليكفَّ الإسفلتُ عن احتكاكه بأفكاري. أُبعده باختياراتٍ صوتية متفاوتة حتى عرفتُ صوتك، أو أحذف الأصوات كلها فأغفو قليلا؛ حيث تستقبلني هناك -حيث أحلم- أصواتي البعيدة، وأخرى معها أجهلها، تفتح صدرها لي في مكانٍ سماوي يحكم الأسرار ويعرف عني ما لا أعرفه، يهمس أحيانا بغيبيات لا يمكنني معرفتها قبله، أرى في ثانيةٍ ما يُروى في دقائق، وهكذا... أذهب بعيدا في كثير من الأوقات، أسابق الطريق في ظفري بأشياء لا يصلها، حتى أنسى أخلاط مناماتي بتوقّفي عند الباب... باب البيت.
وما البيت؟
البيتُ هنا حلمٌ لا يكتمل دونك، ولا ينقطع عن المجيء والتكرار لفرط المسافة بيني وبينه. البيتُ هنا كمنام يصعب الجزم بشأنه. يمكن تأويله لولا مغبة الجانب السيئ منه؛ ذلك الذي يوشك أن يقع بعد التأويل. وكم أحب الأشياء في صورتها النهائية! وعلى سجيتها! دون التفاف التأويلات والتخرُّصات... حين تمشي بنفسها نحوي،

صريحة لا تلتفت، أو حين تأخذ بيدي... وعندما تحيطني بحنانها، وبتلك الرحمة التي أعرفُ صوتَها حين تكون. لم أنخدع قط بالرحمة، لها عينا ملاك، وقلب من غمام، لها نبرة نبيّ، وظلٌّ مهيب بلبن الأم والجدات، وهُنَّ لا يقبلنَ التزوير. المسحة الحنونة من اليد الصادقة كهرباء تعيد تشغيل الحياة؛ إذ تحط الرحمة على فاقدها ومنطفئها وتعيده رغما عنه... لا شيء في الرحمة يكذب...وإني أعرفها، أعرفها من صوتها البعيد والقريب، وذلك الصوت المنطلق في داخلي كوحي السماء، أعرفها من عينها وظلّها ورائحتها... ومن روحها وإنْ تخفّت وراء الأشياء... أعرفها أعرفها أعرفها، أو كنتُ أعرفها جيدا...
وكم أمقت تأويل ما تخفَّى!؛ إذ أحبُّ الأشياء ملتصقة بي، فالتأويل بُعدٌ، بل احتيالٌ أعمى لصيدٍ محرم، ولا أريد بيتًا بمواصفات رديئة، موادُّهُ ملفَّقَةٌ من أفكار آخرين، فيجرّني مدى الحياة إلى إصلاحاتٍ خاوية تمنعني الإقامة فيه روحًا. البيت الذي ينتهي إليه طريقي مادّتُهُ من وجهينا، ورائحته مزيج من روحينا، نوافذه ما ترسَّخَ في أعيننا تجاه بعضنا البعض، أبوابه تشبه ما نكفّ حديثنا عنه. أسواره معقودة بأصابعنا، لا تتخللها عين ولا نفس، رقيقة من الداخل، تجلب الدفء بلمسةٍ، ومغصَّنةٌ من الخارج؛ إذ يمكنها إيقاف أي تجاوز. البيت الذي ينتهي إليه طريقي شرفاتُهُ رئة الجمال نفسها، تستنشق من الحياة أحلاها وتعطينا مدَّ أبصارنا بهجة. هذا البيت يفتح صدورنا للحياة يوميا، ويُبقي الحكمة في زواياه كلها، لأنّ التخلي عنها حماقة. وقد شيَّدتْ بصوتك كل هذا، فكنتَ جسدًا لرحمةٍ أخرى أُضيفَت إلى تصوّراتي القديمة عن تلك التي ظننتُ أنني أعرفها.
لا أعرفُ أين وصلتَ الآن، لعلك ترسل عدة رسائل عما قطعتُهُ من الطريق ومتى وصلتَ. لا أعرف من يهتم بطريقك مثلي، أو من يفكر فيه مثلي... لا أعرف إنْ كنتَ مهتما بتلك الرسائل. ولعلي لا أهتم بموافاة أي شخص لطريقي، وأنسى مبادلتك معلومات الطريق دوما لأنني لم أصل وجهتي بعد، ما زلتُ مرتحلة مهما غادرتُ المكان وقفلتُ راجعة إلى البيت؛ فاليومُ الذي يكفّ فيه صوتُ الطريق عن أذني، هو يوم وصولي إلى البيت... لو تعلم...

أزمة الخطاب النقدي..

نصوص مُهمَشة تحت أنقاض النظرية.

إبراهيم زولي

في المشهد الثقافي السعودي، يلعب النقد دورًا محوريًا في تشكيل الوعي الجمالي، ورصد تحولات الخطاب الإبداعي، غير أنه ظل لسنوات عديدة حبيس إشكاليات منهجية أعاقت تطوره، وجعلته عاجزًا عن مواكبة الطفرة الإبداعية التي شهدتها الأجيال الأدبية الجديدة، خاصة جيل التسعينيات، ومطلع الألفية الثالثة. فبينما انفتح المبدعون على آفاق عالمية، وتفاعلوا مع فنون متنوعة كالسينما والمسرح، وابتكروا لغة شعرية وسردية طازجة، بقي النقد يراوح مكانه، متكئًا على نظريات بالية، ومتوارياً خلف سديم المصطلحات الأجنبية التي حوّلته إلى خطاب نخبوي مغلق، بدلًا من أن يكون جسرًا للحوار بين المبدع والمتلقي.

لم يكن انفصال النقد عن النصوص الإبداعية وليد الصدفة، بل هو نتاج ثقافة نقدية ظلت مأسورة بقدسية "النظرية"، فتحولت من أداة تحليل إلى غاية نهائية. فكثير من النقاد توقفوا عند حدود التنظير، وارتهنوا لمصطلحات معقدة مستوردة من سياقات ثقافية مختلفة، دون أن يبذلوا جهدًا في تفكيكها، أو توطينها في التربة المحلية. وهكذا تحول النقد إلى خطاب طقوسي، يكرر نفسه بمنطق آلي، ويُخفي عجزه عن الاشتباك مع النص تحت وابل من المصطلحات البرّاقة التي تزيد النص غموضًا بدلًا من كشف طبقاته. لم يعد السؤال: كيف نقرأ النص؟ بل أصبح: كيف نطبق النظرية؟ وكأن النص مجرد ذريعة لاستعراض المصطلحات، لا مادة حية تستدعي التأويل.

هذا الانزياح عن جوهر النقد – الذي يفترض فيه أن يكون حوارًا مع النص – ترك إبداعات الجيل الجديد في عزلة، فجيل التسعينيات وما تلاه، كتب بلغة مختلفة، مستلهمًا تنوعًا ثقافيًا غير مسبوق، ومتحديًا التابوهات الفنية، بيد أن النقد ظل مكتفيًا بإعادة إنتاج مقولات جاهزة عن أجيال سابقة، أو منشغلًا بتصنيف النصوص في مدارس نظرية جامدة، وبات يدور في فلك أسماء بعينها، متجاهلًا أصواتًا جديدة حاولت كسر القوالب النمطية. وهذا التجاهل لم يكن إهمالًا عابرًا، بل كان تعبيرًا عن أزمة منهجية في الرؤية النقدية ذاتها، التي افتقرت إلى المرونة اللازمة لاستيعاب التحولات الجذرية في اللغة والأسلوب والرؤية.

في المقابل، قدم الجيل الجديد من المبدعين نماذج إبداعية لها فرادتها، تواءم الشعر بالسرد، والواقعي بالخيالي، وتستفيد من التشكيل البصري وتقنيات السينما، ما يستدعى نقدًا من نوع جديد، قادرًا على تفكيك هذه النصوص بمنهجيات تتجاوز الخطاب التقليدي. لكن النقد المُعلَّب، الذي يعتمد على وصفات جاهزة من، "التفكيكية" و"الألسنية"، و "البنيوية" و "النسق" و "جماليات التلقي" مع تكرار اسماء بعينها، كجاك دريدا، ورولان بارت، وباختين، فشل في تقديم قراءة متعمقة، واكتفى بإلصاق التصنيفات بالنصوص دون الغوص في أسئلتها الجوهرية. وهنا بالذات يظهر التناقض الأكبر: ففي الوقت الذي يسعى الإبداع إلى كسر الحواجز بين الفنون، ويعبر عن هوية منفتحة، يصر النقد على التمسك بحدود مغلقة، ويختزل النص في إطار مصطلحاتي ضيق.

لا يعني هذا أن المشهد النقدي السعودي خالٍ من المحاولات الجادة، فثمة استثناءات حاولت الخروج من دائرة التنظير المجرد إلى فضاء النص الحي، غير أنها تظل جهودًا فردية.

إن خلاص النقد من أزمته يفترض جرأة في مراجعة الذات، والاعتراف بأن النظرية ليست غاية، بل وسيلة. كما يتطلب الانخراط في أسئلة الواقع، وفهم التحولات الاجتماعية التي تصنع وعي المبدع الجديد. آن الأوان لكي ينزل الناقد من برجه العاجي، ويخوض في تفاصيل النص، ليسائل لغته، ويكشف مفارقاته، وينصت لصوته المختلف. آن الأوان لنقدٍ يكتب بلغة واضحة، لغة، لا تُخفي غموضها خلف مصطلحات مستعارة، نقدٍ يشتبك مع الإبداع لا مع النظرية، مع النص، لا مع المصطلح، ويكون شاهدًا على حراك ثقافي لا يتوقف عن التجدد.

المتحدث الرسمي لوجدان الناس:

المطرب الشعبي الشجاع.. ذاكرة العاطفة وصوت الشارع.

أمل الحسين*

في عالم الطـــرب ، هناك صوت يصدح خارج الضوابط الرســـمية والمجتمعية ، صوت شـــعبي جريء، حي، يتنفس من قلب الشـــارع ويعيد تشـــكيل الحب والمعاناة في صور نابضة ومباشـــرة ، هذا الصوت هو صوت الفنان الشعبي ، البطل الشجاع في الساحة الفنية ، الذي يحكي قصص الناس بلغتهم اليومية، يـــروي هموم الناس العاطفيـــة ، ويعبر عن مشـــاعرهم ، ويوثق يومياتهم ببساطة ألفاظهم الدارجة، بخلاف بعض التعابير الرومانسية الثقيلة التي تهيمن على الأغنية الموسيقية، فاستخدام المفردات الدارجة الشعبية تخلق إحساساً بالقرب والتشابه ، فبعض الأغاني الشعبية عندما تسمعها تشعر كأنها حكاية تروى بسرية في مجلس أصدقاء .

الأغنية الشـــعبية لا تعتمد على مقامات معقدة أو إنتاج ضخم، بل ببســـاطة العود والإيقاعات والكمنجة، لكنها تملك قدرة استثنائية في توثيق جغرافية المكان وديموغرافيته، كثير من شوارع وأحياء المناطق والمدن في المملكة العربية السعودية وثقتها الأغنية الشعبية.

في علم النفس ، تمثل الأغنية الشعبية أداة التطهير النفسيCatharsis وهو المفهوم الذي قدمه أرســـطو لوصف التفريـــغ العاطفي الـــذي يحدث عند التعرض للفن ، الكلمات الجريئة التي تتحدث عن الحب الصريح أو اللقاءات العفوية تحـــرر المســـتمع من قيود المجتمع ، فتتيح له التعبير عن رغباته المكبوتة بطريقة غير مباشرة ، عندما يغني الفنان الشعبي عن لقاء عابر في شارع الخزان أو منفوحة ، يجد المستمع متنفساً لمشاعر وأحداث لا يجرؤ على قولها ، ويجد المســـتمع تصالحاً مع جزء من نفسه يخجل من الاعتراف به ، فيتحرر من الإحساس بالذنب ويشعر أن تجربته ليست غريبة أو غير مألوفة بل إنسانية .

ولأن الأغنية الشـــعبية ابنة الشـــارع والســـوق والحارة، كانت هذه الأماكن جزءا أساسيا من قصص الأغاني:

«يا ليت سوق الذهب يفرش حرير
من شان فيه الحبيبة شفتها
شفت أنا سارة وأنا بالسوق أسير
هي كلمتني وأنا كلمتها».

من هنا ومن غيرها من الأغاني تستطيع أن تعرف أن الســـوق لم يكن موقعاً للتســـوق فقط، بل فضـــاءً اجتماعياً وعاطفياً حياً، وحتـــى التوقيت، حيث يتكرر الإشارة لفترة العصر في معظم الأغاني التي تتناول السوق، مما يوحي إلى أن هذه الفترة كانت ذروة الزحام والحيوية في الأسواق، فمثلاً لو كتبت أغاني عن الأسواق في الوقت الحالي ستميل للفترة المسائية التي باتت أكثر نشاطاً في التسوق والتنزه.

واللافت أن الأغنية الشعبية لا تكتفي بذكر (سوق) مجهول، بل تحدد المكان بدقة، وهذه أحد صور الشجاعة، وكنت أتمنى لو وجد رصد ولو على مستوى المبـــادرات الفرديـــة عـــن تأثير هذه الأغاني على حركة الأســـواق، وهل زاد الإقبال عليهـــا أم لا؟ هل حدثت ردود فعل اجتماعية، كمنع النساء من ارتياد أماكن وردت في أغاني وصفت بأنها (جريئة)؟

هذه الأسئلة قد تفتح باباً لفهم تأثير الأغنية الشعبية من حيث لا ندري أحياناً على الفضاء العام، وعلى حركة الناس ومواقفهم من أماكن ترتبط بالحب والخوف.

وشجاعة الفنان الشعبي حينما دافع

عــن آلة العود، الآلة التي حوربت من أطيــاف مختلفة من المجتمع، حينما قال سلامة العبدالله:

«أنا البارحة سهران والعود سهراني
على شانكم يا ساكنين العزيزية».

دلالة ان الســهر كان برفقة الاغاني والشــجن، وهنا تكشف الاغنية رفقة العود وصداقاته وكأنه كائن حي يجلس معك ليخفف عنك الحزن والضيق، وهذا جانب من رهافة الفنان الشعبي علاوة على شجاعته الذي تغني كثيراً بالعود ورفقته وفضله في حياته.

وقد قال الفنان بدر الليمون عن العود:

«ما هو غلا يوم اعزف العود للفن
ولا أبغي البشر عني يقولون فنان
لولا الولي ثم آلة العود لا انجن
ألجأ لها لا صابني هم واحزان
حبه بجوفي يا مخاليق يسكن
أسهر أنا وياه للصبح طربان
أنيس ليلي وكل الاوتار يحكن
يحكي معي واحكي معه كل الالحان».

يشير علم النفس الاجتماعي، أن هذا التعلق الرمزي بالأدوات الفنية يسمى بـالارتباط العاطفي الممتد (Extended Emotional Bond ing)، حيث يلتحم جزء من الفنان مع العود، فيجد فيه ملاذاً يُخفف وحدتــه ، والأغنية الشــعبية بإبرازهــا لهــذا التعلــق، تخفف عن المستمع ضغط المجتمع الذي كان ينظر إلى العازف وآلتــه نظرة ازدراء، بل يراها (محرمة) وهنا عارض الفنان الشعبي هذا الرفض القاسي بنعومة وهدوء حينما جعل العود شريكاً في الوجدان بدلاً من جعله رمزاً للمجون ، وملاذاً وراحة نفسية وليس أداة للهو فقط ، وحوّل الأغنية إلى مساحة حرة لا ترى في العزف عيباً وإنما شفاء للروح .

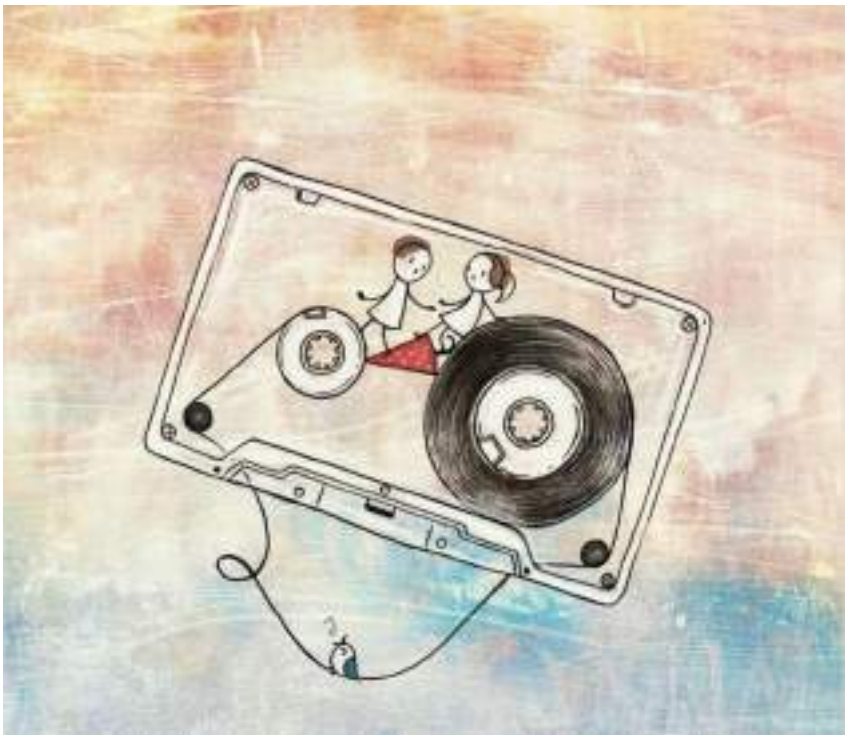

توثيق التحولات الاجتماعية

يقول سلامة العبدالله:

«ابكوا معي ياهل القلوب المودة
وابكوا تراني مانفعني بكايه
لي عن حبيب الروح ياناس مدة
معاد شفته يوم لبس العباية».

هنا لحظة توثيق تغير اجتماعي عميق ، حيث تتحول الفتاة من طفلة تلعب في الشارع إلى امرأة تُمنع من الخروج من المنزل ، وهي تجربة عايشها أغلب المجتمع السعودي ، هذه ليست مجرد قصة حب ، بل تحول اجتماعي وثقافي يسجلها الفنان الشعبي بدقة وشجاعة ، والعباءة هنا ليســت لباســاً بل رمزاً لحاجز اجتماعي وغياب وفقد وما يعتري المحب من هذا التغير الاجتماعي ، وهنا يحصل ما يسمى (الإسقاط العاطفي) حيث يسقط الفرد مشــاعره وتجربتــه علــى النص والأغنية ، وبما أنها تجربة وقع فيها الكثير ، فهنا يشعر المستمع أن الأغنية تمثلــه وتخفف عنه وطأة التحولات التي فرضــت الغيــاب والمنع عندما يعرف أن هناك من يعيش نفس تجربته وجرحه العاطفي ، هناك من يتحدث بصوت عالي عن المسكوت عنه .

لم تكن هذه الأغاني كسر للمحظور، بل كانت وسيلة لقول ما لا يقال في الفضاء العام الفني والإعلامي، لذا لم يكن يرى الجمهور في هذا القول الذي جاء على شكل أغنية جرأة وتعدي، بل رآه وصف حقيقي للوضع، ويحق للأغنية والقصيــدة قول مــا لا يحق لغيرهم قوله!! فالفنان الشــعبي قال ما في نفس المستمع، لا ما يفترض به أن

- كثير من شوارع المملكة وثقتها الأغنية الشعبية.
- السوق لم يكن موقعاً للتسوق فقط، بل فضاءً اجتماعياً وعاطفياً
- الفنان الشعبي سجل التحولات الاجتماعي والثقافية بدقة وشجاعة
- الأغاني الشعبية كسرت المحظور وكانت وسيلة لقول ما لا يقال في الفضاء العام
- الأغنية الشعبية تملك حساً سينمائيا عاليا

يقوله لمجاراة الوضع العام.
استطاعت الأغنية الشعبية أن تمرر صور اللقاء والجلوس والأحاديث بين المحبين من خلال كلمات ظريفة تحمل طابع الفكاهة والمرح، فتخلق جواً عفوياً من القرب والراحة:
"ألا ياسيد كل الناس
جمالك جاب لي الوسواس«،
إلى أن قال:
«تفضل وأشرب الشاهي .. بيالة شاهي ع الماشي
ولا تسمع من الواشي .. دخيلك يا كحيل العين».
وقال سلامة العبدالله:
«ودي بفنجال شاهي
بالكاس أو زهرة وردي
واللي يصبه شفاهي
بيني وبينه مودة »
هنا مزج وتداخل إنساني فني عجيب، بساطة وعفوية الحياة، لقاء بسيط، فنجال شاهي، كلمة عابرة، ومشاعر كبيرة تُقال دون أن تزخرف، حضور الشاهي يُظهر الحب كأنه جزء من الحياة اليومية، لا شيء مستهجن أو غريب.
واليوم وبعد مرور عشرات السنين تستخدم هذه الأغاني كخلفيات صوتية لتصوير لقطات على أكواب الشاي والقهوة في أفخر الأماكن، وهنا ترى عجائب الظروف والتحولات، عندما تحضر الأغنية الشعبية كعامل رئيسي لإكمال الصورة الشبابية الحديثة.
وقال حجاب بن نحيت:
«موترن قفى بـه المحبوب من تحت العمارة
موتري عيا يجيبه يا خسارة يا خسارة
واعسى الجندي يصيده يوقفه عند الإشارة
وألحقه لو ضاع عمري وأوقف الموتر جواره»
الأغنية الشعبية تملك حساً سينمائيا
الأغنية كأنها مشهد سينمائي متكامل؛ مونولوج داخلي، حركة، توتر، انتظار، خيال درامي، عندما تسمعها تستطيع أن تراها في خيالك من دقة التفاصيل، وهذا يشير إلى أن الأغنية الشعبية ليست عشوائية،
بل واقعيتها جعلتها تملك حساً سينمائيا عاليا، حيث تجد فيها الألوان، وحركة الشخصيات، وضيق المكان واتساعه، وكأن كاتب الأغنية مخرج لعمل درامي عاطفي.
وهذه الأغاني قدمت الحب في قالب فكاهي مما يخلق ضحك مشترك يسمى (الارتباط العاطفي) يخفف التوتر والقلق، ويجعل أوجاع الحب محتملة حتى في لحظات الحزن والفراق.
الفنان الشعبي صنع أرشيفاً للعاطفة السعودية من خلال الحارات والأسواق وأنواع السيارات وأحمر الشفاه وعباءة النساء وغيرها، لم تعد هذه المفردات مجرد كلمات، بل أيقونات عاطفية، تسترجع الذاكرة مشاعر مختزنة لا تذكر الأحداث فقط، بل إحساسها، لذا أضحت الأغنية عبارة عن آلة زمن تثير الحنين وتداعب القلوب، ومنحت المستمع حين صدورها أن حياته ذات معنى وتستحق أن تروى، واليوم يشعرون أنه تم تخليدهم من خلال هذه الأغاني:
«أمس الخميس من صباح الله خير
زوجة رجل تاجر مع زوجة فقير
تهاوشن وصار شي ما يصير
يا الله دخيلك من مشاكل هالحريم».

الأغنية القصصية

الأغنية القصصية الظريفة هي أحد مميزات الأغنية الشعبية التي لم تركن للعاطفة فقط، لذا اعتبرها هي الاغنية الواقعية، من شدة إعجابي بهذه الأغنية حولتها لنص مسرحي، فهي جاهزة للمشاهدة، متغذية بكامل الحركات والحوارات والتحولات، وهناك عدد جيد من الأغاني الشعبية القصصية المليئة بالظرف والفكاهة وتعالج بعض الظواهر الاجتماعية.
وأيضاً لم تكتف الأغنية بالفكاهة، بل توجهت لأمور الحياة المختلفة والمهمة مثل التعامل مع إشارات المرور، والتعليم كما جاء في اغنية طاهر الاحسائي.
«يا طالب العلم راعي العلم له شان
احرص تّعلم ترا للعلم ميدان».
علاوة على شجاعة الاغنية الشعبية، أيضاً نزلت للشارع والتقطت قصصهم وحياتهم العامة، فالطرب هو الحياة بكل تنوعاته، وليس فقط الحب والقلب، وهنا مكمن أحد صور الشجاعة والبطولة أن الفنان الشعبي لم يخش على صورته ومكانته، بل تخطى المعتاد في الأغاني وذهب لجهة نقل القصص ونسجها مع ملاحظة استخدام نفس الالحان والايقاعات، فالأغنية الشعبية السعودية ليست مجرد صوت من الماضي، بل وثيقة إنسانية وثقافية واجتماعية، من يظن أنها أغنية بسيطة عن شاهي وشارع وسوق فإنه يغفل عمق الحياة نفسها.
كنت أتمنى وجود هواه ومحبين يقرؤون الأغاني ويحللونها، فلو حدث، لامتلأت الساحة الفنية بالحكايات التي نُسجت من الحياة ذاتها.

*الرياض.

* الفنان الشعبي صنع أرشيفاً للعاطفة السعودية

* الحارات والأسواق وأنواع السيارات وأحمر الشفاه وعباءة النساء ليست مجرد كلمات، بل أيقونات عاطفية

* من شدة إعجابي بهذه الأغنية الشعبية حولتها لنص مسرحي، وهي جاهزة للمشاهدة

* من يظن أنها أغنية بسيطة عن مشروب أو شارع أو سوق فإنه يغفل عن عمق الحياة نفسها.

القراءة في الصغر كالرقص مع المطر!.

لوالدي، رحمه الله رحمة واسعة، فضل في أن أعرف القراءة والكتابة قبل أن أدخل المدرسة، وحيث لم يكن يوجد حين طفولتي روضة فقد أدخلني روضة أبوة حانية، علمني فيها بصبر وحرص الأحرف ثم كتابة وقراءة كلمات صغيرة ثم حفظ آيات قصيرة.

محمد صلاح الحربي

وحين دخلت الصف الأول الابتدائي كنت متلهفا لقراءة أي شيء مكتوب، ووقعت بيد مدرس تفاجأ من أني أخفف عليه مهمة تحفيظي للحروف وأستطيع كتابة وقراءة بسيطة، فأكمل المهمة من حيث انتهيت، بتشجيع إطرائي كان له مفعوله طوال المرحلة الابتدائية.

من هناك بدأ عشقي للقراءة صغيرا، وبدأت في المرحلة المتوسطة في أن يكون لي مكتبتي الصغيرة بكتب ومجلات تناسب اهتمامي وتخرج بي من إطار ومدار الكتب المدرسية، وعلى مدار العمر وتطور مراحله كوّنت مكتبة خاصة متنوعة.

عرفت في صغري القول الشهير (العلم في الصغر كالنقش على الحجر) لكني في كبري عرفت شيئا آخر بجانب العلم هو المعرفة، والمعرفة تتطلب الوعي والإدراك الذي لا يتطلبه العلم التلقيني التحفيظي، ولا يمنح على المعرفة شهادات دراسية لأنها أرحب من العلم الذي تقدمه المدرسة والجامعة، وأفكر بأن المعرفة هي ما تمنحه القراءة الحرة خارج المقررات المدرسية.

إن كان العلم في الصغر كالنقش على الحجر فإن القراءة في الصغر هي ما تجعل لذلك النقش معنى وليس مجرد نقش على حجر مهمل، وذلك لأن المعرفة تتطلب تأسيس وعي وإدراك لمعنى الشيء وترقى بمفهومه وتجدده، بعكس العلم الذي قد يجعله ثابتا كنقش على حجر غير متحرك.

وفي الغالب فإن المعرفة لا توجدها إلا قراءة حرة فاعلة تبدأ رحلتها الذهنية منذ سنين العمر الأولى، إذن القراءة في الصغر كفعل المطر

القراءة الحرة الفاعلة فكريا توجد بواسطة بذرة فكرية مستقلة عن البذور المتراصة، وهي حين تبذر في سنين العمر الاستقلالية الأولى تُنبت شجرة شغف تتطلب المزيد من السقاية، تلك هي سقاية شجرة الشغف المعرفي بالكتب حين كانت لوحدها هي الوعاء والماء..

والكتب كالبشر فكرياً، هناك العميق والسطحي والمفكر والناقل والمتجدد والجامد والإبداعي والتقليدي والمتفرد والمكرر والعلمي والتجهيلي.

والقارئ الجيد، وبمفهوم القراءة الفكرية الحرة، سيوجد كتاب يكبر عنه وكتاب يكبر معه وكتاب يهمله وكتاب يعود إليه وكتاب يصحبه..

وأكاد أجزم أن من لم يعشق قراءة الكتب صغيرا لن يكون قارئاً جيدا لها حين يكبر، إلا في حالات نادرة، ومن هنا أعتقد أن عشاق القراءة التقليدية في تناقص مستمر، لأن الأطفال في عصرنا لا يمنحون فرصة عشق للقراءة مهما كثرت محفزات القراءة، حيث يختطفون عنها من الأكثر تأثيرا وإغراءً.

أوهى أوهام المثقفين.

إبراهيم مضواح الألمعي

يشهدُ التاريخ والواقع بأن الحياة ليست في كل الأحوال عادلة؛ فليس لكل مجتهدٍ نصيب دائمًا؛ فكم من موهبة وئدت، وكم من عظيمٍ ثَقُل بعلمه وإبداعه فلم يحتمله المشهد فاختفى في الأعماق، وكم من خفيف الرأس والفكر، محدود الموهبة طَفَا على السطح، وملأ الدنيا ضجيجًا، وحياةُ العلماء والأدباء والفنانين مليئة بالشواهد على ذلك أيضًا. ولا شكَّ أن شيئًا من النجاح والشهرة مَرَدُّهُ إلى الحظ والنصيب، ولكن ما يستطيعه المبدع وما ينبغي له هو الاستمرار في المحاولة، وبذل الجهد، على ما في ذلك من مشقة؛ فهو أولى من إن يسلك طريق الشكوى، وادعاء المظلومية، واصطناع النضالية، وإلقاء اللوم على الآخرين.

أجل قد ينتاب الكاتب والمثقف شعورٌ بالإحباط وعدم الجدوى، ولكنها لحظات عابرة؛ عليه أن يتجاوزها؛ بالتوقف والصمت، أو بالاستمرار والانشغال بتجويد عمله، وتطوير أدواته، والسير في السُّبُل الممكنة لتقديم نفسِهِ من خلال الإبداع، فيكونُ في منافسةٍ دائمة مع نفسه، لا مع الآخرين، ثم لينتهِ به الأمر حيثُ شاء الله، ولا يُلامُ المرء بعد اجتهاده.

ولكنَّ بعضَنا يَشغَلُ نفسَهُ والآخرين بالشكوى ممن يصفهم بالمتآمرين والحاقدين؛ ويَدَّعِي المظلومية؛ فيصطنع الخصوم، ويدَّعي النضال الثقافي، ويشكو الخذلان؛ ومرجع ذلك إما إلى وهم الاستحقاق؛ فهو يظنُّ أنه أكبر شأنًا مما هو في الحقيقة، وقد يكون عارفًا بحقيقة موقعه من الموهبة والإنجاز، ولكنه يحتال بهذا الادعاء والشكوى إلى إيهام المتلقي بأنه اجتاز عوائق وصعوبات، وربما مؤامرات؛ فإن صادف شيئًا من النجاح - وقلَّما يفعلُ الناجحون ذلك - فستكون قيمة نجاحه أكبر، وإن فشل فسيُلقي باللائمة على الظروف والآخرين، والمتآمرين، ويَتَخَفَّفُ - في ظنِّهِ - من مسؤولية الفشل.

لقد ضجَّت المقالاتُ، والقصصُ، والسِّيَرُ الذاتية، ووسائلُ التواصل، بأصوات الشكائين والنضاليين؛ الذين يختلقون من أوهامهم الأقاصيص، ويحملون سيف الادعاء ليصارعوا به طواحين الهواء، على طريقة (دون كيشوت)، ثم يروون البطولات وعلى المتلقين أن يقفوا على أطراف أصابعهم متطلعينَ لما تنفرج عنه شفاهُهم، أو ما تخطُّه أقلامُهم؛ أو فسيكونون جزءًا من معركتهم المزعومة، ولَعَلَّ سقفُ التوقعات المرتفع أحدَ أسبابِ هذا الشعور المخاتل؛ دون إدراكٍ للوهم الذي أودى بهم في حبائلِ الحيلِ النفسية؛ من الشعور بالخذلان، والجحود، والإهمال، حتى وجدنا من يجاوز الشكوى إلى الانتقام بإحراق مؤلفاته، أو الادعاء بأنه أحرقها.

المثقفون راسبون.

أحمد اللهيب

قبلَ ذلكَ كتبتُ مقالة عنونتها: (فليغضب المثقفون)، وكنتُ وجدتُ في نفسي شيئًا على نفسي، ولكن آثرتُ الصمتَ حتى حين، وبعد ذلك الحين، وجدتُ أنّ نفسي على حقّ، ذلك أنها صدقت معي، وأثبتت الأيامُ صدقَها، والذي عليه القول في هذه المقالة: إنّ المثقفين راسبون، ولم ينجح إلا قليلٌ منهم، وهم إلى الزوال أقرب، ولقد قرّ في نفسي أنّ الأيام تؤكد هذا وأنّ الفعل الثقافي لم يجرِ أي تعديل على واقع المثقفين وأفكارهم وتعاملهم وارتقائهم في فهم الثقافة والأدب وما يدور بين راحها، وأنّ الثقافة إنما أصابت كثيرا منهم بالغرور وارتكبت في حق المجتمع حماقة أن نصّبتْ بعضهم مثقفًا؛ لأنه قرأ كتابا أو كتابين أو نال شهادة أو شهادتين، فما زال بعضهم في برجه العاجيّ متفردًا في صومعته غارقًا في كآبته ووهمه.

وحسبُك إنْ شئت من قبيل التمثيل هذا الادعاء الذي تقرؤه في منصات التواصل الاجتماعي لتدرك أنّ هذه الكتب التي قُرِئتْ لم تكن إلا مجرد أوراق طُويت وصفحات نُسيت، وأنّ الحدث الثقافي إنّما هو وهمٌ لبلوغ غاية أو نيل مكانة أو تحقيق منالٍ، وأن هذه العقول التي تقرأ تنسى أنها قرأت –إن أحسنت بها الظن - ولا تدرك ما تقرأ - إن أردت أن تسيء الظن -، وما كان هذا التشرذم الثقافي حول روايات إلا دليل جهل مركب، فهي روايات أقل ما فيها أنّه تدل على اهتراء التعليم وتهاوي أركانه، وتدنّي حصيلة الطلاب، وخواء المقررات الدراسية، وضعف المعرفة فيها، ونفوق أهل الأدب من أروقتها، وما كانت هذه الشللية التي تتكاثر أشكالها إلا قصور عقل ومركب نقص، وحسبك من فئام تجتمع بين الفينة والأخرى على مآدب الكلام المكرر والقول المعاد، يتداعون في كل نادٍ، ويتنادون في كل واد، وهم أنفسهم يتكررون، وكأنهم في دائرة ولائم كل حين تدور على أحدهم، يتعازمون بين الفترة والأخرى ادعاء للكرم وتلبسًا للثقافة، ثم يأتي منهم من يتكلم في كل ملتقى ويتحدث بعد كل جلسة وتأخذه شهوة الحديث إلى أن يكرر ما يقول وينسى ما قال، وإذا قُدّم عليه غيره، شالت نعامته وغضب فلا بدّ أن يكون الأول في كل مداخلة، ولا بدّ أن يكون مقدار مداخلته أكثر من المتحدثين الرسميين في كل جلسة، والأعجب من ذلك من تراه يقدم بحثا أو ورقة في كل ملتقى، وفي أبواب متنوعة ومعارف مختلفة ومحاور متباينة!

وحسبك مرة أخرى ما يبصره العارف من أحوالهم فمنهم من يستجدي الدعوات في كل مناسبة ثقافيّةٍ حتى لو لم يكن له فيها لا ناقة ولا جمل، ومنهم من اعتزل القوم لأنه لم يشعر بوهم التقدير الذي يطلبه، ومنهم من ارتخت حباله وتقطعت أوصاله كسلا وعجزا فإن دُعيَ لا يحضر وإنْ حضر تذمّرَ وإن لم يدعَ تسخّط، وإن تكلم أطال وأساء، وإن منعه مانع تافه كزواج بنت جيران خالته، أو مباراة كرة قدم لأندية لا تُعرف أسماؤها، أو اجتماع صحبة تتردد بين أحاديثهم رواية البؤساء، قدّمه على همه الثقافي الذي يرفع فيه عقيرته، فلا تعجب بعد ذلك إذا رسب المثقفون!

أما الحال الأخرى المتردية لدى بعض المثقفين فتتشكل في فئام أخرى، وهو ما يمكن وصفه بالوهم الثقافي الذي امتلأت به المقاهي، فإنه ما يفتأ إلّا ويتوهم فئة يتجمعون تحت اسم هو أكبر منهم فيقيمون ناديًا أو منتدىً، يحسبهم النّاظر والسامع أنهم أصابوا الوعي في ناديهم، ولكنهم كالوجبات السريعة سرعان ما تنتهي فلا تسمن ولا تغني من جوع، إن قرأت لهم أصابك الملل، وإن استمعت إليهم أعجزك الفهم، وإن حضرت معهم أُصبت بالإعياء، من قرأ منهم كتابا بلغ به من العلم مبلغ الجهلاء، يحسبون تجمعهم إنما هو غاية الثقافة ومبلغ المعرفة ونهاية الأدب، ويظنون أنهم يبصرون وهم لا يبصرون، ويعتقدون أنهم يتألقون وهم مظلمون، وتجد لكلّ فئة مجتمعهم فلا يحضرون لقاء فئة أخرى، وكأنهم يتنافسون على سراب، ويحسبون أنّ إقصاء المجموعة الأخرى نصرٌ لهم. وإذا دعوا لم يحضروا لغير أصحابهم ولم يذهبوا لغير لقاءاتهم، وإنّ المطلع لهم لا يسمع إلا جعجعة ولا يرى طِحْنا. وتراهم قد تسنّموا في ذلك سنام الشريك الأدبي وهو منهم براء بل في حالة يرثى لها، فلا يعرفون أسماء مَن يدعون ولا تاريخهم ولا كتاباتهم ولا كتبهم، فإن حاوروا فأسئلتهم سطحية، وإن تداخلوا فمداخلاتهم ضعيفة، وإن جلسوا اتخذوا من جوالاتهم هروبا من حديث ضيفهم، والتقاطًا لصور وهمهم الثقافي، أما المتحدث في هذه المقاهي فهو إما أن يدعوا أهله وذويه وأصحابه تكثيرا للسواد وشعورا بالأهميّة، وإما أن يكون وحيدا في لقائه ولا تجد حوله إلا مَن دعاه مِن أصحاب المقهى.

أما ما يُقرأ بين الفينة والأخرى من كتاباتهم، فإن القارئ لا بدّ أن يلقي رحاله في أرض لا ماء فيها ولا كلأ، فلا تدري هل هذه الأساليب والكتابات والمقالات والمؤلفات هي حصيلة كل هذا العمر من القراءة والكتابة والتأليف! ذلك أني وجدتُ ضعْفًا في الأسلوب وتهافتًا في العبارة وركاكةً في الصياغة في مؤلفات أحسبها لمن وصف نفسه مثقفا وهو من الراسبين.

ولا يعزب عن وعي قارئي هنا، أنّ هذا غيض من فيض، وأنّ واقع الثقافة مؤلم، وأن المثقفين يتوهمون أوهامًا لا علاج لها، وأنّ حقيقة الأمر أن يتولى أمرهم مَنْ يأخذ الأمور على عاتقه لصناعة أجواء صحية بالثقافة تليق بتاريخها الذي أفسده بعض من ادّعى الدخول فيها.

القصيدة غير المنطقية: من تفكيك المعنى إلى بناء الأثر.

إن كل منظومة معرفية حين تُستنزف لغتها تظهر على حدودها ارتجاجات وتنبثق أنساق فرعية تحاول أن تعيد ترتيب العلاقة بين الذات والمعنى اللغوي. وهكذا يمكن النظر إلى [القصيدة غير المنطقية] بوصفها طفرة لغوية وفكرية، لا تستهدف العبث، بل تفكك منطق السيطرة السردية والعقلانية المتراكمة على النص الشعري منذ قرون.

مريم المساوي

ليست القصيدة غير المنطقية نفيًا للقصيدة ولا انفلاتًا محضًا من قوانين اللغة، بل هي إعادة اكتشـاف للقصيدة بوصفها تجربة وجودية شـاملة، تتجاوز المفهوم الأداتـي للكلمات وتعيد الاعتبار لما يسمى بـ (المعنى الغائم) أو (المعنى المشع)، كما سماه الفيلسوف الفرنسي غاسـتون باشلار في فلسفة الخيال والشعر، وهو تفكيك العلاقة بين اللغة والواقع وتركيزه على أن الشعر ليس أداة لنقل المعنى , بل هو طاقة مشعة تخلق واقعا خاصا بها , ومصطلح (المعنى المشع) هو وصف من المعنى لا يفهم بطريقة خطية أو تفسـيرية, بل يتولد من الصورة الشعرية ودواخلها , الخيال الشعري قال فيه باشلار الخيال الشعري لا يعمل بالعقل، بـل بالحدس والتأمل ,والقصيدة لا تفكر بل تُحلم والمعنى فيها لا يتراكم بل يتوهج , إذن ,القصيدة غير المنطقية في ضوء باشلار هي قصيدة لا تُبنـى على منطق بل على تجربة داخليـة خالصة , وبذلك هي ليسـت فوضى لغوية بل مخاض حدسي، تجسِد فيه الكلمات ما لا يقال، وتعكس صدىً داخليًا للأشـياء لا صورها المباشرة .

في تعريف القصيدة غير المنطقية يصعب تحديـد مفهوم نهائي للقصيدة لأن بنيتها تقوم على كسر كل تصور نهائي لكن يمكن الإشـارة إلى أنها نص شـعري لا يسعى إلى التفسير، بل إلى الاستثارة، لا يطمح إلى المعنى الثابت، بـل إلى الاهتزاز العميـق ولا يعتمد الحبكة ولا السرد، بل يقيم مجازه داخل الارتباك والتناقض ولا تتحدى المعنى، بل تشكك في أدوات إنتاجه، ثم نسأل: لماذا ينبغي أن تُفهم القصيدة؟ ومن يحدد إن الفهم شرط للتماس مع الجمال؟ يعتمد الجذر الفلسفي للقصيدة الغير منطقية في صميم هذا النوع من الكتابة الشعرية، إذ تتقاطع مرجعيات متعددة من الفكر ما بعد البنيوي إلى الرؤى الصوفية، ومن السيريالية إلى اللاشـعور الفرويدي و كلها تشـترك في الإيمان بأن اللغة لا تقول دائمًا ما نقوله، وأن خلف كل عبارة، طبقات لا يطالها العقل بل الحدس , و لقد أشـار الفيلسـوف الفرنسي جاك دريدا إلى أن كل نص يحتوي داخله على ما ينقضه، وأن اللغة ذاتها عاجزة عن أن تقول "الحقيقة" كاملة وهذا بالضبط ما تنطلق منه القصيدة غير المنطقية: أن لا حقيقـة نهائية يمكن للقصيدة أن تمثلها، بل هناك حفر لا ينتهي في إمكانية المعنى. ملامح القصيدة الغير منطقية ترسم سمات

الشكل الشعري لها من خلال تفكيك التسلسل المنطقي , كأن تأتي النتيجة قبل السبب، أو تستعمل أدوات الوصل للفصل، والعكس, و الزمن المفكك لا قبل ولا بعد بل انسياب حلمي يتجاوز الخط الزمني, ولعل التصوير الغريب أو اللا مألوف الذي استخدم في النسيج الشعري العربي هو قول انسي الحاج : "يدك خفاش يرتجف في شعري" هنا صور الشاعر أن لا يد ولا خفاش، بل توتر داخلي يتخذ شكلاً مادياً بلا مرجع واضح وأن كثافة المجاز المبهم كما قال أدونيس : "أنا الحجر الذي ينسى نفسه في الموج" لا يراد هنا المعنى المباشر بل الإشراق و التوتر بين الثبات والتحول.

ومن القراءة إلى التذوق تعمل القصيدة الغير منطقية من حيث التأثير على القارئ بأن لا تطلب من القارئ أن يكون ناقداً بل أن يكون جسداً مفتوحًا على التجربة لا تطلب تفسيرًا بل استقبالًا و لا تُقرأ من أعلى إلى أسفل بل تُغمس فيها كما يُغمس الحالم في حلمه , أي إنها تعيدنا إلى لحظة ما قبل التفسير لحظة التلقي الخام، حيث المشاعر لا تخضع لتمارين الفهم بل تلمس كما يلمس الحنين أو الذكرى , و في زمن تُنتج فيه القصائد تحت ضغط الفهم الفوري والدفاع عن اللاوضوح تصبح القصيدة الغير منطقية ضرورة , حيث إنها ليست ترفًا بل ملاذًا لغويًا لروح تتألم المخاض الشعوري من فرط المعنى , فيها يعود الشعر إلى وظيفته الأولى أن يقول ما لا يقال وأن يشير إلى ما لا يُرى أن يُحدث فينا ارتجاجًا لا تفسيرًا .

تزامنت القصيدة غير المنطقية مع تقاطعات رمزية في الصوفية، في الشعر الصوفي كما عند ابن عربي أو النفري نجد بنى لغوية تفلت من القبض العقلاني وتعتمد على الإدهاش والرؤيا، حيث قال النفري: "وقفتُ بباب لا يُفتح إلا لمن لا يريد الدخول "مثل هذه العبارة وإن جاءت من سياق ديني تتقاطع عميقًا مع بنية القصيدة غير المنطقية، إذ تُلغى العلاقة السببية ويستبدل الخطاب بإشارات غامضة تتطلب حدسًا لا شرحًا، وقال أيضا: "أوقفني في مقام النسيان، وقال لي: تذكر" هنا تفكّك تام للمنطق، كيف يُمكن التذكر في مقام النسيان؟ هذه العبارة لا تحتمل تأويلًا عقلانيًا مباشرًا لكنها تنتج طاقة رمزية هائلة تحاكي المفارقة الصوفية التي تنطلق من التناقض لا التفسير.

ومهما تنوعت محاور الشعر، فالقصيدة غير المنطقية ليست نقيضًا للقصيدة، بل هي قصيدة وصلت إلى حدها الأعلى من الإدراك، فخرجت منه، وحده الشعر حين يتجاوز منطقه يستطيع أن يلمس فينا ذلك الجزء الصامت الذي لم يقتنع يومًا بأن اللغة صادقة تمامًا، لهذا لا تُفهم القصيدة غير المنطقية بل تُقشعرّ لها رمزية اللغة , إن القصيدة غير المنطقية ليست خروجًا عن اللغة، بل استنطاقٌ لأقصى حدود اشتغالها ,هي لا تكتفي بكسر أدوات الخطاب التقليدي بل تعيد مساءلة الوظيفة التاريخية للشعر ذاته، من كونه رسالة جمالية قابلة للفهم إلى كونه فضاءً تعبيرياً ينتمي إلى الهامش، والرؤيا، واللايقين , ولعل أهم ما تمنحه هذه القصيدة للممارسة الشعرية هو استعادة الشعر بوصفه انفعالًا معرفيًا مفتوحًا لا يتحقق عبر التراكم الدلالي فقط، بل عبر الانقطاع، والإدهاش، إنّ اللا منطق الشعري هنا ليس حالة فوضوية بل خيار إبداعي ناضج، يشتغل على زحزحة مركزية المعنى، وفتح أفق التلقي على الاحتمال لا الحسم، ومن هنا فإن القصيدة غير المنطقية، كما تتجلى في نماذج متعددة عالميًا وعربيًا تمثل لحظة وعي مضاد، تحرر القصيدة من الوظيفة التقريرية وتعيدها إلى دورها الأكثر صدقًا: أن تكون (صوتًا) لا يُنتظر منه أن يُشرح بل أن يرفع لغة الشعر من مكانها المعتاد.

تقرير عن موت رجل مجهول.

زياد العطية

- هذا النص مقتبس – مع شيء من التصرف - من تقرير إداري أُحيل لنظر المجلس البلدي في بلدة نائية، وكان قد قرر حفظه آنذاك.

"الرجل المجهول مات ... نحن بحاجة إلى عونك."
هكذا استهل سعادة مدير دار الرعاية الاجتماعية مكالمته الهاتفية معي. كان قد أخطرني من قبل بأنهم استقبلوا رجلاً شيخاً لا يعرفون له هوية ولا عنوانًا، وادخلوه الدار باسم الرجل المجهول. ويبدو أنهم فشلوا في الوصول إلى أي معلومات عنه، وهذا ما دعا سعادته إلى مهاتفتي، لعلني أساعدهم في العثور على شيء يقودهم إلى أهله.
لا أعلم ما الذي سيقدمه موظف في المجلس البلدي مثلي لحل مسألة كهذه، أو فك هذا اللغز العويص. فنحن لا نحتفظ بسجلات إلكترونية تمكّننا من الوصول إلى الهوية عبر البصمة أو نظام حاسوبي يحفظ أسماء السكان وسجلاتهم. نحن نعيش في عصر الملفات الورقية، ولا سبيل للوصول لهوية الأشخاص إلا عبر الإعلان في جريدة البلدة أو تعليق إعلانات في شوارعها.
ذهبت إلى الدار لا لأجد حلاً لهذا اللغز، بل لأُظهر للمدير أني موظف مجتهد ومتفان يستجيب من وقته لمشاغل أهل البلدة.
استقبلني المدير وتحدث عن كيفية وصول الرجل المجهول إليهم، إذ جاءت به دورية شرطة بعدما عثرت عليه هائمًا في الطرقات، وليس في جعبته إلا حقيبة صغيرة. وهذه الحقيبة، كما قال، لم تكن تحوي شيئًا سوى صور كثيرة.
تنهد المدير، ودفع كرسيه للخلف في حركة بهلوانية مع زفرة سخط، وقال:
– لا أستطيع أن أفيدك بشيء غير الذي قلته لك. إذا أردت المزيد، عليك بلقاء الممرضة ربيعة، فهي التي كانت تلازمه طيلة إقامته في الدار وحتى وفاته.
ثم رفع سماعة الهاتف وقال: "سأطلبها الآن!"
أما أنا فتجرعت ما تبقى من قهوتي المرة وأخذت استلذ ما علق بشفتي منها.
جاءت ربيعة. امرأة عَوان أو تكاد تكون، ودعت الشباب ولم تجتز عتبة الكهولة بعد، لطيفة القسمات، رزينة النظرات، محتشمة الزي، رصينة الإيماءات، كأنها امرأة آلية. وقفت أمامنا، فقال لها المدير:
– اذهبي معه إلى مكتبك، وأخبريه بكل ما لديك عن الرجل المجهول!
خرجنا كأننا سجينان من زنزانة مكتومة تدعى مكتب المدير. تبعتها حتى ولجنا مكتبها، فأجلستني على كرسي أمام منضدتها وسألتني:
– ماذا تريد أن تعرف؟
– كما تعلمين، جئت لأساعدكم في التعرف على الرجل المجهول، أو لعلنا نصل إلى أهله. وأريد منك، إذا تكرّمت، أن تخبريني بما لديك عنه.
– أتذكر أول يوم وصل فيه إلى هنا، كان منهكًا وحزينًا، يطوي يديه على صدره وبينهما حقيبة صغيرة. في البداية لم يكن يتكلم. كان يمتثل للأوامر بلا نقاش أو جدال. يأكل ويشرب دون مشاكل. وكنت، كلما تفقدته، أراه جالسًا متكئًا على ظهر السرير، رجلاه منفرجتان، وبينهما الحقيبة الصغيرة. كان يخرج منها بضع صور، يطالعها لوقت طويل، ثم يصفها أمامه كأنها رقعة شطرنج. وفي نهاية اليوم، عند تفقدي المسائي، أجده قد مزق تلك الصور وألقاها في سلة المهملات بجانب سريره. وحين رمقت تلك الصور كانت صور لأناس؛ رجال ونساء وأطفال. ولم أتجاسر أن اسأله عن ذلك.
– أعتذر عن المقاطعة... ألم تجرِ معه أي حديث؟
- بلى، مرات معدودات.
– ألم يقل لكِ شيئًا عن هويته أو أهله؟
– الحق أنه كان يتجنب أي حديث عن شؤونه الخاصة، وإذا سئل عن ذلك، كان يهز رأسه بحزن، ولقد كان تقديرنا الطبي أنه يعاني خرفًا أو شبه خرف.

– وما الذي كان يقوله لكِ؟
– كان رجلًا عجيبًا. أظنه كان مثقفًا، أو كاتبًا، أو على الأقل تلقّى تعليمًا معتبرًا. فحديثه كان يأتي على هيئة نصائح، أو عبارات يختلط فيها التلميح والتصريح.
– مثل ماذا؟
– على سبيل المثال، قال لي مرة محذرًا:
"إياكِ والمشاعر العقيمة! إنها تستنزف قوتك وتشوه روحك. فالحسد عقيم، والغل عقيم، والكبرياء عقيم، والخيلاء عقيم، والبخل عقيم، والاكتناز عقيم، والغضب عقيم، والغرور عقيم".
ثم صمت قليلًا، ونظر في عينيّ بحزن شديد، وتابع:
"وهناك مشاعر لا يُدرك عُقمها إلا بعد فوات الأوان، فبعض الحب، يا ابنتي، عقيم! "
وفي إحدى المرات، قال لي:
"الناس مخلوقات خطرة. كوني منهم كالغزال الوجل. لا تقتربي منهم كثيرًا! فالاقتراب منهم عقيم... ووخيم. هم أهل غنيمة ومنفعة، وسيظل هذا هو مناط حكمهم عليك. وأشدهم خطراً فئة تمالق وتماذق، يبترون يدك ويسخطون إن لم تصافحيهم. لا تسيئي فهمي! فأنا لا أعني كل الناس. هناك قلّة قليلة، والعثور عليهم صعب. لكن لو كنت محظوظة بما يكفي، لعلك تصادفين أحدهم... أولئك هم الذين يجعلون العيش محتملاً. إنهم أهل الرحمة، والاحسان والأدب، المثخنون جراحاً والثابتون عزماً أمام قوى الطبيعة الشريرة."
وآخر ما أذكره من أقواله:
"لا تستثمري في الناس. إنها تجارة بائرة. لا تظني أنهم سيردّون لكِ الجميل. افعلي الخير دون انتظار لأي رد أو عائد."
وهذا كل ما أستطيع تذكره.

– حسنًا... هل تريدين أن تقولي شيئًا آخر؟
أسندت ظهرها على الكرسي ثم ألقت بيديها على المنضدة بقوة وقالت:
– سؤالك هذا جنائي النبرة، ولا يصح من مسؤول بلدي، لكن أعلم ما تقصد... لقد اكتشفتُ أنه مزق كل الصور التي في الحقيبة، وبقيت صورة واحدة فقط، كان يضعها في جيبه العلوي، ومات وهي مدسوسة هناك بحذاء قلبه. كنا نراه من وقت لآخر يخرجها من جيبه، يتفرسها، ثم يعيدها إلى مكانها.
– ولمن تلك الصورة؟
– لم أستطع رؤيتها وخجلت أن اسأله. لعلك تسأل العاملين في ثلاجة الموتى، لم أكن في الدار... حين توفي.
نهضت وشكرت لها تعاونها. عند مصافحتي إياها، اختلج وجهها وتورمت عيناها، ثم نكست رأسها، ورشحت دمعةُ على يدي.
بمزاج متوعك توجهت إلى مكتب المدير. جَمَد حين رآني، فأخبرته بما قالته الممرضة ربيعة عن الصورة، وأنها قد تكون مفتاحًا لحل اللغز. ما إن أنهيت كلامي حتى انفجر ضاحكًا، وهو يلوّح بيديه في الهواء. وبعد أن انتهت نوبة ضحكه الماجنة، فتح دُرجه، وأخرج صورة، ودون أي اكتراث دفع بها على سطح المنضدة حتى استقرت أمامي.
خرجت من الدار والصورة بيدي. قلبتها مراراً، حدقت فيها، وناجيت نفسي، كنت في حيرة من أمري، فكرت ثم قررت أن اقصد مكتب جريدة البلدة.
****
في اليوم التالي:
نُشر إعلان في الجريدة مع تلك الصورة، تحت عنوان:
"من يعرف هذه القطة؟"
ولقد علمت لاحقاً أنه وردت للجريدة ثلاث مكالمات خلال ذلك اليوم، جميعهم زعموا أن القطة لهم.

(نبوة).

ميّ خالد العتيبي

منذ تلك الليلة مُتُّ، لكنهم لم يجدوا جثتي، وتفرق دمي بين الليالي، فلم يعرفوا من قاتلي!، أنا الناجية من حروب الأبد، شاهدة العيان الوحيدة، ويداي داميتان وعلى فمي دمٌ كذب.

إنه ليس دمي، بل دماء القبيلة ودم الذئب، وصوتي عواء لا ينقطع.

حتى حين أنام بعينيّ المفتوحتين أنظر للسماء وألتحف الجثث، أُقلِّبها لأرى مكاني، لكنهم في نشرة الأخبار لم يجدوني وأعلنوا فقدي. ثم لعنوني وبالت الكلاب فوق اسمي وتحت ثيابي.

وكان الليل باردا والبحيرة تجمدت وكذلك عظامي.

حفيف الأشجار غاباتٌ من صافرات الإنذار، تخترق مسمعي وتصم قلبي المرتجف، ثم حين صعقوني بالكهرباء لم أعد للحياة ولم أذهب إلى البرزخ، كنت هناك في جحيم الزمهرير، هكذا أخبرتني الملائكة وهي تقلب صحائفي فلم تجد لي عملا صالحا، ويا لدهشتهم حين لم يجدوا ذنوبي!

أعـرف أني لم أفعل شيئا بحياتي، لم أستعملها. أعدتها لهم مغلفة جديدة بيضاء كما كانت يوم مولدي.

وأبي لم يتذكرني حين أخبروه بموتي، حتى لو لم يكن مصابا بالزهايمر كان لن يتذكرني أيضا. بينما انسلت دمعة وحيدة من عين أمي مسحتها وأكملت حياكة القميص في يدها.

لم يكن قميصي ولا قميص إخوتي. كان قميصا أزرق، اللون الذي تحبه هي وأحبه أنا لذات السبب.

في تلك الليلة خرجت للعب داخل غرفة عمليات غريبة بأجهزة مضيئة ملونة مثل كرنفال وأعياد لأطفال لم تنجبهم أمهاتهم بعد.. أجهضتُ هناك، وشقوا صدري فلم يجدوا قلبا. هكذا تحدث الطبيب مع الممرضات. لكنهم وجدوا مكانه زنبقة زرقاء خالية من الأكسجين فاستأصلوها وتركوني لا ألوي على شيء وصوتي عواء.

في السرير المجاور كانوا يزرعون جناحين صناعيين لملاك سقط من السماء السابعة فتكسرت أجنحته وأضلعي. لم تسنح له فرصة كي يبلغني رسالتي.

هسيس ..

حسن أحمد القرني

وعــن اللجلجــاتِ وارَيتُ همســي
يســتديرانِ حول شــكي ولبْســي

صنتُ -أنْ أدّعيْ- لســاني ونفسي
كلمــا مــرّ واحــدٌ عــاد حتــى

ليــس لــي مــن مكانــةٍ أو مــكانِ
لــكأنْ لا ســوايَ يســطيعُ لمســي

غيــرُ صــدْعٍ عليهِ أســندتُ رأســي
ربمــا هــم صــوتٌ بحشــدٍ طويلِ

مصغيــاً للهســيس أســتلّ منــهُ
بيــن جلــدي يُذيــبُ مسّــاً بمَسِّ

ألــفَ ظــنٍ لألــفِ حــدْسٍ وحدْسِ
وحشــةٌ لا تكــفّ عنــي وليــلٌ

ليس فــي صوتــهِ ســوى أيّ روحٍ
ليس يغفو وهاجسٌ ليس يُمســي

ســوف تصحو ما بين نابٍ وضرسِ
وخطــوبٌ تحــوم كالنســر فوقــي

لا هنــا أو هنــاك.. شــكٌّ ولَبْــسُ
(ولقــدْ تُذْكــرُ الخطــوبُ وتُنســي)

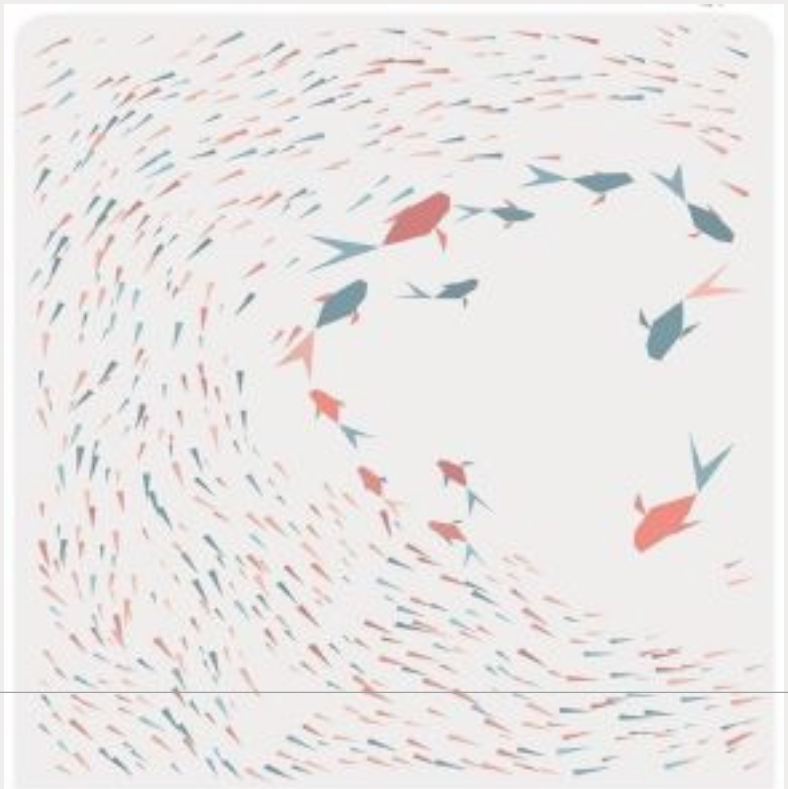

سيلٌ مضارعٌ مرفوعٌ بالبصمة.

للكبير حسين آل دهيم وهو يُشَرِّحُ ساقَ الشمسِ إلى «زند»

أحمد الماجد

عشرُ شفاهٍ في كفيه
إذا أمسك بالمجدافْ
جعل الأسرابَ سطورا
والبحرَ غلافْ
لا تأمن حبرًا ودَّعَ فكرتَهُ ميناءً
ودَّعَ زمنا ساعةَ حلمٍ تنهكُ بطاريةَ غمضٍ
ودَّعَ أمكنةً لم تتشكل بعدُ
وأزمنةً في إصطبلِ الحدسِ
وما زال يغادرُ يضع الموقعَ في جيبٍ
ويزرر بالأسفارِ قميصَ التطوافْ
لا تأمن حبرًا ودَّعَ فكرتَهُ ميناءً
ترفعُ مرآتَك مرساةً
لترى عينيكَ مراكبَ
فاقرأ ثقةً أن تهجرَ تحديقكَ تلويحا
يهجرك التحديقُ إلى ترسيمٍ مذبوحِ الحدِّ
ومهدور الجَزر
بأعماقٍ ينفث فيحُلُّ حزامَ البحرِ رمادًا
يسرق عودة خشبٍ يطفو فوق مجازٍ
فيعود إلى خمس جذوعٍ تتأبط سقف الغرفةِ
يسحب نبضا من ذاك النخل المصلوب
مقامَ حجازٍ في السقفِ
ويَنطقُ تركيبَ الجزءِ المفقودِ وقودا لعروجٍ
مقطوعِ الجهةِ
يطرزُ جهةً لا متداولةً من طرقةِ بابٍ
يصنع من قفل الصندوقِ لمُهْرِ النكهةِ
حدوةْ
هل يصحو دربٌ من وعكته؟
يستخرج من فنجانِ القهوةِ خطوةْ
عشرُ جهاتٍ في كفيه
وفي المقلمةِ ثمانية موانئَ
في الحائط غرقٌ تذكاري
والعالق في ضرس الكامرة حذاءْ
من يلبس حين يكون فراغك أنت رداءْ
هل أحزانك مغلقةٌ لا فرقَ
مفاتيحًا أدمعُ أو شُرَفا أو أصداءْ
جسرٌ مشتركْ
حين أشمرُ عن صحراءٍ وتشمرُ عن ماءْ
وخطوطُ يديك تغيرُ إعـداداتِ الإمساكِ
ميازيبَ
تطرز غيم الأنسالِ معاطفَ للتأويل
وديوانكُ قرنٌ مبتلٌ بالأثناءْ
أيؤدي الزند إلى كفٍّ أم مطرٍ
أإلى كتفٍ أم ساقيةٍ
والدمُ بينهما ترجمةٌ دلاءْ
ترسل قمرا لمصحةِ حبرٍ حين تعاود تأثيث
الغرفة سبع سماواتٍ من مخملْ
يختلط بما يفعل ظلٌّ ما لا يفعلْ
تنجح لغةٌ وجميع الألسنة الحجريةِ تفشلْ
فقد البحرُ الذاكرةَ
أكانت دمعتك الفصحى؟
أم دمعتك على الورق محيطٌ هادئُ؟
أسئلة الريح تريد الرئة قناعا
كي تعبر آهٍ رشتْ فوق جدار الوهم نداءً شعبيا
فابتسم الحزن وأخرج دمعته الجيبيةَ
دوَّنَ فيها موتًا مكسور الساق وعمرا
يسنده كتفا بالكتفْ
وأغرى الكتفين بثقل فراغٍ ذهبي كان على الرفْ
نبضةُ نورسةٍ فوتتِ الفاصلةَ بطرفك حبةَ قمحٍ عصماءَ
فعادتْ للخلفْ
الخطوةُ ضغطةُ زرِّ العالَمِ
فليلبس نعلَكَ ألفْ
الفكرةُ قنينةُ نبضٍ تلقيها في شاطئ دمعٍ
تلقاها في شاطئ بحرٍ مقلوبٍ أو قبعةٍ أو وقتٍ
أو تخلقُ بقرونِ كفْ
عشرُ توابيتٍ في كفيه
توَّقعُ عشر طلاقاتٍ للموتِ
لكي لا تُدفنَ أحياءً عشرُ شموسٍ
أو ينبسَ يتمًا ليمونُ الصيفْ
غُرفتُهُ في الجمجمةِ وجمجمةُ العالَمِ في الغرفةِ
متسعٌ مبريٌّ فوق الطاولةِ وفي السلة قطعُ
نشارةِ نيزكْ
فوق الحائط؛ يضعُ شهادةَ تخريجِ الشمسِ مهندسةً
ويوظفها في ورشته طابعةً لمشارقه العشرِ
على قارةِ كفيه إذا تشبكْ
عشر حضاراتٍ في كفيه تشد رداءَ الحرفْ
عشرُ مداراتٍ في كفيه
مناغاةٌ لا متناهيةْ
هل طفلا يحمل أو كوكبْ؟
الكوكبُ يتطفل طفلٌ يتكوكبُ والسيرةُ تُكتبُ
لو كتبَ الوقتُ وصيتَهُ يوما فضيا ما؛
سيُدَوِّنُ باسمكَ ميراثَ غدٍ، ميراثَ غدِ
وغدٌ أطولُ سجدةِ طيفْ
للشعرِ الناثر حظُّ اثنينِ
لعينيكَ حظوظ لغاتٍ فقدت آباءْ
فاكفل بلسان البؤبؤ شَفْ
لا تسحب كَرْتا من معطف نجمٍ لتغش الضوءَ التالي
ديوانك في الصفحة إحدى والليمون
جوابُ الفيِّ على العطرِ
عنادُ الكرسيِّ معَ الليلِ
يحرك ضوءُ قدميه ورجليه ويرفع عنقا
تلقاء تنفُّسِهِ
حين يجربُ صوتَك
والغرقُ يجرُّ الغرقَ
الغرقُ الأولُ فرَسٌ والغرقُ الثاني عرباتٌ لغويةْ
والقاعُ على السطرِ
عشرُ بكاراتٍ في كفيه
تمرُّ اللغةُ بعشر شموسٍ حبلى بمواليد "النثرِ"
لن يختلف القمرُ مع البحرِ على تسميةِ "الشِّعرِ"
عشرُ نوافذَ في كفيه
تمص حليبَ المجهولِ
تعاود فتح شهياتِ الحصرِ
ويعود الخمر إلى حائطه السُّكْرِيِّ
يلاحظ عشر ثقوبٍ بمذاقِ اللاحدْ
تمجُّ بصائصَ مسروجاتٍ بجلودِ الوقتْ
تذوِّبُ كوكبَ أنتْ
لليل لواقطُ سهرٍ للمصباح منصةُ زيتْ
تحدو الخيلَ كؤوسا عقرت وقفتها وأسالت ركضتَها صوتْ
وعلى كثبان شراييك تنصب خيمة حلمٍ
تعقر ناقة تحديقٍ
وتدوِّخُ بوصلة الصمتْ
ويخون سرابَكَ ماءْ
فيسير على الشفة اليخثْ
لا تعلن خبر وفاة غدٍ
عمليةُ تشريحٍ عاجلةْ
لتحولَ ساقَ الشمسِ إلى زندٍ
جمحت نقطةُ هذا النص
على رأي فراغكَ؛ أن تُحكم أفخاخَ الظل
وتصطاد الفجرَ بأنثْ

نصوص .

شفيق العبادي

(1)
بنهرين

بنهرين من ظمأٍ
كيف أودي بغيمكِ هذا الغبارُ؟
جداريةَ الحُسن أين أُعَلِّقُ قُبْلةَ شعري كما كنتِ بالأمس
حيثُ مَجرَّة وجهِك للعاشقين المدارُ
وكنتِ تمرينَ مثلَ السَحابةِ لكن بلا مطرٍ والقلوبُ المطارُ
أما زلتِ تُحْصينَ ما كوَّم الشعراءُ عليكِ من العَتب
ما احْتَطبُوا في غيابكِ من غزلٍ أوْلَمَتْهُ القفارُ
ألم يكن البابُ مُبْتهجًا لطيوركِ حينَ أغارُوا؟
بلى غير أنَّهمُ حين ضاقَ بهمْ موطئُ النبع زمُّوا ركائبَهم واستداروا
كثيرونَ هم؟
لستُ أدري
إلى أين؟
حيث دروب القصيدة نور
وأحرفها للذي فاته الشوط نار
وأين سيفضي بهم يا ترى نورسُ الشعر حين يحاصرهمْ موجُه
وتُعاندُهم للوصول البحارُ
وأين ستشرقُ ساعتَها شَمسُهم حينَ يلمعُ من ظلِّهم ما يجادلُ فيه النهارُ؟

(2)
فأنت حري بهذي القصيدة

إذا ما دعاكَ الهوى
كي تشاركَهُ رحلةَ البحث عن غيمةٍ
تَتهيَّأ للبوح من فرطِ ما أثْقلتها دموعُ الحنين إلى أُمِّها الأرضِ يومًا
فأنت حَريٌّ بهذي المَكِيدَهْ
وإنْ ما اصْطَفاكَ لحَمْلِ رَسَائلِهِ في الغَرامِ رسُولًا لأهْلِ الغَرامِ
تَصبُّ لهمْ من رواياتِه خَمْرةً عتَّقتْها المَساءاتُ
في غَفلةٍ من فُصول الوُشَاةِ
فأنْتَ حَريٌّ لتحملَ طوعًا بَريدَهْ

وإن ما أرادكَ حينًا تُشاطرَه قهوةَ الوجْدِ وحدَكُما
يترشَّفُ إيَّاكَ ألحانَ فيروز مُسْترسلاً في الأحَاديث
عن كلٍّ من قَطفُوا وردةً من حكاياتِه دونَ أيِّ امْتِنانِ
فأنتَ حَريٌّ بصحبتِه دونَ غيركَ
فاحْذرْ صدودَهْ
وإن ما شعرتَ بوخْزِ الحُروفِ يُؤَرِّقُ أوْتارَ قَلْبكَ يومًا
فأنتَ حَريٌّ بهذي القَصيدةْ

(3)
ما الذي فاتني

ترى ما الذي فاتني
عندما قلتِ لي لم تزلْ فاتناً
مثلما كنتُ يومًا قرأتُكَ نصًّا توزعَ في الكلماتْ
هنا لا فواصل تُثني جيادَ الكلامِ عن الركضِ
لا أثراً للنهاياتِ كي يستريحَ حصانُ حُروفي
ولا شوط يلهيه عما اعْتراهُ من الأغنياتْ
هنا يا قصيدةَ عُمْري التي كانَ يُؤنسني ظلُّها
كلما أعتمَ الظلُّ فِيَّ
ولا شمسَ تُوقدُ فيه الحياةْ

(4)
تَرجَّل

ترجَّلْ
أيها الحرفُ الذي أعطاه سرُّ الشِعْر
مُفْتاحَهْ
وأورثه كتابَ الريح
ينقشُ فيه ألواحَه
ترجل
ملءَ ما اتَّسعَ المجازُ
هنا
هنا الباحة
هنا المعنى الذي يتناهبُ الشعراءُ أقداحَه
هنا منذ انْبلاجِ العشق أعيا الحسنُ شُرَّاحَه
فماذا يا نشيدَ الغيمِ
يعزفُ مثقلٌ بالغيم ممسوساً
فقد أغريتِ صدَّاحَهْ
فأنتِ مدينةُ الكلماتِ
أنتِ مصائدُ الأشعار
أنتِ ضجيعةُ القمر الذي أطفأتِ مصباحَهْ
أتيتُكِ من بلادِ البحر محمولاً
بأشرعة الحنين فمدْ
غرقتُ ببُرْكَتَيْ عينَيْكِ
خانَ البحرُ سباحَهْ.

تأويل حلكة النَّص.

حسن النعمي

وأنـا أقرأ قول الله تعالـى: (كلَّما أضاءَ لهم مشُـوا فيه)، تذكَّرتُ قصةً روتها جدتي عن رجلينِ توَّهما أنَّهما سـرقا بقرةً، كانَ اللَّيلُ حالـكَ الظُّلمـة، وكانَ أحدُهما يجـرُّ البقرةَ والآخـرُ يتبعُهـا، وفي لحظةٍ أبرقتِ السَّماءُ فبدَّد اللَّيل حلكتـه، لحظتَهـا ارتعـبَ التَّابـعُ؛ إذ رأى أنَّ ما سـرقاهُ ليـس بقـرةً، لـم يقُـل لصاحبـهِ شـيئًا، فركَ عينيهِ يتنظرُ لمعانَ البرقِ مرةً أخـرى ليتأكَّد، عندَهـا خـافَ مما رأى، وقالَ لصاحبِه: - إذا أبرقتِ السَّماءُ فانظـر لوجـهِ الغنيمـةِ، ولاذَ بالفرار.

وتكملُ جدَّتي أنَّ الرجلَ عندَما أبرقتِ السَّماءُ نظرَ خلفَه فـأدركَ أنَّ رحيلَه عن الدُّنيا باتَ أقربَ إليـه من حبلِ الوريدِ، نظرَ عن يمينهِ فلمحَ جذعَ شجرةٍ عتيقةٍ فتسلَّقها حتَّى بلغَ أعلاها منتظرًا ضياءَ الصَّباح!!

***

يمكـنُ أن نقرأ القصَّة مـن أكثرَ من زاويةٍ، زاويةُ الرفقةِ، وزاويةُ الفعلِ وجزاؤُه، وعليهِ فنحـنُ في هـذه الحالة قـراءُ مضمونٍ، ولا نكتـرثُ بجماليَّاتِ القصة، ولا يهمُنا سـوى القيمةِ الأخلاقيَّة التـي يمكنُ أن نخرجَ بها مـن النـصِ، ويمكنُ أن ننظرَ فـي تكوينِ القصَّـة: في طبيعـةِ شـخصياتها، وحركةِ المشهدِ السَّردي، وطبيعةِ المكانِ والزمانِ.

هنـا تسـتوقفُكَ القصَّـة بفضائِها المعتمِ، والشـكلِ الذي يتناسـبُ مع هـذا الإعتامِ، ولأنَّ فعل الشَّخصيتينِ ليس سـويًا، كانَ اختيـارُ الفضـاءِ لازمًا بشكلٍ يحققُ مشروعيَّة الفعلِ، ليـلٌ دامسٌ، وبرقٌ يضـيءُ للحظـاتٍ فقـط، وفـي هذا يتسـلَّلُ القـارئ ليمـلأ الفراغـاتِ الَّتي أتاحَها النصُّ لمتلقيهِ!!

قـارئ القصَّـة يحتـاجُ أن يضـعَ في ذهنه كيفيَّةَ القصِّ لا موضوعَ النَّص، فالموضوعُ فـي القصَّة يؤثرُ في بنائها؛ حتَّى يخرجَ من المعنـى الجاهزِ إلى المعنى السَّـرديّ الَّذي يقبلُ التَّأويلَ، يمكنُ أن نسألَ: ماذا سرقُوا؟ ولماذا سـرقُوا؟ وكيـفَ سـرقُوا، لكنَّ هذه الأسئلةَ أجوبتُها في بناءِ القصَّة.

في الآدابِ والفنونِ يجبُ أن يكونَ الشـكلُ هو التَّعبيرُ الأمثلُ عن المضمونِ.

عهود عريشي

(المعلم الذي لم يقل كل شيء).

من لا يملك حرية الحلم لا يملك حرية الحياة، والحياة لا يمكن أن تتسع للذين لم يفسحوا في صدورهم مساحات للأحلام للركض وللسباحة بعيداً عن الساحل.

طرحت الكثير من الأفلام فكرة التغيير والقفز عن المألوف من خلال معلمين استثنائيين، معلم يستطيع أن يمنح الأطفال أجنحة ليطيروا ويحلموا، وأن يفكك قيود عقولهم الصغيرة فتتحرر من الواقع لتحلق دون تردد في فضاء هذا العالم و منها مثلاً فيلم Dead Poets Society وفيلم Good Will Hunting وفيلم Detachment لأدريان برودي والفيلم الأسباني el maestro que prometi mar) ويعني المعلم الذي قطع وعداً بالذهاب للبحر، وهو فيلم دراما تاريخية إسبانية تدور أحداثه في إطار زمني مزدوج بين عامي 1935 و2010 مأخوذ عن رواية تحمل ذات الاسم، وتدور أحداث الفيلم حول معلم يصل إلى قرية معزولة في بورغوس، فيفتح المدرسة القديمة ويبدأ باستقبال الطلاب وتعليمهم وفق أساليب تعليمية تنمي الحس الإبداعي لديهم من خلال الرسم والموسيقى والرقص وكتابة القصص؛ لتتفتق مدارك الأطفال الصغار وتحلم بعالم أبعد من القرية الصغيرة وأكبر منها، في زمن يكتظ بالصراعات السياسية والأحزاب المختلفة، بشعارات تنادي بالحرية في ظاهرها ولا شيء في باطنها سوى الموت، يبدأ المعلم معاركه الأولى مع رجل الدين الذي لم يكن ليعجبه إزالة الصليب من جدار الصف في المدرسة، ولم يكن ليقتنع بوجود معلم ملحد يلقن الأطفال طرق القراءة والكتابة، بل ويمنيهم برؤية البحر ويعدهم بذلك، قصة حقيقية و مؤثرة عن التعليم والحرية والأمل وسط صراع قاسٍ، وأطفال هم البذور التي تستحق أن تمنح الرعاية لتنمو بشكل حر وطبيعي، والنهاية بقي الوعد قيد الحلم واغتالت السلطة جسد المعلم وبقيت روحه تتنفس في قلوب الأطفال وعقولهم إلى الأبد.

إنه فيلم عن القوة الثورية للأمل، وكيف يمكن لإنسان أعزل بلا سلطة ولا سلاح أن يُرعب نظامًا استبدادياً، لأنه وببساطة لم يرتكب شيء أكبر من أنه علّم الأطفال أن الحلم هو الحياة، خاصة في زمنٍ عاصفٍ ومشحون بالاضطرابات السياسية والجمود الفكري، ليشكل الفيلم قصيدة سينمائية تحيي ذكرى المعلم "أنطوني بنانييس" والذي لم يكن ينوي فقط تعليم الأطفال الحروف بل أراد أن يساعد في تشكيل أدمغتهم لتكون أكثر سعة، بإيمانه أن التعليم ليس طاعة بل حرية؛ ليس نقلًا للمعرفة بل زرعًا للخيال، وعندما وعد تلاميذه الفقراء بأن يأخذهم ذات يوم لرؤية البحر، لم يكن يبيعهم وهماً بل كان يمنحهم الأفق الذي حُرموا منه، في توازٍ زمني بديع تتقاطع قصته مع مسار شخصية معاصرة تبحث عن جدها المفقود في زمن الحرب الأهلية، فتبحث في مقابر جماعية مختلفة لتقدم للجد سعادة صغيرة قبل أن يغادر الحياة، لا يهدف الفيلم إلى تأريخ الحرب بل إلى مصالحة الذات مع ماضيها، وكأن الفيلم يحمل دعوة للثورة، ثورة ناعمة، تبدأ من الصف الأول في مدرسة صغيرة وتزرع الأمل حتى لو لم يُزهر وهو عملٌ بطولي في وجه الظلم فالتعليم الذي لا يفتح النوافذ هو شكل آخر من أشكال الحبس.

ومع أن صناع الفيلم لديهم قصة إنسانية لها بعد تاريخي مؤثر، لكنه لا يخلو من الكثير من الثغرات على مستوى الإخراج والسيناريو وهو ما شعرتِ به؛ فهو يفتقر للجرأة البصرية، فالمخرجة قدمت عملًا

محترمًا من حيث احترام الذاكرة لكن اختياراتها البصرية محافظة جدًا، مقارنة بعظمة المادة الأصلية، فالبحر مثلًا والذي يمثل الرمز المركزي في الفيلم، لم يُوظف إلا في لحظات قليلة جدًا وبأسلوب تقليدي، هناك افتقار واضح للابتكار البصري، خاصة في المشاهد الريفية أو الفصل الدراسي. كاميرا ثابتة و زوايا مألوفة ومشاهد تمر أحيانًا دون أثر بصري قوي، مشاهد القبور الجماعية، والتي كان من الممكن أن تكون لحظات فلسفية وسينمائية عميقة، جاءت عاطفية سطحية أحيانًا، بدلًا من أن تفتح جرحًا وجوديًا فعليًا، كما أنه سيناريو بلا نبض سردي منتظم رغم أن كاتب السيناريو "ألبرت فال" اقتبس القصة من كتاب غني جداً إلا أن السيناريو يُعاني من عدة مشكلات، والسرد المزدوج (1935 / 2010) غير متوازن، فالخط الزمني المعاصر أضعف كثيرًا، وأحيانًا يبدو وكأنه أُقحم لربط الحاضر بالماضي دون أن يكون له عمق درامي فعلي، الحوارات أحيانًا مباشرة ومُبالغ في بساطتها و نادرًا ما تجد حوارًا يحمل قوة رمزية أو طبقة فلسفية خلف الكلمات، وأعود لأقول أن المادة كانت تسمح بذلك، كما جاءت النهاية متوقعة جدًا، تخلو من مفاجأة جمالية أو لحظة صمت سينمائي تهزّ المتفرج، هل الفيلم مهم؟ نعم، من حيث الذاكرة الجماعية الإسبانية، من حيث عدالة المعلم الذي لم يكمل وعده، لكنه كعمل سينمائي أقرب إلى الوثائقي المؤدب منه إلى العمل الفني العميق، كان يمكن لهذا الفيلم أن يكون بحراً من الجمال، لكنه اختار أن يكون جدولاً صغيرًا عابرًا، قصة المعلم الذي علّم الأطفال أن يحلموا لم تفشل لكن السينما التي روتها لم تحلم كفاية. نحن لا ننتقد نية الفيلم، بل نأسف على قدرٍ لم يتحقق، في عملٍ كان يمكن أن يكون قصيدة خالدة.

وما بين أدريان برودي في Detachment والمعلّم في The Teacher Who Promised the Sea الكثير من المتشابهات، في الشكل الخارجي وطريقة اللبس كما أن كلاهما صامت، محطم، مثقف، يجعلاننا نؤمن أن الإنسان قد يُكسَر، لكنه لا يتخلى عن مهمته.

المشهد الذي يقف فيه المعلم أنطوني داخل الفصل ويعد الأطفال بأنهم سيرون البحر ذات يوم البحر هنا ليس فقط جغرافيا بل هو وعدٌ بالحرية بالحلم، بكسر حدود القرية والواقع، فهو يمنحهم الأفُقَ الذي يتجاوز السقف والطين فالبحر ليس مكانًا بل حلمًا مؤجلًا تمامًا كالثورة والحرية والكرامة.

الفيلم من بطولة/ "إنريك أوكير" في دور أنتوني بينيجيس ،"لايا كوستا" في دور أريادنا، "لويزا غافاسا" في دور شارو، "جايل أباريسيو" في دور كارلوس، السيناريو من تأليف "ألبرت فال"وهو مقتبس من كتاب فرانشيسك إسكريبانو، ومن إخراج "باتريشيا فونت" .

المقال

«بيليه» وشعبية الكرة في أمريكا.

أحمد بن عبدالرحمن السبيهين

@aalsebaiheen

بدأت رحلة أسطورة كرة القدم البرازيلي «بيليه» المثيرة إلى الولايات المتحدة في عام 1975، بعد أن كان قد قرّر الاعتزال وكان يبلغ من العمر 35 عاماً، وبعد أن مارس لعبة كرة القدم على مدى ثمانية عشر عاماً، وقاد منتخب بلاده للفوز بكأس العالم ثلاث مرّات.

إلا أنه ما لبث أن وافق على عرضٍ تقدّم به فريق «نيويورك كوزموس» الأمريكي كي يلعب بين صفوفه بعقدٍ بلغت قيمته ستّة ملايين دولار، ومُدّته ثلاث سنوات.

لقد أغرى «كلايف توي»، مالك فريق كوزموس بيليه للانضمام إلى فريقه بهذه الكلمات: «إذا ذهبتَ إلى فريق «ريال مدريد» أو «يوفنتوس»، ستفوز بدون شكّ بلقب دوريّ آخر، ولكنك إذا جئت إلى نيويورك فسيكون هناك بلدٌ بأكمله تحت قدميك»!

لقد كان السبب الرئيس الذي دفع نادي كوزموس الاستعانة ببيليه ليرتدي قميصه هو دعم وبسط شعبيّة أكثر الألعاب الرياضية انتشاراً في العالم بين الأمريكيين، إذ كانت كرة القدم لُعبةً مُهمّشة، تُقام مبارياتها بمُدرّجاتٍ شبه فارغة، وبفِرَقٍ نِصف مُحترفة. وكانت الألعاب الرياضية التي تحظى بالشعبية الجارفة هناك: كرة القدم الأمريكية أولاً ثم كرة السلّة والبيسبول.

وقد كان مبلغ العقد الذي تمّ الاتفاق عليه بين بيليه وكوزموس ضخماً بكلّ المقاييس في منتصف السبعينيات، إذ لم يكن يجني أيٌّ من الرياضيين في أمريكا مثل هذا المبلغ، حتى أكثرهم شُهرةً؛ فقد كان الأعلى أجراً هُما لاعب كرة القدم الأمريكية «أو جي سمبسون»، ولاعب كرة السلّة «كريم عبدالجبّار»، برواتب سنوية تصل إلى 600 ألف دولار، وكان راتب الرئيس الأمريكي حينها «جيرالد فورد» يبلغ 200 ألف دولار.

ولم يقتصر الأمر على التقدير المادي؛ بل إن الرئيس فورد استقبل بيليه في البيت الأبيض، ولعب معه بالكرة في حديقة الورود، وفي عام 1977 استقبله الرئيس الأمريكي المُنتخب حديثاً «جيمي كارتر»، وقال له: «أنا جيمي كارتر، ولا داعي لتُعرّفني بنفسك لأنّ الجميع يعرفك»!

لم تكن كرة القدم لعبة شعبية في الولايات المتحدة كما ذكرنا، إذ كانت آخر مشاركة للمنتخب الأمريكي في كأس العالم عام 1950، ولذلك فإن قدوم بيليه قلب الأمور رأساً على عقب، فأصبحت كرة القدم خلال تلك السنوات مشهورة كما هي في بقيّة أنحاء العالم، وارتفع متوسط عدد الجماهير التي تحضر المباريات من خمسة آلاف إلى خمسين ألفاً، ولتلبية الطلب على التذاكر انتقل فريق كوزموس إلى ملعب فريق «اليانكيز»، ولاحقاً إلى ملعب «الجيانتس» العملاق، المُخصّص لمباريات كرة القدم الأمريكية الذي يتّسع لسبعين ألف مُتفرّج.

ورغم وجود بيليه ضمن كتيبة كوزموس، فإن الفريق لم يتمكّن من تحقيق كأس البطولة، ولهذا تعاقد مع القيصر الألماني «فرانتس بيكنباور» والمُدافع البرازيلي «كارلوس ألبرتو»، لينضمّا إلى المُهاجم الإيطالي «جورجيو كينياليا»، ويصبح كوزموس فريق الأحلام.

وبذلك استطاع بيليه أخيراً، حين كان يخوض مباراته الأخيرة في مسيرته الكروية، استطاع أن يقود فريقه بنجاح، ويتمكّن من هزيمة فريق «سياتل ساوندرز» بنتيجة هدفين مُقابل هدف، ويفوز بلقب البطولة.

تقول مديرة أعمال بيليه السابقة «روزا غانغوزا: «بالنسبة للأمريكيين فقد اخترع بيليه كرة القدم، وأصبحت هي الرياضة رقم واحد التي يُشارك فيها الفتيان دون 18 عاماً، وهناك جيل كامل من الأطفال والشباب يستمتعون بلعب كرة القدم.. لقد فتح بيليه للأمريكيين باب رياضة جديدة تماماً بالنسبة لهم.. رياضة لا تتطلّب -كما في كرة القدم الأمريكية- أن يكون وزن اللاعب فيها 95 كيلو غراماً، وأن يكون مفتول العضلات ليُمارسها».

بعد عودة بيليه إلى بلاده، عاش الدوري الأمريكي لكرة القدم موسمين جيّدين آخرين، قبل أن ينهار بسبب فشل صفقات حقوق البثّ التلفزيوني المباشر، وخيبات أمل العديد من الفِرَق التي أرادت تقليد كوزموس، من خلال التعاقد مع نجوم ٍ كبار آخرين في نهاية مسيراتهم الكروية، من أمثال الهولندي «يوهان كرويف» أو الإيرلندي «جورج بيست».

وفي بداية التسعينيات، تأهل المنتخب الأمريكي للمشاركة في جميع نهائيات كأس العالم، فيما عدا دورة 2018، وستُقام منافسات كأس العالم للعام القادم على أرضها مع كندا والمكسيك، فهل يُحقّق الأمريكيون مفاجآت تُبهر العالم، وخصوصاً أن أسطورة كرة القدم «ليونيل ميسي» يلعب في فريق «إنتر ميامي» بالولايات المتحدة، مُعيداً تاريخ الأسطورة «بيليه» حين لعب لفريق «نيويورك كوزموس» قبل نصف قرن؟

اقرأ

التوثيق الاجتماعي في عصر الرقمنة.

يوسف أحمد الحسن
@yousefalhasan

يتزايد مؤخرًا القلق بين بعض المؤرخين والنخبة المثقفة من تعاظم الاعتماد على الوسائط الرقمية في توثيق الأحداث الراهنة، خاصة الاجتماعية منها. ومنشأ هذا القلق من توجه معظم الناس إلى الكتابة على هذه الوسائط التي تتوفر على قدرات هائلة جدًا على التخزين والاسترجاع، مع سهولة كبيرة في التوثيق والتعديل لا تتوفر في الورق. كما أن هذه الوسائط وفرت مساحات أكبر بكثير من تلك المستخدمة في تخزين الكتب.

فكما نعلم أن التوثيق الورقي ضرورة لاستمرارية التراث الإنساني وحماية الذاكرة الاجتماعية؛ لكونه يتمتع بطابع مادي ملموس، وما يعنيه ذلك من متانة واستمرارية ومصداقية؛ فهو الحاضن الأساس لهذا التراث بجميع مفرداته. وهو بذلك أقل تأثرًا بما يحيط به من مؤثرات تقنية ليس أقلها الفيروسات والهجمات السيبرانية التي قد تدمر جميع البيانات في ثوانٍ معدودات. كما أن الوسائط الرقمية تتغير وتتبدل بسرعة كبيرة حتى يتعسر أو قد يستحيل الاستفادة منها بعد سنوات قليلة من ظهورها، وهو ما يسمى (التقادم التكنولوجي). فالأقراص المرنة (Floppy disks) مثلًا أصبحت من الماضي، ولا نستطيع تشغيلها الآن إلا بواسطة أجهزة وسيطة نادرة، هذا إن لم يصب هذه الأقراص العطب بتأثير الزمن، في حين أن هناك من الوثائق الورقية ومن أوراق البردي بعمر مئات أو آلاف السنين ما هو موجود إلى يومنا هذا وقابل للقراءة. وقد بدأ هذا التقادم التكنولوجي يشمل أيضًا الأقراص الضوئية (CD)، وقد يحصل لما بعدها من وسائط، علاوة على ارتباط هذه الوسائط بالكهرباء والطاقة، واعتمادها على أجهزة لتشغيلها، في حين أننا نستطيع قراءة أي كتاب ورقي حتى في أصعب الظروف دون الحاجة لمصدر طاقة أو أي جهاز.

حتى الاعتماد على الإنترنت لتخزين التاريخ الاجتماعي على خوادم خاصة (Servers) أو باستخدام ما يسمى (التخزين السحابي) لا يخلو من مخاطر الفقدان أو صعوبة الوصول إليه، أو حتى استحالة تشغيله مستقبلًا؛ لكون بعض الأنظمة أو البرامج إما إنها تصبح غير مواكبة للتطورات التكنولوجية المتسارعة أو أن الشركات المنتجة لها تُوقِف دعمها تقنيًا وهو ما يحصل باستمرار. وجميعنا لاحظ اختفاء آلاف الأخبار والوثائق والمستندات والصور المحفوظة بمختلف الوسائط الرقمية لسبب أو لآخر؛ منها انتهاء صلاحية نطاق موقع (Domain name) ما مثلًا، أو لعدم دفع رسوم استضافته في أحد الخوادم.

كل هذه المخاطر التي تكتنف الاعتماد على التقنية الرقمية في توثيق تاريخنا تصبح أقل بكثير جدًا حين استخدام الورق للتوثيق، علاوة على الجوانب الحسية التي تحيط بنا عند استخدام الأوراق. ولنا أن نتخيل مشاعر أحدنا حين يشاهد أو يلمس كتابات بخط يد أحد كبار الأدباء والمفكرين قبل عشرات أو مئات السنين، وهو ما يكاد ينقرض اليوم مع زيادة الاعتماد على أجهزة الحاسب والكتابة الرقمية، وربما وصلنا قريبًا إلى يوم لا نجد فيه مخطوطة يدوية لكاتب لطالما لامس مشاعرنا وألهب أحاسيسنا سنوات طوالًا. كما أن الوثائق الورقية أكثر صعوبة في تزويرها من الرقمية.

ليست دعوة لترك التوثيق الرقمي أو نبذه، بل لإيجاد حالة من التكامل بينه وبين الورقي بحيث يمكن الاستفادة من إيجابيات كل منهما.

متابعات

أقامتها الفنانة وردة بادحدوح ..

ورشة فنية لدعم أطفال السرطان بجدة .

اليمامة - خاص

أقامت الفنانة التشكيلية، وردة بادحدوح، ورشة فنية تعرض فيها إمكانيات فن «المندالا» للمساندة النفسية والتخلص من الضغوط، وذلك من أجل دعم أمهات الأطفال المصابين بالسرطان بجدة. الورشة أقيمت برعاية من جمعية «سند» لدعم الأطفال المرضى بالسرطان، وقد انعقدت الورشة في مستشفى الملك فيصل التخصصي بجدة، وبحضور لافت من قبل أمهات الأطفال المرضى. الورشة كانت بعنوان «دائرة السلام»، واعتمدت فيها الفنانة التشكيلية على قدرات فن «الماندالا» أو ما يسمى بفن البهجة، كوسيلة فنية هدفها التفريغ النفسي وتحقيق التوازن الداخلي، حيث قدّمت شرحًا مبسطًا حول رمزية الدوائر المتكررة في المندالا، وكيف يمكن لهذا الفن أن يكون مساحة آمنة للتعبير عن المشاعر العميقة وتخفيف التوتر بطريقة جمالية مبهجة. فالماندالا كما في معناها في اللغة السنسكريتية هي الدائرة أو القرص، وهو أحد الأنواع الفنية القديمة في منطقة التبت والتي تتم ممارستها بغرض تحسين الصحة النفسية وتحفيز التركيز والإبداع والانسياب وتحقيق الانسجام، وأيضاً لمقدرته - الماندالا - المجربة على زيادة الصفاء الذهني للفرد.

وعن المعنى العميق لأهداف الورشة، قالت بادحدوح: «هذه الورشة ليست مجرد رسومات، بل هي لغة صامتة تعبّر بها الأم عن حزنها، قوتها، وصبرها، فالفن يشفي كما تفعل الكلمات، وربما أكثر».

جمهور الأمهات الحضور تفاعلن بشكل مؤثر، وعبّر العديد منهن عن شعورهن بالراحة والامتنان لهذه المبادرة التي منحت لهن لحظات من السلام وسط ضغوط الحياة اليومية والانشغال بحالات مرضاهن.

وقد جاءت الورشة في إطار جهود جمعية سند في تقديم الدعم النفسي والاجتماعي لأسر المرضى، وإبراز أهمية الفن كوسيلة فعالة للعلاج والدعم النفسي غير المباشر.

مقال

المدن الذكية في السعودية: رؤية مستقبلية تتحقق على أرض الواقع.

د. سليمان أحمد الطامي*

@saaltami

في المملكة العربية السعودية، يُعد تبني مفهوم المدن الذكية جزءًا محوريًا من رؤية السعودية 2030، التي تهدف إلى بناء مجتمع حيوي واقتصاد مزدهر ووطن طموح. وتُولي المملكة اهتمامًا متزايدًا بتطوير مدن ذكية تجمع بين الأصالة والحداثة، من خلال تسخير التكنولوجيا المتقدمة والذكاء الاصطناعي لتحسين جودة الحياة وتحقيق الاستدامة. ومن أبرز الأمثلة على هذه التوجهات مدينة "نيوم"، التي تُعد نموذجًا عالميًا لمدينة ذكية مستقبلية، ومدينة "العلا"، التي تدمج بين الحفاظ على التراث والتقنيات الحديثة لخدمة السياحة والثقافة والبيئة.

المدن الذكية هي نمط متطور من التخطيط والإدارة الحضرية، يعتمد على دمج التكنولوجيا الحديثة مع البنية التحتية للمدينة لتحسين جودة الحياة للسكان. ويشمل ذلك استخدام أنظمة رقمية متصلة، مثل أجهزة الاستشعار وإنترنت الأشياء (IoT)، لجمع البيانات وتحليلها بهدف دعم اتخاذ القرارات وتقديم خدمات أكثر كفاءة واستجابة. تركز المدن الذكية على إدارة الموارد بشكل مستدام، مثل ترشيد استهلاك الطاقة والمياه، وتطوير شبكات النقل الذكية، وتحسين إدارة النفايات. كما تسعى إلى تعزيز الخدمات الأساسية مثل الرعاية الصحية، والتعليم، والسلامة العامة، من خلال حلول تقنية تسهم في رفع مستوى المعيشة وتحقيق الرفاه الاجتماعي. من أبرز خصائص المدن الذكية قدرتها على التكيف مع التحديات الحضرية، مثل الازدحام والتلوث وتغير المناخ، وذلك من خلال استراتيجيات ذكية تعتمد على البيانات. وتعتبر المدن الذكية جزءًا أساسيًا من توجهات التنمية المستقبلية، حيث تسهم في بناء مجتمعات أكثر كفاءة واستدامة ومرونة. وبذلك، فإن المدينة الذكية ليست مجرد استخدام للتكنولوجيا، بل هي منظومة متكاملة تهدف إلى تعزيز الكفاءة، والابتكار، والمشاركة المجتمعية، بما ينعكس بشكل مباشر على جودة حياة السكان وحيوية المدن.

تواصل المملكة العربية السعودية تعزيز مكانتها على الصعيد العالميّ من خلال جهودها المدروسة والمتواصلة في تطوير مدنها وتحويلها إلى مدن ذكيّة من خلال مشاريع رائدة تقودها الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي "سدايا" بالشراكة مع عدد من الجهات الحكومية، لبناء مدن ذكية تتوفر فيها أعلى معايير جودة الحياة، ضمن مستهدفات رؤية المملكة 2030 للتحول الرقمي. وقد ارتفع عدد المدن السعودية المدرجة ضمن مؤشر IMD العالمي للمدن الذكية لعام 2025 إلى ست مدن، وذلك بفضل جهود تكاملية استهدفت تحسين البنية التحتية، ورفع كفاءة إدارة الموارد، وتعزيز الاستخدام الأمثل للتقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء. ويستند مؤشر IMD إلى عدة معايير من أهمها مدى إدراك السكان لجهود التحول الذكي في مدنهم، وتحقيق التوازن بين التطور التقني والاحتياجات الإنسانية، بالإضافة إلى قدرة المدن على تقديم حلول ذكية ومستدامة تعزز جودة الحياة.

وتأتي مدينة الرياض في مقدمة

المدن الذكية في المملكة، حيث شهدت قفزات نوعية أهلتها لتكون ضمن أفضل خمس مدن ذكية على مستوى العالم العربي، وقد تقدمت 25 مركزًا عالميًا في مؤشر IMD لعام 2024. وتعكس هذه المكانة التطور الهائل في بنية النقل الذكي (كمترو الرياض)، والبنية الرقمية المتكاملة، والخدمات الحكومية الذكية. وتلتها مدينة مكة المكرمة التي جاءت في المركز الخامس عربيًا و52 عالميًا، مع تركيز كبير على تحسين تجربة الحجاج والمعتمرين من خلال تطبيقات ذكية ونظم تحكم رقمي في الحشود والخدمات. أما المدينة المنورة، فقد سجلت حضورًا في المركز السابع عربيًا، و74 عالميًا، مدعومة بمشاريع مثل "مدينة المعرفة الاقتصادية" التي تُعد نموذجًا لدمج الاقتصاد المعرفي بالتحول الحضري الذكي. كما شهدت مدينة جدة تحولات ملحوظة في البنية التحتية الرقمية وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، مما أهلها لتكون ضمن المدن الذكية عربيًا و55 عالميًا، مع التركيز على مشاريع التخطيط الحضري والنقل المستدام. ومن بين المدن الحديثة الانضمام إلى قائمة المدن الذكية في المملكة، جاءت مدينة الخبر التي دخلت المؤشر العالمي لأول مرة عام 2024، واحتلت المرتبة 99 عالميًا، وذلك نتيجة لمبادرات رقمية في إدارة المرافق العامة، وربط الأنظمة الخدمية ببنية ذكاء اصطناعي تسهم في تحسين الأداء وتوفير الموارد.

تتواصل جهود المملكة العربية السعودية في ترسيخ مكانتها العالمية في مجال المدن الذكية، حيث انضمت مدينة العلا إلى القائمة في عام 2025، لتبرز كمدينة ذكية تجمع بين الطابع التراثي والسياحي، إذ تُوظف فيها التقنيات الرقمية المتقدمة لحماية المواقع الأثرية، وتُدار منظومتها السياحية والخدمية بكفاءة عالية تضمن انسيابية حركة الزوار وكفاءة استهلاك الطاقة والخدمات. ويؤكد هذا التوجه التزام المملكة بتوسيع مفهوم المدن الذكية ليشمل ليس فقط المدن الكبرى، بل أيضًا المدن التراثية ذات القيمة الثقافية والسياحية العالية. وفي السياق نفسه، حافظت مدينة الرياض على مكانتها ضمن قائمة أفضل 30 مدينة ذكية على مستوى العالم بحسب مؤشر IMD لعام 2025، بينما حققت مدينة الخبر قفزة نوعية بتقدمها من المركز 99 في عام 2024 إلى المركز 61 في عام 2025. كما تقدمت مدينة جدة من المرتبة 55 إلى المرتبة 47، وسجلت مدينة مكة المكرمة تقدمًا ملحوظًا من المركز 52 إلى المركز 39. أما المدينة المنورة، فقد حققت أيضًا تحسنًا ملموسًا بصعودها من المركز 74 إلى المركز 67، مما يعكس تسارع وتيرة التحول الذكي في مختلف مدن المملكة، ويجسد التكامل بين التنمية الحضرية والتقنيات الحديثة في تحقيق أهداف رؤية 2030.

وقد شكّلت الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي (سدايا) حجر الزاوية في هذه المبادرات، إذ تقود التحول الرقمي في المملكة عبر منصات متقدمة مثل توكلنا وغيرها من المنصات المتقدمة، بالإضافة إلى إنشاء قواعد بيانات موحدة وتطبيقات تخدم المواطن والمقيم والزائر. ويُعد هذا التحول جزءًا من منظومة أكبر تتكامل مع مشاريع رؤية 2030، التي تشمل نيوم، والقدية، والبحر الأحمر، والتي تمثل مدنًا ذكية مستقبلية تدار بالطاقة النظيفة وتُدار بأنظمة مستدامة بالكامل. وفي ضوء هذه النجاحات، تمضي المملكة قدمًا نحو تحقيق أهدافها في رفع جودة الحياة، وتقليل الانبعاثات، وتحسين إدارة الموارد، وتوفير بيئة حضرية متطورة تلبّي تطلعات المواطنين وتنافس كبرى المدن الذكية عالميًا.

*(أستاذ مساعد بجامعة القصيم مختص في المدن الذكية)

مقال

في زحام موناكو... هل وجد قارون السعادة؟!

غاليه بنت محمد المطيري

عندما تخرج من ذلك الباب الذي يرتفع عدة أمتار، يمنحك زجاجه اللامع شعور الفخامة والجمال، ودرجاته الرخامية التي تقف في أسفلها أحدث السيارات وأعلاها سعرًا في انتظار خروج قاطني ذلك الفندق، فأنت متأكد أن هناك آلاف الكاميرات ستلتقط لك صورة، وهناك أيضًا عيون تراقبك، بل تنظر إليك نظرة الانبهار، تلك النظرة التي كانت في أعين قوم قارون واسع الثراء، الذي وصفه الله في قوله سبحانه:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

لماذا؟ لأنك تخرج من "أوتيل دو باريس موناكو"، الفندق الذي يُعرف بأن نزلاءه من فاحشي الثراء.

والمفارقة العجيبة أن هذه المدينة، التي تُعد موطن الثراء ونعيمه، لا تتجاوز مساحتها كيلومترين مربعين، أي إن حي المرسلات، في الرياض، هو ضعف مساحتها، بل إن "هجرة أم الجماجم" تساويها في المساحة!

ومع ذلك، هي مزار أرباب الثراء، ووجهتهم الصارخة.

عندما تشاهد استعراض الأغنياء، يتبادر إلى ذهنك سؤال فلسفي، هو ما دفعني لكتابة هذا المقال:

إذا كان الغنى يُعد نعمة، فإن صاحبه لا يحتاج أن يتفاخر به، لأن التفاخر، أو بالعامية "الهياط"، ناتج من شعور المرء بالدونية، فهو يحاول أن يعالج شعور النقص بذلك البذخ أو الإسراف غير المبرر.

وهذا على ذمة تحقيق عُرض في برنامج أسبوعي على إحدى القنوات الخاصة السعودية، حيث شُنَّت حملة على الإسراف الذي يقوم به بعض أفراد الطبقة المتوسطة.

والمثير للتساؤل: لماذا لا تُسلَّط بعض البرامج الضوء على المظاهر الاستعراضية في طبقات أخرى؟ خصوصًا في مدن مثل موناكو، حيث يحرص بعض الأثرياء على الظهور الفاخر والاستعراض بالحراسات والسيارات في مدينة تُعد عادية، فهي تفتقر إلى اتساع المساحة، التي هي أساس النعيم الدنيوي، بل إن فنادقها وأثاثها لا يُعد فاخرًا كما قد تجده في مدن وأماكن أخرى.

كل ذلك لأنه اشتهر أن مدينة موناكو هي مدينة الأثرياء.

الجواب يكمن في حب الظهور (أو الهياط).

هنا يتجلى سؤال فلسفي، مفاده:

هل النفس البشرية يمكن أن تتطهر من جميع رذائلها بمجرد امتلاك المال؟

هل الغنى يجعل صاحبه كريمًا، رقيقًا، أمينًا، صادقًا، ناصحًا، مخلصًا، حكيمًا، عالمًا؟

لو كانت الإجابة نعم، فلماذا لم يكن الأنبياء أغنياء؟

ولماذا لم يكن الفلاسفة والحكماء أغنياء؟

الحقيقة أن النفس البشرية لا يُنزع منها نوازع الشر بالغنى، ولا يُنقصها الفقر رداء الخير.

ولكنها الأنفس البشرية التي ألبست الفقر كل رزية، فصوّرت الفقير بأنه مجرم، محتال، قاتل، سارق، منزوع عنه الإنسانية.

وكل ذلك ليس لحقيقة الأمر وصدقه، بل لأن تلك الأنفس عبَدت المال، وأحبت مجال الغنى وأصحابه، فحاولت أن تتقرب إليهم بجعل ضدهم هو العدو والمجرم الأبق.

فرغم أن الهدف المعلن من تلك البرامج هو التوعية بخطر الإسراف، إلا أن بعض المتابعين قد يتساءلون: هل هناك رسائل ضمنية تُوجَّه لطبقة دون أخرى؟

لذلك، كان في ذلك البرنامج انحياز، لا لحقيقة الإسراف وخطره، بل لمحاربة الفقير وهدم جدرانه، عندما حاول أن يشعر نفسه بشيء من نعيم أهل الغنى، ويظهر بمظهر واحد من مظاهر حياتهم الباذخة.

ولعل هذا الأمر أزعج أهل الغنى، لأنه فيه تشبّه أو تطاول على عروش ثرائهم، أو تشبّه بهم ممن هم أقل منهم، وذلك في ميزان ثرائهم وحقوقهم.

فهل نقصد بذلك أن ما يحدث في الطبقة المتوسطة من مظاهر الإسراف أمر مستساغ؟

كلا وحاشا.

ولكن عندما نريد أن نطرح موضوعًا في وسيلة إعلامية، علينا أن نطرحه بكل موضوعية، ونعالجه عند كل طائفة وطبقة في المجتمع.

ويكفي الإسراف بشاعةً وجرمًا أن نهى الخالق سبحانه عنه، ونزع محبته عن فاعليه، في قوله:

﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

إن المتأمل في حقيقة الإسراف والمسرفين، من أي طبقة أو دين، يحزن لأجلهم ويبكي لحالهم، لأن غياب السعادة، وفراغ قلوبهم من نسيمها الدافئ، هو دافعهم لهذا الظهور والتظاهر.

وكأنهم يسترقون شيئًا من البسط والانبساط، من تلك العيون الناظرة إليهم بانبهار لفعلهم ولِما يملكون.

وهذا الانبساط سرعان ما يتلاشى ويختفي، عندما تغيب الأضواء اللامعة من حول المسرفين، فقراء أو أغنياء.

وإن كان الفقير سيتجرع غُصَص تهوره من دينٍ وضنك.

لذلك، إذا أردنا أن نعالج الإسراف ومظاهره، بل أخطاره على المجتمعات، فعلينا أن نتعلم كيف نكون سعداء، سواء كنا فقراء بالقناعة، أو أغنياء بالمساعدة والمشاركة.

وقد قال ابن القيم رحمه الله في أمر الصدقة:

"إذا لم يكن المتصدِّق يرى أنه هو المُحتاج إلى ثواب الصدقة أكثر من حاجة الفقير إلى المال، فصدقته مدخولة، ونيته فاسدة."

ولقد قيل: إن للصدقة سعادة لا يمكن وصفها أو الحديث عن لذتها.

لذلك، أن نكون سعداء هو ما يجيب على تلك الأسئلة الفلسفية عن الفقر، والغنى، والسعادة.

احتفاء

مرسخًا حضوره كأول متحف رقمي دائم في المملكة..

متحف "تيم لاب بلا حدود" يحتفي بعامه الأول ويواصل جذب الزوار من 25 جنسية.

متحف بلا خرائط.. عامٌ من الدهشة الرقمية في جدة التاريخية

كتب ـ أحمد الغـر

في قلـب جـدة التاريخيـة، المدينـة التي تحـرس ذاكـرة البحـر والمـكان، يحتفـي متحـف "تيـم لاب بلا حـدود" بعامه الأول بوصفـه أول متحف دائم للفنـون الرقمية فـي المملكة، وقد غـرس حضوره في أحد مواقـع اليونسـكو للتراث العالمـي، كأنما جاء ليضيف بعدًا معاصـرًا إلى عمقٍ تراثيٍّ ضاربٍ في الزمن. فمنذ لحظة افتتاحه، بدا المتحف تجربةً تتجـاوز المفهوم التقليدي للعـرض الفني، إلـى فضاء تفاعلـي حيّ، تتحـرك فيـه الأعمـال وتتنفـس وتتحوّل باسـتمرار، كما لو كانـت الكائنات الرقمية قد وجدت موطئ قدمٍ لها في زوايا الحارة القديمـة، وبـدأت تنسـج سـرديّتها على جدرانها العتيقة.

عـامٌ مضى، والمتحف مـا زال يدهش زواره من مختلف الجنسـيات ـ تجاوز عددهم خمسًا وعشرين جنسية ـ وأكثرهم من فئة الشباب، ممن وجدوا في هذا الفضاء مـا يلبّي توقهم للتجريب والمغامـرة الفنية، ويمنحهم دورًا حقيقيًـا في تشـكيل التجربـة. لا خرائط هنا، ولا مسـارات تُرشـد الخطى، فكل زيارة تُصاغ لحظةً بلحظة، وكل حركةٍ تُبدّل المشهد وتعيد تشـكيل الضوء واللون، في تماهٍ نادر بين الزائر

متحف تيم لاب بوردرليس جدة

والعمل، حيث يتحوّل الجسد إلى أداة استكشاف، ويصبح الحضور فعلًا خلاقًا، يعيد صياغة الواقع عبر الفن.

ومـا يميّز التجربـة البصرية في هذا المتحف هـو انفتاحها على الزمن وتبدلاته، فالأعمال الفنية لا تسـتقر على حال، بل تخضع لإيقاع الفصـول وتحولات الطبيعة، وتتماهـى معها في عرض دائم التجـدّد. في "تكاثر الحياة الهائلة" تتبدل الأزهار شـهريًا،

عامٌ أول في جدة.. حيث يذوب الجمال في الضوء ويتكاثر في الذاكرة

تيم لاب بلا حدود.. الفن الذي يتنفس مع الزائر ويصوغ اللحظة

وتتابع دورة الميلاد والفناء كما لو كانت تكتب تاريخها الخاص في كل لحظة. أما "ذاكرة التضاريس"، ذلك العمل الذي يوهم بالثبات، فهو ينطوي على حركة دقيقة لا تُرى إلا بالتأمل العميق، حيث تتبدل التضاريس الداخلية بصمتٍ يماثل نبض الأرض.

في "غابة المصابيح"، تسري إشارات الضوء بين المصابيح كما تسري المشاعر بين البشر، في تتابعٍ رياضيٍّ بالغ الدقة، يخلق مسارًا ضوئيًا واحدًا يتشكل بفعل وجود الزائر، فينيرُ مصباحًا، ثم ينتقلُ إلى آخر، ليكوّنَ خيطًا من النور لا ينفصم، تتقاطع فيه حركة الأفراد في الفضاء، وتتلاقى دون أن تتكرر.

أما "أزهار في الشفافية اللامتناهية"، فهي تجربة تغمر الزائر بفيضٍ من الألوان والأشكال، وتجعله جزءًا من العمل نفسه، حيث يمتزج الكائن البشري بالصورة والضوء، وتتشكل طبقات الواقع الفني فوق الواقع الفيزيائي في اندماجٍ كليٍّ لا يترك مكانًا للفصل.

المتحف لم يكن مجرد تجربة جمالية، بل كان تجسيدًا فعليًا لرؤية المملكة في دعم الصناعات الإبداعية وتعزيز الاقتصاد الثقافي، وقد تُوِّج هذا المسار بحصول المتحف على "جائزة مكة للتميز الثقافي" – واحدة من أرفع الجوائز السعودية في مجال الثقافة والفنون – في دورتها السادسة عشرة، وهو تكريم يعكس المكانة التي بات يحتلها هذا المشروع الريادي، ليس على مستوى المملكة فحسب، بل على خريطة الفن العالمي.

ولم يكن الحضور مقتصرًا على الزوار فحسب، بل شكّل المتحف نقطة جذب للفعاليات الدولية أيضًا، أبرزها مهرجان البحر الأحمر السينمائي الذي أُقيم في ديسمبر 2024، وجمع نخبة من صناع السينما والمبدعين من حول العالم، ممن اختاروا التجول بين أروقة "تيم لاب" ليشهدوا هذا التداخل العجيب بين الفن والتقنية، بين الموروث والمستقبل.

في "تيم لاب بلا حدود"، لا تتكرر اللحظة، ولا تنضب الدهشة، بل يُعاد اختراعها عند كل زيارة. هنا، لا تقف أمام لوحة جامدة، بل تعيش داخل العمل، تُحرّك تفاصيله، ويعيد تشكيلك كما تعيد تشكيله. إنه ليس متحفًا بالمعنى التقليدي، بل تجربة شعورية وذهنية وجسدية، تسحبك من رتابة اليومي، وتُلقي بك في عوالم ضوئية شاسعة، لا حدود لها.

إنه الفن حين يُصبح حيًا، والضوء حين يتكلم، والمكان حين يُصغي لحركة الجسد، والتاريخ حين يُفسح مكانًا للمستقبل. متحف "تيم لاب بلا حدود" في جدة، ليس فقط احتفاءً بمرور عام على الافتتاح، بل احتفاءٌ بميلاد لغة جديدة للفن، تتكلمها العيون، ويكتبها الزوار بأنفاسهم، على جدران الضوء.

مسافة ظل

خالد الطويل

هل ضعف الشعر؟

هل تراجع الشعر العربي فعلاً مقارنة بعصور ازدهاره؟ وهل التراجع مسّ اللغة والبناء الفني؟ أم أن المشكلة في غياب النقد الجاد الذي يواكب التجربة ويدفعها إلى الأمام؟

أم أن الأزمة أعمق من ذلك، وتتعلّق بسياقات اجتماعية وثقافية لا تسمح بقياس الشعر اليوم بمقاييس الماضي، في ظل انشغالات الإنسان المعاصر وتبدل ذائقته ووسائل تعبيره؟

هذه الأسئلة تُطرح كثيرًا، وتحتاج إلى دراسات معمّقة للإجابة عليها. وقد عثرت على عدد منها تُرجِع هذا التراجع إلى أسباب، منها: انفصال الشاعر عن التراث، وضعف الإلمام بالأساليب البلاغية، وهيمنة وسائل التواصل التي رسّخت نمطًا لحظيًا وساهمت في تسطيح اللغة.

ويُضاف إلى ذلك ضعف النقد الأكاديمي، واستسهال النشر، ما أدى إلى انتشار كمّ هائل من النصوص المتواضعة.

لكن ذلك لا يعني انعدام الشعر الجيد، بل خفوت ظهوره وسط الزحام، وتراجع حضوره النوعي.

وفي نقاش مع بعض الأصدقاء الأدباء، رأى بعضهم ـ بتشدّد ـ أن «القصيدة إما أن تهزك أو لا تُكتب»، مستحضرين تجارب المتنبي والجواهري وشوقي، وكأن كل قصيدة يجب أن تُقاس على ذلك المعيار الصارم.

لكن الرأي المنصف هو ألا نحاكم الشعر الجديد بظلّ المتنبي، وإن ظلّ الكبار ميزانًا جماليًا وأخلاقيًا يذكّرنا بالسقف الأعلى.

ليس مطلوبًا من كل شاعر أن يكون كالجواهري، بل أن يكون صادقًا مع لغته، مخلصًا لفنه، ويترك لنصوصه فرصة أن تنمو وتنضج في وعي القارئ.

تبقى القصيدة ابنة زمانها، تتشكّل بتأثير الواقع والوعي والتقنيات، لكن ما لا يتغيّر هو حاجتنا إلى الشعر الصادق، العابر للسطح، الملتحم بالإنسان في قلقه وأحلامه.

والأهم: كيف نقول كلّ ذلك... شعرًا.

غابة رغدان.. وجهة صيفية ساحرة.

واس

يشكل متنزه غابة رغدان الواقع على منحدرات جبال السروات غرب مدينة الباحة، أحد أبرز المقاصد السياحية البيئية في المنطقة، حيث يمتد على مساحة تقارب (483) ألف متر مربع، ويقع على ارتفاع يتجاوز (1700) متر عن سطح البحر، ما يمنحه طقساً معتدلاً ومناظر طبيعية خلابة. ويبعد المتنزه نحو أربعة كيلومترات عن وسط مدينة الباحة، وطُوّر ليشمل مسطحات خضراء، وممرات مشاة، ومظلات، ومرافق خدمية، إلى جانب مرافق ترفيهية متنوعة، إذ نفذت أمانة منطقة الباحة مشاريع تطويرية في الموقع، منها إنشاء «حديقة بهجة رغدان» بمساحة (20) ألف متر مربع، وشلال اصطناعي، ومسرح مكشوف، ومناطق ألعاب للأطفال، و«حديقة اللافندر» التي تتصل بساحة مركزية وممشى حجري بطول (500) مترٍ طولي.

وأوضح أمين منطقة الباحة الدكتور علي بن محمد السواط، أن متنزه غابة رغدان يُعد أحد المعالم البيئية والسياحية البارزة في المنطقة، مشيرًا إلى أن الأمانة نفّذت هذا العام عددًا من المشروعات التطويرية داخل المتنزه، شملت تطوير أرصفة متنزه رغدان «المرحلة الثانية» بطول (1470) مترًا، وبمساحة تبلغ (3870) مترًا مربعًا، وتطوير منطقة داخل المتنزه بمساحة تصل إلى (11,500) متر مربع، وإنشاء ممشى جديد بطول (230) مترًا، وبمساحة (944) مترًا مربعًا.

وأفاد أن المتنزه يضم بنية تحتية متكاملة تلبي احتياجات الزوار، إذ بلغت مساحة المسطحات الخضراء (384,787) ألف متر مربع، ويضم (1230) موقفًا للسيارات، منها (42) موقفًا مخصصًا لذوي الإعاقة، إلى جانب (14) منطقة ألعاب، و(122) دورة مياه موزعة على مرافق المتنزه.

وأكد السواط أن هذه المشاريع تأتي ضمن جهود الأمانة لتعزيز جودة الحياة، وتوفير بيئة سياحية جاذبة وآمنة، من خلال الاستثمار الأمثل للمقومات الطبيعية والسياحية في المنطقة. ويشهد المتنزه إقبالًا واسعًا من الزوار خلال موسم الصيف، حيث تحتضن الغابة العديد من الفعاليات الترفيهية والثقافية التي تنظمها الجهات المختصة ضمن برامج صيف الباحة، وتستهدف إثراء تجربة الزائر وتعزيز السياحة الداخلية.

أحجار المدينة.. ذاكرة معمارية.

واس

تُشكّل الصخور الطبيعية في جبال المدينة المنورة وحرّاتها، مثل البازلت الأسود والجرانيت، عنصرًا أساسيًا في العمارة التقليدية والمعاصرة بالمنطقة، إذ استُخدمت عبر التاريخ في بناء المنازل والقلاع والأسوار والمعالم، وأسهمت في المحافظة على مستوى العزل الحراري للمسكن، وخفض درجة الحرارة عن محيطه الخارجي، ولا تزال العديد من هذه المباني تحتفظ بجمالها ومتانتها حتى اليوم.

وتبرز هذه الأحجار في عمارة المسجد النبوي، والمساجد الكبرى، والمواقع التاريخية، والمعالم الأثرية، حيث أسهمت في الحفاظ على الهوية العمرانية للمدينة المنورة وتطويع البناء؛ ليتماشى مع البيئة والمناخ المحلي، مثل استخدامها في مشاريع الترميم والتأهيل التي تنفذها هيئة تطوير المدينة المنورة وهيئة التراث، مما أعاد إحياء عدد من المواقع الأثرية بطابع يجمع بين الأصالة والحداثة.

واستخدمت الأحجار والصخور الطبيعية في تنفيذ مشروع «أنسنة المدينة المنورة» بالمناطق المركزية، وتشكيل ميادين المشاة ومقاعد الجلوس ورصف الطرق، خاصة على ضفاف الأودية المعاد تأهيلها مثل وادي العقيق ووادي قناة، بما يعزز من جاذبية المدينة وجهة ثقافية وسياحية ويصون طابعها العمراني الفريد.

سؤال وجواب

إعداد: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله العُقيلي
عضو برنامج سمو ولي العهد لإصلاح ذات البين التطوعي.

س- ما فضل شهر محرم؟

ج- قال الله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ سورة التوبة: ٣٦.

وفي الصحيحين (البخاري رقم 4406 ومسلم 1679) في حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - قول نبينا عليه الصلاة والسلام:

«السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ».

وسُمِّيَت هذه الأشهر بالحُرُم لعِظَم حرمتها، ولما لها من مكانة عند الله تعالى، حيث يُضاعف فيها الأجر، ويُغلَّظ فيها الإثم، ويُنهى عن الظلم والاعتداء فيها.

وفي مسلم (1163) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قول نبينا - عليه الصلاة والسلام -:

«أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ».

فشهر محرم فضله من جهتين:

الأولى: أنه من الأشهر الحُرُم المعظمة عند الله وعند أوليائه.

والأخرى: أنه يُشرع فيه الإكثار من صيام التطوع، لا سيما يومي عاشوراء وتاسوعاء؛ فعاشوراء صيامه كفارة لسنة، وتاسوعاء من خصائص هذه الأمة.

ولا يُشرع صيام شهر محرم كله؛ لما في الصحيحين (البخاري 1971 ومسلم 1157) من حديث ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال:

«ما صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا كَامِلًا قَطُّ، غَيْرَ رَمَضَانَ».

وفي بلادنا - حرسها الله - أعلنت وكالة الأنباء السعودية عن صدور بيان المحكمة العليا أن غُرَّة شهر محرم هذه السنة 1447هـ يوم الخميس الماضي، وعلى هذا فيكون يوم تاسوعاء هو يوم الجمعة غدًا، واليوم الذي يليه السبت عاشوراء.

وبالنسبة لصيام يوم الجمعة الموافق لتاسوعاء، فلا حرج فيه؛ لأن النهي النبوي إنما هو عن تخصيص يوم الجمعة بالصيام لأجل كونه يوم جمعة فقط، أما إذا صِيم لوروده في فضل معين كيوم تاسوعاء، أو أن يُصام معه يوم قبله أو بعده، فلا حرج في ذلك، والله أعلم.

لتلقي الاسئلة
alloq123@icloud.com
حساب تويتر:
@Abdulaziz_Aqili

الكلام الأخير

طريق الشّعر!

أ.د. سعود الصاعدي
@SAUD2121

[أيها السائر، لا طريق
الطريق تتعبّد حينما تسير
حينما تسير تتعبّد الطريق*].

هذا النص للشاعر الإسباني أنطونيو ما تشاذو، نقله الدكتور محمد الولي، في ختام حديثه عن مشروع جان كوهن العلمي حول بنية اللغة الشعرية والكلام السامي..

والنص، رغم أنه ورد في سياق الحديث عن المعرفة الجديدة التي تنبثق في الدروب غير السالكة، يعزز شعرية الانبثاق، وهو وصف من عندي؛ ذلك أن من طبيعة الشعر، وربما كل عمل إبداعي شعرا أو سردا، أن يكمن في هذا الانبثاق الذي يجعل الطريق تابعة للخطى، أي أنّها تتشكل تابعة للمسير.

وهي في الشعر أكثر عمقا وكثافة وحضورا، فالكلمات في الشعر لا تدلّ على مدلولات خارجية، ولا تشير إلى أشياء في الخارج، لأن الكلمات في الشعر هي الأشياء، هي ذاتها بما تكتنزه من طاقة إيحائية تشير إلى موقعها من النص، وهي لاتعني بذلك أنها في بنية مغلقة دلاليا، وإنما تعني سموّها عن التداول الاستعمالي وارتفاعها عن مستوى التوصيل الذي لا يتجاوز نقل الحدث الخارجي في اللغة الإخبارية.

وفي النص الشعري أعلاه إذا تجاوزنا التلقي البارد لتركيب يبدو للوهلة الأولى ساذجا بسيطا، سندرك أنه يحمل خاصيتين من خصائص الشعر والكلام السامي؛ فأن تتعبّد الطريق بالسير يعني قلب لمعادلة الواقع المألوف حين تكون الطريق معبّدة للسير، وعمل الشاعر والشعر معا هو جعل الطريق تابعة لا متبوعة!

أما الخاصية الثانية ففي هذا التناغم الإيقاعي المؤسس على القلب الدلالي، حيث ترد الجملة مرتين، مرة على صيغة اسمية:»الطريق تتعبد حينما تسير»، ومرة على صيغة فعل تنقلب فيها العبارة رأسا على عقب:»حينما تسير تتعبّد الطريق».

إنها نفس المضمون تقريبا، لكن قلب التركيب جعلها ذات وجهين، وجهها الأول الذي تبادر فيه الطريق بالاستجابة للسائر، ووجهها الثاني الذي تقترن فيه الطريق بفعل السير، فحينما تسير تتعبّد الطريق.

ينضاف إلى ذلك، وهو المهم في خاصية الإيقاع، هذا القلب الذي منح النص موسيقاه الداخلية.

قد لا تشعر بكل هذا الجمال إن تلقّيت شعريّته في أفق جمالي يشترط مقومات خارجة عن شرط الشعرية الذي يستند عليه جان كوهن وهو ما يجعل، في نظره، الشعر شعرا، تلك الخاصية التي لا تقبل النفي ولا النقض، ويقصد بها أن تكون الجملة الشعرية عصيّة على النفي، وهذا قريب من تصوّر البلاغيين للإنشاء في مقابل الخبر، حيث لا يحتمل الصدق ولا الكذب كما يحتملهما الخبر، وفي هذه البنية الإطلاقية تحديدا يبرز جوهر الشعر، فالجملة الشعرية لا تستطيع أن تعارضها أو تنفيها، لأنها خارج مجال التداول الواقعي الذي يصدق عليه النفي، فمجالها إيقاظ الشعور وتحريك الوجدان وتحويل الكلمات نفسها إلى أشياء لا علامات تحيل إلى الأشياء.

وعلى هذا التصور يكون للغة الشعرية مستويان، خارج تتشكّل به اللغة بالدلالة عليه، وهي مرجعية ضرورية، وداخل تتشكّل فيه اللغة بالدلالة به على تجربة جديدة خارج العالم الواقعي داخل العالم الوجداني للشاعر، وهذا وحده ما يجعل السائر متبوعا والطريق تابعة!

كنوز اليمامة

سلسلة تصدر من مؤسسة اليمامة الصحفية

إضافة جديدة وإصدارات متنوعة

اطلبه **الآن**

أونلاين عبر

كنوز اليمامة

يتم الشحن عبر

YAMAMAH EXPRESS

واتساب : +966 50 2121 023

إيميل : contact@bks4.com

تويتر : @KnoozAlyamamah

أنستغرام : @KnoozAlyamamah

Bks4.com

YAMAMAH EXPRESS

وفّر وقتك وجهدك

اشحن مع اليمامة إكسبريس

مؤسسة اليمامة الصحفية
Al Yamamah Press Est
0557569991 - 8001010191
info@yamamahexpress.com